الجذور التاريخية للاشتراكية العربية

الدكتور عبد العزيز الدوري

يمر المجتمع العربي بثورة شاملة تهدف الى تحقيق حريته وضمان وحدته واطلاق امكانياته وبناء مجتمع تسوده العدالة ويعمه الرخاء ·

وهي ثورة متصلة الجوانب والحلقات في البلاد العربية ، على الرغم مما يبدو من تركيز أو تحديد · فهي ثورة على التسلط الاجنبي اولا في جزء ، وثورة على الاستغلال والتخلف في جزء ، وثورة على التجزئة في جزء ، وثورة على هذه جميعا في اجزاء أخرى من الوطن العربي ·

والثورة في شمولها او في جانب منها لاتقتصر على التخلص من وضع ، فذلك لايعدو ان يكون تهيئة او تمهيدا للثورة الفعلية ، وهي عملية البناء التي تخلف التغيير الكلي ، فتكون جذورها في التربة عابرة الواقع الى المستقبل المرسوم ·

وللفكر دوره الكبير في التوعية وفي التمهيد للثورة ، ولابد ان يكون له دوره الاساسي في البناء · ولكن الفكر لن يؤدي دوره ان ركن الى النقل أو اقتصر على التأمل ، بل لابد ان ينبثق من التراث والواقع ويتفاعل معهما باستمرار ·

والمجتمع العربي الان في فوران متصل وحركة دائبة ، تعمه رغبة جارفة لتخطي الزمن واللحاق بركب المدنية وتحقيق اهدافه الكبرى · وقد أدى هذا الى ان تسبق الحوادث نطاق الفكر في كثير من الاحيان وان يأتي التطبيق قبل ان تتحدد النظرية · ان هذه ظاهرة حيوية قوية اورثت الثقة والامل والهبت الطموح ، لذا فانها تفرض على الفكر مسؤولية خطيرة في متابعة الاحداث وتفهمها وفي التخطيط للمستقبل ·

ان محتوى الثورة العربية في الحقل الاجتماعي والاقتصادي يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وهذا المحتوى يتمثل في الاشتراكية العربية ، لانها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع في المجتمع العربي الجديد ·

وطبيعي ان يتجه الفكر العربي الى بحث الاشتراكية العربية والى تحديد اطارها الفكري ورسم خطوطها النظرية · وطبيعي في مرحلة مثل هذه ان نرى مجالا للاجتهاد وللنقل ، وان نحس بازمة فكرية قوية ·

ولكن الفكرة لن تستقر ولن ترسخ الا اذا انطلقت من الواقع ووجدت جذورها في التراث ، والا اذا كانت تحقيقا لآمال الامة وتجسيدا لامانيها ·

ولنا ان نتساءل مبدئيا عن المفهوم الذي تنطوى عليه الاشتراكية العربية وعن محتواها ، وان نفحص سبب نعت هذه الاشتراكية بأنها عربية لنرى وجهتنا · فهل نعتبر التطبيق أساسا للتسمية فننعت كل تطبيق اشتراكي باسم البلد الذى يطبقه ؟ ان هذا الاتجاه يفترض ان الاشتراكية واحدة ، حيثما وجدت ، وكيف طبقت ، ولن تعدو التسميات الاوصاف الجغرافية أو الاقليمية · والاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادى ، بل هي نظام كلي له قيمه ومفاهيمه ونظرته للحياة · كل هذا يعني قبول هذا النظام وما ينطوي عليه والملائمة النسبية في التطبيق · اننا لانقر هذا التفسير ، فهو لاينطبق على الاشتراكية العربية ، ولا يمكن قبوله مفهوما لها ·

ان الامة لا تستطيع التخلي عن ارثها الحضاري وعن قيمها ولا يمكنها ان تنسلخ عن ذاتها ان أرادت البقاء · فكيف اذا ارادت تجديد ذاتها وتحقيق حياة كريمة لابنائها ؟

ان الاشتراكية العربية ليست صورة اخرى للماركسية ، وانما انبعثت من واقع الامة العربية ومن ارثها الحضاري ، وانها تتمثل قيمها الاساسية ومفاهيمها الخلقية · وهذا لايعني عزلتها بل انها في الوقت نفسه تستفيد من خبرات الامم الاخرى ومن نتاج الفكر الانساني لاغناء ذاتها ·

اننا حين نؤكد على الجذور العربية الاسلامية للاشتراكية العربية ، ونؤكد على تمثلها للقيم العربية الاسلامية وللنظرة الاسلامية للحياة ، لا نقصد البحث عن مبررات الاشتراكية منقولة ، في التراث أو في أحداث التاريخ العربى الاسلامي ، لان هذا لايعدو وضع اقنعة شفافة على نظام منقول · اننا نريدها اشتراكية عربية في جذورها الحضارية وفي قيمها ونظرتها ، مفتوحة على خبرات العصر الحديث وعلمه ·

ان ما ذكرنا لايعدو ان يكون هدفا عاما ، ولن تكون له دلالته ومعناه الا بالنظر الى الاصول التاريخية ·

اننا لانريد دراسة الفكر الاشتراكي هنا ، ويكفي ان نتحدث عن الماركسية بايجاز تتطلبه طبيعة الموضوع ·

اننا نجد في عدد من الحضارات آراء عن العدالة الاجتماعية ، وعن توفير الفرص المتكافئة ، وعن انكار الاستغلال · اننا نجدها في بعض الفكر اليوناني ، ونجدها في الفكر الهندي والصيني ، ونجدها في الفكر المسيحي الوسيط ونجدها في العصور الحديثة قبل قيام الماركسية · ولم تكن هذه

الآراء الا رد فعل للمساوىء الاجتماعية وتعبيرا عن تطلع المفكرين والجماعات الى حياة أفضل ٠

ولم تكن الماركسية خارجة عن هذا الاطار العام ٠ فهي نتاج الحضارة الاوربية الصناعية في القرن التاسع عشر ، وهي تقدم صورة كلية للمجتمع الذي تريده ٠ فهي تعطى تحليلا ديالكتيكيا ماديا للتاريخ البشري ، وتعتبر تغير وسائل الانتاج أساسا لتغيير المجتمع ولتغيير قيمه ومثله وهي تنكر الدين وتعتبره ظاهرة تاريخية عابرة صارت وسيلة استغلال ٠ انها نتاج تطور الحضارة الاوربية التي قامت مبدئيا على الارث اليوناني والديانة المسيحية واخيرا على النهضة العلمية وعلى ما تخفيه من صراع بين الدين والعلم وعلى هذا الازدواج القلق المتصادم بين النطاق الديني والنطاق الدنيوي ٠

ولسنا هنا بصدد بحث الثورة الدينية في أوربا على الكنيسة ، وقيام البروتستانية ، وما كان لها من اثر في تنشيط الرأسمالية ، ولسنا بصدد تحليل اثر الثورة الفرنسية في ضرب الاقطاع الاوربي ودفع الحركة القومية الاوربية وما لازم هذه الحركة من محاولات لتوسيع رقعة الاستعمار ، وبث مفاهيم المساواة بيد والسيادة الغربية بالاخرى وما صحب ذلك من آثار عميقة ، ولكنا نشير الى الثورة التي مهدت لقيام الماركسية وهي الثورة الصناعية ٠ فقد احدثت الثورة الصناعية تحولا واسعا في المجتمعات الغربية، رافقته مآس اجتماعية خطيرة واوجدت اندفاعا من الاستغلال تجاوزت كل حد وابرزت تناقضات اجتماعية اقتصادية شديدة ٠ وحصل هذا في عصر من التقدم الفكري الواسع ٠

ظهرت الماركسية في اطار الحضارة الاوربية في القرن التاسع عشر ، وهي نتاج مجتمع اوربي متغطرس يرى مفكروه ان تجارب البشرية انتهت اليه ، وان كل ما حصل او يمكن ان يحصل فيها لايخرج عن نطاق تجربة المجتمع الغربي ٠

ولم يشذ ماركس عن هذه النظرة ، بل انطلق منها حين التفت الى التاريخ الغربي وحاول تفسيره ثم حول ذلك الى قوانين عامة لتطور المجتمعات البشرية ٠ والواقع ان مؤرخي الغرب وفلاسفة تاريخه استمروا يحملون نفس الفكرة الى اواسط هذا القرن ، فلما قامت الثورات التحررية الكبرى بين شعوب آسيا وافريقيا بدأوا يدركون خطأ الفكرة وضيقها ويرون انه لايمكن تعميم أى تفسير لتجارب المجتمعات الغربية على المجتمعات البشرية الاخرى ٠

جاءت الماركسية بتفسير ديالكتيكي مادي للتاريخ البشري ، واعتبرت تغير وسائل الانتاج وملكيتها أساس تغير المجتمع وتغير مثله وقيمه ، اذ يرافق تغير وسائل الانتاج صراع بين الطبقة المسيطرة حاليا والطبقة الجديدة الصاعدة ، وهكذا فالتغيير الجذري لايكون الا بصراع الطبقات ،

والماركسية تنكر الدين وتعتبره ظاهرة تاريخية وسبيل استغلال ·

وهكذا فالماركسية تخضع تطور البشرية لقوانين حديدية ، وتفرض الحتمية في التاريخ · وترى ان قوانينها تصدق على كل المجتمعات ، بمعنى ان حتمية التاريخ تفرض مرور المجتمعات بنفس الادوار من التغيير التي تراها هي في المجتمع الغربي ، فهي صور متتالية متوازنة من التغيير في المجتمعات البشرية ·

وقد نقرب المفاهيم الماركسية لابناء مجتمعنا اذا اشرنا الى محاولات بعض المؤرخين الماركسيين تفسير التاريخ العربي · فهم يرون ان المجتمع العربي مر قبل الاسلام بالمرحلة البدائية (الرعي) الى رحلة امتلاك الرقيق وشارف المرحلة الاقطاعية · وهذا التطور ولد ازمة اجتماعية اقتصادية انتجت الاسلام · وحاولت ارستقراطية الملاكين (تجار الرقيق) الخروج من الازمة بالفتوحات ، ونتج عن الفتوحات تحول المجتمع كليا الى مجتمع اقطاعي وتم ذلك في العصر العباسي ·

فالاسلام اذن نتاج ازمة اقتصادية اجتماعية سبيلها تبدل علاقات الانتاج وهو تعزيز لصالح الطبقة الناشئة ولا يعدو ان يكون ظاهرة مادية ·

ومع ذلك فهم مضطربون في رسم الخطوط · فمنهم من يرى ان الاسلام يلائم مصالح ارستقراطية الرقيق ، بينما يرى اخرون انه يلائم مصالح الطبقات المستغلة من ملاك وارستقراطية الاقطاع ، في حين يرى غيرهم انه لايلائم مصالح الطبقات الحاكمة الجديدة فلجأ أصحابه الى الوضع في الحديث لتبرير الاستغلال الاقطاعي ·

وبينما يقول البعض ان الارستقراطية وحدت القبائل العربية لتحقيق أغراضها ، يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوثب للوحدة فجاء الاسلام موحدا يعبر عن ذلك التوثب · بل يضطرب الموقف حتى من نشأة الاسلام ذاته · فبينما يدعي البعض ان محمدا (ص) واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد، يذهب اخرون الى نفي شخصية النبي العربي والى اعتباره شخصية اسطورية · وذهب البعض الى ان الاسلام نشأ عن اسطورة وضعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة وان جذورها تعود لاعتقادات سابقة تسمى الحنفية ·

وهذا الاضطراب في الرأي والانحراف عن تفهم التاريخ العربي ان هو الا مظهر لفرض نظرية خارجية على التاريخ العربي ، وهو نتيجة لاتخاذ التاريخ سبيلا لتبرير الماركسية ودعمها ، وما ابعد ذلك عن طبيعة التاريخ العربي وعن البحث التاريخي العلمي (تجد تفصيلات ذلك في دراسات بيجولفسكايا ، وبلاييف ، وكليموفيج ، وتولستوف) ·

ولسنا هنا بصدد تقييم الماركسية حتى بالنسبة لتطور المجتمع الغربي، ويكفي ان نقول ان الجدل حولها واسع ، وان الماركسية حولت بعض نظراتها

من جهة ، كما ان تطورات خطيرة حصلت في غير ما افترضتها نظرتها • ولكن يلزمنا ان نتذكر ان الماركسية نظرية كلية ، وان اسسها تقوم على اعطاء سبب واحد لتغيير المجتمعات ، وهو تبدل وسائل الانتاج ، وان التغيير يحصل عن طريق الصراع بين الطبقات ، وان النواحي الروحية أي الفكرية هي ظاهرة لا سبب في تطور المجتمعات • وهذه النظرية تختلف أساسا عن قولنا بأهمية العامل الاقتصادي في تغيير المجتمعات ، لان التفسير الاقتصادي لايعتبر الاقتصاد العامل الوحيد بل عاملا مهما مع عوامل اخرى في تغيير المجتمعات وفي التطور الحضاري •

ننظر الان الى التاريخ العربي لنرى سير المجتمع عبر العصور ولنتفهم طبيعته •

لقد كون المجتمع العربي الاسلامي حضارة تتمثل فيها عبقريته ومفاهيمه • وادق مافي أية حضارة ، الروح التي تتخللها ، والقيم والمثل التي تعتز بها •

وجدير بنا ان نتذكر ان هذه الحضارة وجدت اولياتها في الارث الثقافي العربي القديم • وهو ارث عريق يعود لاكثر من الفي سنة قبل الميلاد ويشارك فيه وادى الرافدين واليمن وسورية ومصر • وقد مر النشاط الحضاري العربي بفترات من الازدهار والركود ، ولكن مناطق نشاطه تمثلت قبيل الاسلام في شمال الجزيرة العربية وجنوبها • واوضح مظاهره اللغة العربية والشعر العربي • وكانت له اصول قديمة في التوحيد على الرغم من طغيان الوثنية في هذه الفترة •

وظهر الاسلام ، ووجد العرب فيه مثلهم وقيمهم ونظرتهم للحياة ، كما وجدوا فيه وحدتهم وطريق انتشارهم على الارض ، ورأوا فيه منطلقا لبناء حضاري جديد •

ومع ان العرب اخذوا في العصر العباسي من الحضارات الاجنبية ، الا ان ذلك جاء بعد الفترة التي رسمت فيها خطوط الحضارة العربية واسسها • فقد ظهر النشاط الثقافي في مراكز عربية خالصة في المدينة والبصرة والكوفة ثم الفسطاط ، وتمثل في الدراسات العربية الاسلامية كعلوم الحديث والقرآن والفقه والدراسات التاريخية واللغوية وفي النشاط الادبي الخصب • وبعبارة ابسط ظهرت الدراسات الانسانية واتخذت اطارها قبل البدء بالترجمة مهما كانت اشكالها • وهذه الدراسات تمثل روح الامة وقيمها وتحدد طابعها الثقافي ووجهتها الحضارية •

وحينما أخذ العرب من اليونان ، أخذوا شيئا من علومهم وأخذوا من فلسفتهم وتأثروا بذلك في تطورهم الفكرى ، وكل ذلك لم يغير من مثلهم وقيمهم وانما افادهم في اغناء الجوانب المادية من حضارتهم وافاد في تطوير بعض أساليب التفكير لديهم •

لقد تمثل المجتمع العربي الاسلامي قيما أساسية وكون نظرته للحياة،

وكان المبدأ الاساسي في هذا المجتمع مبدأ العدالة ·

لقد تجلت روح العدالة الشاملة في الحضارة العربية وتمثلت في جوانبها المختلفة في السياسة والتشريع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية ·

تبدو فكرة العدالة في سيادة الشريعة (القانون) على الحاكم والمحكوم وفي استنادها الى النصوص من جهة والى آراء الفقهاء والعلماء من جهة اخرى · والشريعة تؤكد على العدل وتنكر الجور وترى اى خروج على ذلك مهما كان مصدره ضلالا ·

وتبدو الفكرة في التأكيد على الشورى وعلى حرمة رأى الامة · وتتمثل الشورى في مجموعة اهل الحل والعقد التي توجه وتدير · ومادامت الامة اساس الكيان العام ، وجب ان يمثل اهل الحل والعقد جماعاتها المختلفة ، وهم خلاصة قابلياتها · ولكن ذلك لايكفي فهناك الرأى الشامل للامة كما يتمثل في مبدأ الاجماع · فمتى اتفقت الامة أو آراء فقهائها ومجتهديها على شيء وعد الاتفاق اجماعا كان ذلك ملزما · فاكتسب رأى الامة حرمة ملزمة وفتح الباب لتجابه مشاكلها بافق مفتوح بعد مراعاة مصالح الجماعة أو الخير العام ·

وتتأكد الفكرة في استقلال القضاء عن السلطة وفي صلابة القضاة في الحق وفي وقوفهم جنب العدالة تجاه المتنفذين وتجاه عامة الافراد ·

وتظهر فكرة العدالة في الناحية الاقتصادية في منع الاستغلال باشكاله وفي انكار سيطرة المال والتأكيد على الرعاية الاجتماعية · فالربا محرم ، والاحتكار مرفوض خاصة فيما يتعلق بمعاش الناس · وتظهر الفكرة في وضع حق معلوم للضعفاء يتعدى ما يقدم الفرد في الزكاة والهبة الى الزام الامة بمكافحة الفقر باشكاله · ويصل مفهوم العدالة الى ابعد من ذلك حين يؤكد على ضرورة ضمان مستوى معاشي مقبول للناس كافة · فمع تباين الرأى في شؤون المعيشة بين من يرى المساواة وبين من يقر التباين على أساس الخدمة والفضل ومؤهلات اخرى ، الا ان الاتجاه العام هو الى ضرورة ضمان الحد الانى لافراد الامة مع السعي لتخفيف الفوارق الاقتصادية حفظا للكيان العام ·

وتتمثل فكرة العدالة في اعتبار الاراضي المفتوحة وما فيها من ثروات ملكا مشتركا للامة ووقفا عليها في حاضرها ومستقبلها · ومع قيام عدة محاولات لتجاهل ذلك في فترات مختلفة ، الا ان فكرة ملكية الامة انتصرت ورسخت ·

وفي الناحية الاجتماعية تبدو فكرة العدالة في التأكيد على حركة الانسان وكرامته ، وعلى احترام الرأي والتسامح تجاه اراء الاخرين مادامت لاتهدد الكيان المشترك · وتبدو ايضا في التأكيد المطلق على المساواة ·

وتتركز فكرة العدالة في اعتبار الجماعة أساس الكيان الاجتماعي وتتجلى هذه الناحية بقوة في فترة الابداع الحضاري ، في بناء المدن والريازة ،

وهي فنون جماعية ، وفي الفكر والادب والتاريخ ، في المدارس الفقهية والتاريخية والادبية التى تربطها الفكرة والمعرفة لا الشخصيات ٠

ومن قيم المجتمع العربى حرمة العمل وحرمة الكسب باليد ٠ ومع ذلك فقد اعتبرت الملكية في الاصل وظيفة اجتماعية يمكن الحد منها بفرض الضريبة أو بغير ذلك بضوء هذا المفهوم ٠

ومن هذه القيم تقدير العلم وتشجيع العلماء وطلبة العلم وتقديم الهبات والمنح لهم وفتح مجالاته دون تمييز ، ويصحب ذلك حب للمعرفة لايكترث بالمشاق والفاقة ٠ وينعكس ذلك في تقديس شامل للعلم لدى العامة والخاصة ٠

ومن هذه القيم الاخوة الانسانية ، وعدم التفاضل الا بالعمل والخدمة واعتبار العقيدة اسمى انواع الروابط بين الافراد والجماعات ٠

ان النظرة الانسانية التى تتخلل المجتمع العربى هي من القيم الاساسية التى جنبت المجتمع التمايز بين الناس بسبب الوانهم واجناسهم، وحدت من ظهور مثل هذه الاتجاهات المدمرة فى المجتمع ٠ كما ان هذه النظرة الانسانية كانت أساس التعاون بين الجماعات وسبب احترام عقائد الاخرين ٠

ان القيم العربية الاسلامية ، والنظرة للحياة تمثلت قبل كل شيء في الفكر ، وتمثلت في مظاهر من حياة المجتمع ٠ وعلى الرغم من التطورات والانحرافات ، فان الفكر العربي استمر في تأكيده عليها ، بل لقد كان التأكيد يزداد كلما اتسعت الشقة بين الواقع وبين الفكر ٠

ويهمنا ان نلاحظ ان حياة المجتمع العربي الاسلامي تأثرت بهذه القيم بصورة اكيدة ، ولكن الواقع مع ذلك يكشف عن اوضاع عملية وتطورات لها أهميتها ، كما شهد المجتمع العربي متناقضات خطيرة ٠

لقد شهد المجتمع العربي قوى متصارعة ، كما كانت له قوى اخرى للتشييد والبناء ٠ ويهمنا ان نتفهم هذه لنرى طبيعة تطور المجتمع وتكوينه٠

ولنذكر مبدئيا ان المجتمع العربي مر خلال القرن الاول الهجرى بصراع ظهرت بعض جوانبه وبقيت الجوانب الاخرى ضمنية وان كانت قوية، وهو صراع دار بين قوى الثورة الجديدة والبناء وتتمثل في المبادىء والاتجاهات الاسلامية ، وبين قوى المحافظة والتجزئة وهى الاتجاهات القبلية ٠ وتمثل هذا الصراع في النطاق السياسى العام وتمثل في النشاط الفكرى والاجتماعى وحتى في التطور الاقتصادى ، ولكن الفترة انتهت بانتصار المبادىء الاسلامية نتيجة قوتها وتوسعها ونتيجة انتقال القبائل في البلاد الجديدة الى حياة مدنية مستقرة ٠

وتكونت احزاب سياسية نشأت نتيجة الصراع على السلطة بين العرب ، وهي احزاب عربية ٠ وعلى الرغم من انضمام غير العرب الى هذه الاحزاب ، الا ان قيادتها وتوجيهها بقيت بيد الفئات العربية - والمهم ان

هذه الاحزاب لم تكن تمثل طبقة اجتماعية دون اخرى ، بل كانت شاملة. وظهرت بالتدريج المدارس الفقهية المختلفة ، وهي مدارس تتصف في تفكيرها بالشمول لمختلف نواحي الحياة ، ورغم الخلافات في الآراء فقد كان لكل مدرسة منزلتها واتباعها دون ان تختص احداها بفئة اجتماعية دون أخرى .

وتحول المجتمع تدريجيا الى الاستقرار ، ورافق ذلك تطـورات اقتصادية اجتماعية مهمة . ففي البداية كان بعض أهل المدن لاسيما مكة يشتغلون بالتجارة ووجدوا في الفتوحات سوقا واسعة وتكونت فئة تجارية قوية . اما القبائل فقد عزفت مبدئيا عن الزراعة ، وانصرفت للقتال .ولكن سكناها في المدن الجديدة جعلها تميل تدريجيا الى الاستقرار والزراعة والى ملكية الارض وظهر ذلك خاصة بين اشراف القبائل . وتحولت دور الهجرة، وهي المعسكرات الاولى كالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان ، الى مراكز حضرية مهمة . وبدأت التجارة تتسع بالتدريج في أفقها ونطاقها .

وتدرج الامر قبل نهاية القرن الاول الى ظهور الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة . وقد حاول عمر بن عبدالعزيز الحد من ذلك ولكنه لم يفلح . ودخل كثير من اهل البلاد المفتوحة في الاسلام وتوسعت فئة الموالي وكان بينهم التجار والصناع والزراع .

ولابد ان نلاحظ ان الاحزاب السياسية انتشرت بين القبائل واضعفت التماسك القبلي . كما ان بوادر تيارات مناهضة للسلطان العربي وللوضع القائم بدأت به بشكل مستور بين فئات لم تسلم أو فئات تظاهرت بالاسلام وكلها تسترت برايات عربية اسلامية ، وهي لاتعدو ان تكون استمرارا لحركات اجتماعية ظهرت في المجتمع الساساني في ايران واستمرت بعدالفتح الاسلامي بصورة خفية .

كما بدأ تيار المعارضة بين الموالي لدوافع مختلفة تتراوح بين المناداة بالمساواة الاسلامية وبين الطموح الى السلطة

وجاءت الدعوة العباسية لتضم كافة التيارات المناوئة للسلطان القائم، وهو سلطان عربي ، وضمت بين صفوف انصارها جميع هذه التيـارات وشجعتها ومكنتها من الظهور والاتساع لتجني سياسة التجميع هذه في سلسلة حركات قامت ضد العباسيين وخاصة بين الايرانيين الذين نصروا الثورة العباسية ، مما لم يسبق له مثيل في القرن الاول الهجري .

ولما جاء العباسيون ، اتسع النشاط التجاري ، وتوسعت الملكيـات الزراعية بين العرب ، وظهرت تيارات اجتماعية سياسية جديدة تخص بالذكر منها تيارات قومية في بعض الجهات وتيارات دينية تناهض الاسلام علنا او من وراء ستار . وظهر تيار آخر وراء هذين ، وهو رد الفعل لدى الفلاحين في بعض المناطق – ولاسيما ايران – ضد توسع الملكيات على حساب المزارعين الصغار الذين خسروا اراضيهم وتحولوا الى اجراء متجولين .

ويهمنا ان نلاحظ مظاهر الصراع في المجتمع العربي الاسلامي خلال العصر العباسي لنرى طبيعة الاتجاهات المتضاربة ·

لقد تمثلت مظاهر الصراع الكبرى في المجتمع العربي الاسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة في المعركة بين العرب والشعوبية ، وفي المعركة بين الاسلام والزندقة ، وتمثلت في بعض الحركات الاجتماعية الايرانية كثورات الخرمية ، وهي جميعا مظاهر للصراع بين الشعوب غير العربية ، ولاسيما الفرس ، ودياناتها الموروثة من جهة وبين العرب والاسلام من جهة اخرى · ثم ظهرت في القرن الثالث فما بعد حركات اجتماعية في نطاق المجتمع العربي ـ الاسلامي ، مثل ثورة الزنج ، وحركات العيارين والشطار وحركة القرامطة والاسماعيلية · وبينما كانت ثورة الزنج محلية في جنوب العراق ولفترة قصيرة (اربعة عشر عاما) ، فان حركات العيارين والشطار وحركة الاسماعيلية استمرت قرونا مشيرة بذلك الى ازمة اعمق في المجتمع العربي الاسلامي ·

ولنتناول هذه الحركات بايجاز لمعرفة وجهتها وللكشف عن طبيعة التناقضات القائمة ·

فالمعركة بين العربية والشعوبية بدأت بمحاولات شعوب غير عربية لمقاومة السلطان العربي المتوثب ، متسترة بمظاهر عربية أو اسلامية · وعملت على اضعاف الثقافة العربية الاسلامية والترويج للارث الحضاري الاعجمي ، وحاولت زعزعة السلطان العربي بمهاجمة اركانه ومحاولة هدمها، وهي الاسلام والعربية ، كما حاولت تفتيت قيم المجتمع وتفسيخ اخلاقه · وقد برز وجه المعركة في النطاق الثقافي والادبي · فكانت تجد بين زعماء الحركة شعراء وادباء لهم مكانتهم مثل بشار بن برد وحماد عجرد وابن المقفع ممن لايزال دورهم موضع نقاش لحد الان · فالشعوبية لم تكن حركة طبقة اجتماعية ضد طبقة اخرى كما توهم البعض ، لان الذين ساهموا فيها كانوا بين وزير متسلط وتاجر ثري وكاتب في الدواوين واديب معروف ، ومعهم أناس مثقفون وان لم يكونوا اغنياء · انها كانت صراعا بين العرب وفئات من الشعوب الخاضعة لسلطانهم على العموم ممن لم يتمثلوا المبادىء الاسلامية والمفاهيم الحضارية الجديدة · لذا فاننا نجد بين انصار العربية والاسلام أعلاما لم يكونوا من العرب، مثل ابن قتيبة والبلاذري ·

وبجنب هذه المعركة،وتتداخل معها احيانا ، كانت المعركة مع الزندقة· والزندقة في الاصل امتداد لحركة المانوية بعد ان تسترت بمظهر اسلامي· ارادت حركة الزندقة تشويه الاسلام ونسفه من الداخل بعد ان توسع وهدد وجودها ، وارادت ضرب السلطان الذي قام به ، وهذا هو اسلوب المانوية · وقد شارك في المعركة انصار ديانات أخرى مجوسية ولاسيما المزدكية ثم الزردشتية بدرجة أقل · ان الصراع مع الزندقة انما هو صراع بين الاسلام اساس السلطان العربي ، والمجوسية المتسترة بمظاهر خادعة·

ان توسع الاسلام وقوته المعنوية هددت المجوسية بالانحسار المتصل ،فكانت حركة الزندقة ظاهرة لرد الفعل ، وسبيلا لضرب السلطان العربي ، ومن هنا تداخلت الزندقة والشعوبية • وحين نتحدث عن الزنادقة لا نتحدث عن صراع اجتماعي بل ديني ولا عن فئات منكودة بل نجد اعلام الزندقة بين المترفين وبعض المفكرين •

ولم يقتصر الصراع بين الاسلام وما يستند اليه من سلطان وبين المجوسية على الزندقة . بل تمثل في حركات تبدو اجتماعية ، كحركة الخرمية • ولم تكن الخرمية الا امتدادا للمزدكية . تلك الحركة الدينية الاجتماعية التي ظهرت في ايران الساسانية ، طلعت الان بثوب اسلامي وصارت حركة الطبقة العامة في ايران في العصر العباسي الاول • فالخرمية هي امتداد لحركة اجتماعية قديمة نشأت عن ظروف المجتمع الايراني ولكنها حولت السخط الى السلطان العربي والى الاسلام قاعدته ، بعد ان كانت موجهة ضد السلطان الساساني • والخرمية لم يكونوا مسلمين ولم تكن الغلالة الرقيقة التي ارتدوها كافية لستر حقيقتهم المزدكية •

واذا كانت حركات الشعوبية والزندقة والخرمية مظهرا للصراع الديني السياسي بين شعوب وديانات اجنبية وبين العربية والاسلام ، فاننا نجد حركتين اجتماعيتين صدرتا عن ظروف المجتمع الاسلامي في حركة الاسماعيلية ، وفي ثورة الزنج • وصادف ان بدأت انفجارات الحركتين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) •

أما ثورة الزنج ، فهي ثورة الرقيق في سباخ البصرة حيث كانوا ارقاء لكبار ملاك الاراضي في منطقة البصرة ، وحيث جمعوا في اعداد كبيرة• ومع ان بعضهم لم يكن يعرف العربية ، وبعضهم لم يدخل الاسلام ، ومع ان جلهم بقي غريبا عن المجتمع العربي الاسلامي الا ان ثورتهم قادها من خرج باسم المبادىء الاسلامية وباسم العدالة . وكانت تعبيرا عن ثورة الرقيق على وضع لم يروا فيه الا الضنك والحرمان والاستغلال •

ان ظهور الملكيات الكبيرة في منطقة البصرة وتوفر رؤوس الاموال لدى الملاكين واستعمال اساليب الزراعة الكثيفة أدى الى شراء مجموعات كبيرة من الرقيق من تجار الرق الذين كانوا يجلبونهم من افريقية ، والى استخدام الالوف من الرقيق السود لكسح السباخ حول البصرة ولاستصلاح الاراضي وزرعها • لقد عاش هؤلاء على هامش المجتمع الاسلامي ولم يروا الا العمل المضني والاستغلال الفظيع الذي يتنافى وابسط المبادىء الاسلامية فكانوا في وضعهم المعاشي السيء وفي تجمعاتهم الكبيرة على الارض حقلا خصبا لكل نداء يصدر باسم العدالة الاجتماعية • وجاء النداء باسم المساواة وباسم المثل الاسلامية •

ومهما قلنا في دوافع صاحب الزنج ، وفي ثقافة الزنوج ، فان ثورة الزنج كانت نتيجة استغلال بشع يتنافى ومبادىء الاسلام ، وظاهرة لصراع

مرير بين فئة الرقيق السود وبين المجتمع الماثل أمامهم في اصحاب الاقطاعيات والملاكين الكبار في منطقة البصرة • ولكنه صراع لم يكن واضح الاهداف فهو لم يقصد الا تحرير الرقيق السود ، ولكن الثوار ذهبوا الى فرض الرق على الاسياد حيث قدروا ، وارتكبوا من التخريب والفضائح ما اثار القاصي والداني عليهم مما أدى الى سحق ثورتهم ومحو اثرهم •

أما حركة القرامطة والاسماعيلية فقد كان لها معنى اوسع واثر ابقى• لقد ظهرت الحركة في فترة تركيز التطور الاقتصادي والاجتماعي • ومع ان الحركة الاسماعيلية انتشرت وبدا نجاحها بعد منتصف القرن الثالث للهجرة فانها بدأت في القرن الثاني ، وهذا يعني انها انتشرت حين توفرت الظروف العامة — اقتصادية واجتماعية — المواتية لنجاحها • فهي نتاج تفاعل الفكر والاوضاع القائمة اقتصادية واجتماعية وسياسية •

لقد حدثت تطورات هامة في المجتمع منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) • فقد نشطت التجارة في المجتمع واتسعت افاقهما وظهرت طبقة من التجار الكبار لها رؤوس اموال كبيرة وخير مثل لهؤلاء التاجر ابن الجصاص الذي بلغ رأسماله ملايين الدنانير • وامتد نطاق التجارة العربية من كوريا الى البلطيق وتغلغل في أفريقيا واجزاء من اوربا• ويسر النشاط التجاري قيام فئة من الصرافين والجهابذة الذين يتعاملون بالنقد ويقومون بدور البنوك في العصر الحاضر بتيسير عمليات الائتمان والتسليف ، وكان جلهم من غير المسلمين • ووصل الامر في مطلع القرن الرابع الى قيام مصرف رسمي تعتمده الحكومة •

وشهدت الفترة توسع الزراعة وظهور اساليب الزراعة الكثيفة وظهور الملكيات الواسعة ولاسيما في السواد ، وقيام فئة من الاقطاعيين المثرين ،، ورافق نشاطهم كثير من الاستغلال وازدياد عدد الفلاحين الاجراء والمتجولين فكان هؤلاء الفلاحون بيئة ملائمة لكل الدعوات التي تعدبتحسين الاوضاع •

وفي هذه الفترة اتسعت العامة في المدن وظهرت حركات بين العامة وبين أصحاب الصنائع والحرف ، وذلك في تنظيمات تهدف الى حماية مصالحهم كما كان شأن الاصناف والنقابات الحرفية ، أو في حركات تمرد متصل ينطوي على الثورة على الاوضاع كما في حركات الغيارين والشطار •

ان ظروف قيام الحركة الاسماعيلية تكشف عن تضارب المصالح وعن الصراع الاجتماعي الاقتصادي • ومع ان جذور الحركة تتصل بالغلو الذي ينطوي على اراء غريبة عن الاسلام ، الا انها طلعت باسم العدالة الاجتماعية • لقد دعت الحركة الى المساواة في نطاق المبادىء وانكرت الفوارق العنصرية باسم الدين ، وارادت حسب دعوة اصحابها ان تكسب الناس جميعا وان تصهرهم في نطاق مبادئها وارائها •• وعملت الدعوة الاسماعيلية على احداث ثورة تقلب الاوضاع السياسية وغيرها ، واتخذت من كل

الجماعات المتذمرة سلاحا لقلب الاوضاع ·
ولابد ان نبين ان هذه الحركة اتخذت اشكالا وبرامج مختلفة حسب البيئات التي عملت فيها ، وهذا يوضح التباين في برامجها العملية · فقد دعا القرامطة في السواد الى نوع من الشيوعية حيث لا ملكية فردية ،وليس للفرد الا سلاحه ، وحيث يأخذ كل قدر حاجته ويعطي للجماعة كل إنتاجه واهتم الفاطميون في مصر بزيادة الانتاج وتحسين الوضع المعاشي ورعاية أصحاب الصنايع والحرف ، وابدوا تسامحا كبيرا مع جميع الفئات ، ولم يعد يبعد نظامهم كثيرا عن الاوضاع في البلاد العربية الاخرى ·
اما في البحرين فقد دعا القرامطة الى نوع من الاشتراكية ، اذ اعتمدوا الاقتصاد الموجه وعملوا على الغاء الرق وعلى تسليف الزراع ومساعدة الصناع ماديا وأدبيا وتنشيط انتاجهم ، وسيطروا على التجارة الخارجية وسكوا عملة خاصة لمنع تسرب الثروات للخارج ·
ومن الجدير بالذكر ان الحركة الاسماعيلية نجحت في الوصول الى الحكم ودامت في بعض البلاد العربية مثل اليمن ومصر والبحرين ولكنها اخفقت في سورية والعراق · لقد نجحت في مصر والبحرين لانها وضعت تدابير اقتصادية فيها شيء من العدالة الاجتماعية عالجت ظروف المجتمع العربي الاسلامي ، فتمكنت من الاستمرار · اما في العراق فقد جاءت بتدابير تناقض قيم المجتمع ومفاهيمه ولذلك لقيت منه اعنف مقاومة وانتهت فيفترة قصيرة · وفي سورية لم ير المجتمع منها الا العنف والتنكيل فنبذها وحاربها دون هوادة · ولم تنجح الحركة في ايران ، وانما تركزت في حركة ارهابية هي حركة الحشاشين التي شكلت تهديدا شاملا للمجتمع الاسلامي ،معتصمة في قمة جبل حتى لقيت حتفها ·
ان تحليل ظروف الحركة الاسماعيلية وانتشارها يكشف عن الفوارق الاقتصادية وعن تضارب المصالح وعن دور المصالح الاقتصادية في التاريخ ، ولكنه يكشف إيضا عن دور الافكار والآراء الدينية في تحريك الجماعاتوفي إندفاعها · ومهما قيل عن الجذور الفكرية للحركة وعن تطورها فان دعاتها وجدوا في مبادىء العدالة الاجتماعية في الفكر الاسلامي سبيلا لبث دعوتهم، ووجدوا في التناقض بين هذه المبادىء والواقع مجالا رحبا لترويج دعوتهم ·
وبعد كل هذا فان الحركة الاسماعيلية لم تدم لانها جاءت بـآراء لا تاتلف والمفاهيم الهامة ، ولذا كان زوالها شاملا الا في أماكن معزولة ·
في هذه الفترة نشطت الصناعة وتوسع نطاقها، وظهرت المعامل كمعامل الزجاج والسكر والورق والجلود والنسيج · وكثرت مجموعات اهل الصنايع والحرف ونظموا انفسهمفياصناف ونقابات لها مفاهيمها وشعائرها ولها اثرها في الحياة الاقتصادية ·
وقد عملت النقابات والاصناف المهنية على تحسين الانتاج ورفع نوعية الصناعة ، وعلى تنظيم الاسعار · كما انها عملت على حماية الصناع ، وعلى

تنظيم حياتهم . وكان لكل حرفة درجاتها في الصنعة ولها ممثلوها امام السلطات . وحاولت السلطة من جانبها ان تضع رقابة على نوعية الانتاج وعلى سلوك الاصناف ، وتمثل ذلك في توسيع سلطة المحتسب واعوانه ليشرفوا على الاسواق حيث تتجمع الاصناف . ويهمنا ان نذكر ان الاصناف والحرف كانت تربطها جنب رابطة المهنة قيم خلقية واجتماعية اسلامية ، وانها اتصفت بالتسامح ، فسمحت للصناع بالانضمام اليها بصرف النظر عن اديانهم واجناسهم ، وهذا مالم تعرفه النقابات الاوربية في العصور الوسطى لانها كانت تبعد عن صفوفها مخالفيها في المذهب أو العقيدة كما انها لم تلتزم بمثل هذه القيم الخلقية الواضحة . وكان دور الاصناف كبيرا في الحياة الاقتصادية واحيانا في الحياة العامة .

واذا كانت الاصناف تمثل الجانب السلمي من تنظيمات العامة ، فان حركات العيارين والشطار تمثل رد فعل عنيف للاوضاع الاقتصادية والسياسية . ويهمنا ان نوضح ان العيارين والشطار ظهروا في صفحات التاريخ بمظهر اللصوص والنهابين ، ولكن كانت لهم تنظيمات سرية ،تشبه النقابات وكانت لهم شعائرهم . كما انهم تبلورت لديهم قيم خلقية في الفتوة وكانت وجهتهم مقاومة السلطة ، وعدم التعرض للضعفاء والنساء بل انهم ادعوا ان المثرين اهملوا مبادىء الدين ونصوص الشريعة فاستغلوا واذوا الفقراء والضعفاء وان العيارين قاموا لاخذ حقوقهم المهدورة عنوة . وكانت هجماتهم تتركز على رجال الشرطة وعلى التجار . وقد قاموا في بعض الفترات القلقة بحفظ الامن ومكافحة الغزاة والاجانب كما فعلوا في حصار بغداد في منتصف القرن الثالث . ولا ننسى ان نشاطهم قوي في فترات التسلط البويهي والسلجوقي .

بعد هذا ، نود ان نشير الى جانب آخر ، وهو ان الاقطاع الذي عرفته اوربا والذى عم ارجاءها لم يجد له مثيلا في المجتمع العربي الاسلامي وذلك لان التجارة كانت دائما عاملا مهما في الحياة الاقتصادية ، ولان الطرق التجارية برية وبحرية كانت مفتوحة بين البلاد الاسلامية والخارج . ومن جهة ثانية نجد العرب في اثناء قيامهم بالفتوحات يعتبرون الفلاحين احرارا ولم يقروا رق الارض ، ولم يعترفوا بالاقنان (وهذا ما يفسر اللجوء فيما بعد الى شراء الرقيق الاسود لاستخدامهم في منطقة البصرة وغيرها) . ولكن هذا لم يمنع ظهور اقطاع من نوع آخر وهو قيام الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة وتكاثر الفلاحين الاجراء واستغلالهم من قبل الملاكين الكبار .

وهكذا كان منتظرا في هذه الاوضاع الاقتصادية التي تبلورت في القرن الرابع الهجري « العاشر الميلادي » ان تصطدم المصالح وان يتعرض المجتمع لهزات اجتماعية خطيرة وتمثل ذلك في حركة الاسماعيلية ، وهي ثورة شاملة ، وفي حركات أخرى كحركات العيارين والشطار .

ولكن المجتمع عرف جوانب أخرى . فقد كانت هناك بعض الخدمات التي تقدمها الدولة لفئات الشعب . هناك المستشفيات التي تنشئها الحكومة للعناية بالمرضى وللعلاج المجاني ، وهناك الوقوف الخيرية الواسعة والهبات للمحتاجين والفقراء وللتعليم . هذا اضافة الى الزكاة .

ويمكن ان نشير الى محاولات الحكومات احيانا الى مكافحة الغلاء وتخفيض الاسعار انقاذا للناس من الهلاك . كما نلاحظ محاولات الحكومة احيانا لتسليف الزراع ومعاونتهم لتشجيع الزراعة وتربية الماشية . وجرت محاولات لتخفيض الضرائب على انواع من البضائع المستوردة تيسيرا للناس وتشجيعا على توفيرها . كما نجد محاولات لمكافحة الاحتكار ولا سيما احتكار الاطعمة والمواد الغذائية لوضع حد لاستغلال التجار الجشعين .

كل هذه التدابير لا تعدو أن تكون أثرا لفكرة العدالة التي عرفها المجتمع والتي توخت التخفيف عن كاهل العامة ، ولكنها كانت محدودة الاثر .

وجرت محاولات لفرض ضريبة على المواريث ، وكانت الضريبة المفروضة احيانا عالية تبلغ النصف أو أكثر . ولكنها وجدت مقاومة ولم تستقر كضريبة مشروعة .

وان اردنا أمثلة أخرى فاننا نجدها في نطاق محدود . ففي البحرين مثلا نجد قيادة جماعية باسم مجلس العقدانية تحكم البلاد . ونجد الحكومة تسيطر على التجارة الخارجية وتسك نقدا من الرصاص وذلك لمنع تسرب الثروة الى الخارج ولتأكيد سياسية الاكتفاء الذاتي والاقتصاد الموجه . كما ان الحكومة حاولت تشجيع الزراع والصناع عن طريق التسليف واعادة النظر في الضرائب وعملت على الغاء الرق . وهي تدابير اريد بها تحقيق العدالة الاجتماعية . وهي ان دلت على شيء فانها تظهر مجالات تطبيق العدالة بضوء الفكر العربي الاسلامي .

ونود ان نؤكد اننا لا نذكر هذه التدابيرلنتخذها سبيلا لتبرير اتجاهاتنا الحالية ، ابل يهمنا ان تتضح الآراء والمفاهيم التي كانت وراء هذه التدابير والتي تكون جزءا من تراثنا الحي ، ومن قيمنا الاصيلة .

ويمكننا ان نتحدث عن بعض هذه المفاهيم بوضوح . فهناك انكار الاستغلال الذي يؤدي الى اكتناز الاموال والامعان في التسلط على الآخرين . لقد أنكر الاسلام ذلك لكي لا تكون هناك دولة بين الاغنياء .

ويتصل بذلك تحريم الربا ، وهو أوضح وابشع ضروب الاستغلال في مجتمع مكة التجاري . وقد هاجم الاسلام الربا أقسى هجوم لانه كان طريق الاغنياء لاستعباد الفقراء . وأكد الاسلام على حرمة العمل ، بانواعه وضروبه ، وهي نظرة تخالف النظرة البدوية التي تحتقر انواعا من العمل ، وفضل الاسلام العمل على العبادة مع التوكل ، وهي نظرة ازدادت قوة في الفكر العربي الاسلامي على مر الايام ، وحث على الكسب على ان يكون

بطرق سليمة وشريفة وعلى ان لا يكون سبيلا للاضرار بالاخرين ٠
واتجه المجتمع الاسلامي فى فترته الاولى ، حين فرض لكل من شارك في الفتوح أو الهجرة الى خارج الجزيرة مرتبات وعينات من الاطعمة ، الى تقليل الفروق بين الرواتب وكان حدها الادنى يمثل مستلزمات المعاش الضروري ٠ وهو اتجاه استمر أثره في الفكر العربي الاسلامي ٠
واعتبر الاسلام الموارد الطبيعية الرئيسة ملكا مشتركا للامة تشرف عليها الحكومة باسم الامة ٠ وهذا شمل الكلأ والماء وحطب الوقود ، ثم شمل الاراضي وطبق ذلك على الاراضي المفتوحة ٠ واعتبر المعادن في جوف الارض ملك الامة في الاساس تستغلها مباشرة ان ارادت أو تسمح باستغلالها على ان يكون خمس واردها لبيت المال ٠
وبجنب ذلك ترك الاسلام مجالا للنشاط الفردي ٠ فالارض الموات في الاصل للامة ، لها ان تحييها وتفيد منها ، ولها ان تسمح للافراد باحيائها ٠ وكذا الامر بالنسبة للمعادن فهي في الاصل للامة وقد تسمح الحكومة للافراد أو الشركات باستغلالها مقابل دفع الخمس ، كما حصل بالنسبة للمناجم على حدود النوبة ٠
وفرض الاسلام تقسيم الميراث ، ولم يتجه المجتمع الى حصره في وريث واحد كما حصل في المجتمعات الاخرى ٠ وكان سبيلا لتحقيق العدل ولمنع تكدس الثروة بأيد قليلة ٠ ومع ان الفكر اتجه الى عدم فرض ضريبة على المواريث الا ان البعض رأى ذلك واجاز التوسع في فرض الضريبة للصالح العام ٠
عرف المجتمع العربي تلك التطورات الاقتصادية التي أدت الى حدوث هزات فيه ٠ ولكن الوضع اصابه تحول خطير حين خضع للسيطرة الاجنبية، بويهية ثم سلجوقية ٠ ادت هذه السيطرة الى تضاؤل الخدمات الاجتماعية أو انعدامها ، وادت الى استغلال خيرات البلاد من قبل الاجنبي وعلى حساب ابنائها ٠ وادخل هؤلاء المحتلون الاقطاع العسكري أو اعطاء الاراضي المزروعة للقادة والامراء لينتفعوا بمواردها دون أن يعنوا برى الارض أو بالزراعة ٠ وضعف النشاط التجاري ، وظهرت فئة من الاتباع والمستغلين يتعاونون مع الاجنبي على افقار المجتمع واستغلاله ٠ وحاول الاجانب اثارة أسباب الفرقة من نعرات مذهبية الى تمييز عنصري ٠
وكان من آثار ذلك ان اهمل نظام الري وكثرت الضرائب ، فتدهورت الزراعة ، واستشرت البداوة على حساب الحاضرة ، وتدهورت حركة التجارة ، وشاعت الفوضى والفتن ٠ واصبحت هذه قصة البلاد في فترات التسلط الاجنبي التي دامت قرونا طويلة ٠
وعلى الرغم من هذا الانحلال ، فان الفكر لم يركد ، بل استمر نشاطه فترات طويلة ، ولا سيما في المدارس التي ازدهرت منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد ٠ ومع انه فكر يقل اصالة عن الفترات الماضية،

الا انه لم يعدم مفكرين افذاذا . والمهم فيه انه حفظ مفاهيم الفكر العربي الاسلامي في العدالة لاجتماعية والحياة الكريمة ، وحفظ جذوة الحريـة والكرامـــة .

ومن ناحية اخرى ، أدت السيطرة الاجنبية وما رافقها الى افقـار الشعب والى هبوط مستوى المعيشة الى درجة بعيدة . ومن مظاهر ذلك اننا نجد بين صفوف العيارين والشطار جماعة من الطالبيين والعباسيين .

ان سيطرة الاجانب أدت الى توسع حركات العامة ، كما يظهر من اشتداد حركات العيارين والشطار ، والى توسع حركة الفئات الشعبية ضد السلطة الاجنبية ، والى ظهور وعي لم يسبق له مثيل . وحين ننظر الى حركة العامة ، ولا سيما في القرن الرابع وما بعده ، نجد انها تتخذ قيمـا خلقية واضحة مكنت من اعادة تنظيمهم في حركة الفتوة في اواخر القرن السادس الهجري من قبل الناصر لدين الله .

لقد كانت للعامة تنظيماتهم ، في نقابات واصناف ، وكانت أهم حركاتهم التي اتخذت طابعا سلبيا في الظاهر حتى اتهموا باللصوصية وبالعبث بالامن ولم تكن القيم الايجابية لديهم مفهومة ومنها مساعدة الضعيف ومكافحـة المستغلين من تجار ومتنفذين . ولكن الحركة بعد التسلط الاجنبي اتخذت طابعا شعبيا توسع بمرور الايام وتعاونت مع العباسيين في أواخر ايامهم ضد الاجنبي وتلاحمت تنظيمات العامة في حركات الفتوة التي رأت الصلة بين التسلط الاجنبي وبين الاستغلال والظلم . وبات من اهدافها تحقيق العدل ، ومكافحة الفوضى ، وحماية المظلومين ومكافحة الطغاة .

لقد كان الوعي العربي قويا قبل هذه الفترات المتأخرة ، وكان يتمثل في الكتاب وفي فئات من المتنفذين ، وكان يستند الى العربية والى المبادىء والقيم العربية الاسلامية . ولكن التسلط الاجنبي وسع قاعدة الوعي ،وجعله يتمثل في القاعدة الشعبية وفي الفكر . وقد تنبه العباسيون الى اهمية القاعدة الشعبية في أواخر القرن السادس ، حين اتفقوا مع الحركة الشعبية في تنظيم الفتوة ، وحين ترأس الناصر لدين الله هذه الحركة وحين حاول جعلها سندا لكيانه وحاول بثها في الآفاق وجعل مرجعها اليه . حدث هذا التطور الخطير بعد فوات الاوان اذ سرعان ما غمرت الموجة المغولية كل شيء وبقي الشعب العربي يصارع الكوارث والاحداث .

لقد ارتبطت فكرة الحرية والعيش الكريم بمقارعة التسلط الاجنبي ومكافحة استغلاله والتخلص من ركائزه . واتخذ الوعي العربي صفة شعبية استمرت خلال تلك الفترات ، يعززه التراث العربي والمبادىء الاسلامية . ومع ان الوعي هذا بدا مبعثرا أو مجزءا في فترات مختلفة الا ان جذوره الموحدة استمرت ووجد احيانا بين المفكرين من يغذيه ، وفي الاحداث ما يذكي جذوته .

وبقي الوعي العربي يستند الى مصادر حيوية ، فنجد في العربية وفي

الارث الثقافي العربي قاعدته وأساس وحدته ، على الرغم من التجزئة المصطنعة والمحاولات المتصلة لطمس ذاته . ويجد في المبادىء الاسلامية وفي القيم الخلقية والمثل الانسانية روحه ومنبع حيويته ٠

ومع ان تاريخ الامة يكون سلسلة متصلة الحلقات ، بمعنى ان كل حلقة تؤدي الى التي تليها ، فان بعض فترات تاريخ الامة تبقى مصدر حيوية في تطلعها الى حياة أفضل ٠ ولذا نجد الامة العربية في يقظتها الحديثة واندفاعها القوي تتطلع الى تلك الفترات التى تمثلت بالحيوية والابداع والتكوين الحضاري ، الى فترات التأريخ العربي الاسلامي الاولى ، فترات الفتوة والبناء - وطبيعي ان تتخطى الامة العربية وهي تستعيد ذاتها وتستلهم ارثها وقيمها ، طبيعي ان تتخطى فترات الخضوع والركود وان تنظر الى فترات الابداع الحضاري لتنفض عنها الرواسب ، ولتغذي جذور الحياة فيها وتغنيها في سبيل بناء حياة جديدة ٠

والحياة الجديدة لا تبنى بالتأملات النظرية ، ولا تقوم بالآراء المجردة ، بل هي عملية تجديد عضوي وبناء متصل ٠ انها تنبعث نتيجة تفاعل عاملين أساسيين ، اولهما عامل الوعي الذاتي الذي لا يخبو مطلقا ، لكنه يقوى في بعض الفترات ويضعف في فترات أخرى ٠ وفي هذا الوعي الذاتي تتمثل أسس حيوية الامة ومنابع قوتها ٠ وهو كلما اتسع وازداد عمقا ازداد ارتواءا من تلك المنابع ، وازداد اصالة ونفض عنه الرواسب وارتفع عن التقليد ، والفرق كبير بين التقليد وبين الاخذ الذي يزيده قوة وغنى ٠ وثاني هذين العاملين ، التحديات التي يتعرض لها الوعي ، وهي تحديات خارجية وداخلية ٠ ولقد تعرض الوعي العربي عند بزوغه في العصر الحديث لتحديات داخلية ، تتمثل في التخلف والركود وفي الاستغلال الاجنبي والمصالح المركزة ٠ ثم تعرض المجتمع العربي في أواخر القرن التاسع عشر لتحديات زمرة الاتحاد والترقي في محاولة يائسة لتتريكه ولطمس ثقافته وذاته ٠ ثم تعرض لتحديات الغزو الغربي ، التي بدأت فكرية واقتصادية ، ثم طغت في الغزو العسكري والسياسي ٠ وهي تحديات ندر ان شهد المجتمع العربي لها مثيلا في الاتساع والشدة والاستغلال ٠

تعرض المجتمع العربي لهذه التحديات ، وهو مجزء ، يقاسي البعثرة والضياع ، وهو متخلف غير متهيأ لهذه الاخطار ، فكان بين ان ينهار ويفقد ذاته وبين أن يأخذ طريق الكفاح الشاق المتصل ليجد الحياة التي يريد ٠

وكان امام المجتمع أن يعزل نفسه عن التيارات الحضارية الحديثة لارتباطها بمصادر الاعتداءات والاستغلال ، كما اراد البعض ، وبين أن يفيد من انجازات خصومه ومن امكانياتهم واسلحتهم ، ليكون في وضع اقوى على مجابهة الاخطار وليكون أقدر على تجديد ذاته كما اراد آخرون ، فاختار السبيل الثاني بعد جهد وجهاد طويلين ٠

ولسنا هنا بصدد تحليل تطور الوعي العربي فتلك قصة طويلة ، ولكننا نريد أن نلمس بايجاز خطوط مراحله التي ادت الى الثورة العربية الشاملة التي تمر بها والتي رسمت اهدافها الكبرى بالحرية والوحدة وبالعدالة الاجتماعية ، أو الاشتراكية العربية ، وهي اهداف متشابكة شاملة ، ولن ترى صلة هذا الوعي بجذوره الحضارية وبتراثه ·

بدأ الوعي العربي الحديث قبل أكثر من قرن بين فئات من المثقفين الواعين ، وربط التخلف والاستغلال بالتسلط الاجنبي ، وهي صورة طبيعية تكونت لدى المجتمع منذ قرون واكدتها الفترات السود المتعاقبة مذ فقدت الامة حريتها · بدأ الوعي ذاتيا ورأى في الخطر الاجنبي حافزا لاصلاح الذات والعمل ·

والتفت ممثلو الوعي الى التراث بما فيه اللغة يحاولون احياءه وتيسيره ، ورأوا في التاريخ سبيلا لتكوين الثقة بالنفس ، ولكنهم نظروا اليه نظرة عاطفية استمرت مدة طويلة · ورأوا في صدر الاسلام مثلا يرجعون اليه يستلهمون مثله ويستنيرون بمبادئه · وكان الهدف الذي ارادوه بث الحيوية في مجتمع راكد والعمل على التجديد وعلى التحرر من التسلط الاجنبي · ورافقت ذلك نظرة عاطفية الى الوحدة ، لا سيما ان جل البلاد العربية كانت تحت الحكم العثماني ·

وجاء التحدي الغربي ، ثقافيا واقتصاديا ، وبدأ تسلط الغرب على اطراف العالم العربي في شمال افريقيا وعلى سواحل الجزيرة العربية ، وبدأ يهدد قلب العالم العربي ، وتأثر البعض بالفكر الليبرالي وبمبادئ الثورة الفرنسية واتسعت الدعوة الى الحرية · وكانت خطوط الحيوية تتمثل في الدعوة الى تجديد الاسلام وفي العمل على تأكيد العروبة ، وكان الخطان متداخلين · وظهرت الجمعيات العربية لتقوم بدورها في التوعية · ثم ظهرت الدعوة صريحة الى التحرر والاستقلال ·

وطغت الموجة الغربية سياسيا وشهد المجتمع العربي المجزء بين دول الغرب في العقد الثاني من القرن العشرين مرارة التجزئة العنيفة وخطر فقدان الذات والانجراف في الموجة الغربية · وكان التحدي عنيفا قاسيا للوعي العربي أكد مقاومته ووسع أفقه ، وشهد المجتمع العربي أنواعا من الاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي لم يشهد مثله · وكان التحدي شديدا ·

وجاءت ردود الفعل متماثلة في الخطوط العريضة ، ولكن التجزئة شغلت كل جزء بنفسه · وازداد الوعي العربي قوة في السعة والعمق ولم يعدم الاتصال والتجاوب بين الاجزاء · واتجه الجهاد العربي الى التحرر السياسي من الكابوس الاجنبي من جهة والى العناية بالتراث لحفظ الذات · وكان الرأي ان التخلص من الاستعمار يعني تحقيق الحرية والتخلص من الادواء والمشاكل · وبدأت الاحزاب السياسية تظهر لتقوم بدور في التوعية

ولتساهم في المعركة بدرجات مختلفة ·

وشهدت البلاد العربية سلسلة من الثورات المسلحة ضد الاستعمار في البلاد العربية في آسيا وافريقيا ، وكانت هذه الثورات منفصلة في البدء ، وان وجدت صداها الفعال في البلاد الاخرى · وكانت جميعا تدعو الى الاستقلال والى طرد الاجنبي · وحصلت بعض البلاد العربية على نوع من الكيان · وصحب ذلك دعوات الى برامج اصلاحية لم تنفذ بعيدا ولم تحدث تغييرات أساسية · واتسعت قاعدة الوعي وبدا يتغلغل بشكل محدود ومتدرج بين الجماهير ·

وفي هذه الفترة لم تتعد الدعوة للوحدة حدود الشكليات · وعلى الرغم من انتشار التعليم والثقافة لم تحصل اصلاحات تذكر في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية · ولم يستند الحكم الى الشعب على الرغم من الاشكال البرلمانية التي خدمت المصالح القائمة · وبرزت المصالح المرتبطة بالتجزئة والنظرات المتصلة بها ، كما ظهرت مصالح ترتبط بالدول المتسلطة وقامت مصالح اقتصادية جديدة ، ترتبط باوضاع التبعية · وهكذا ظهرت الكيانات بانواع جديدة من التبعية ·

وتبين ان احياء التراث وحده والتمجد بالماضي بروح عاطفية قد يؤدي الى التواكل والى نسيان الحاضر ومتطلباته · وعصفت بالمجتمع العربي تيارات من الآراء الغربية ودخل في دوامة الاراء المصطرعة وكان المجتمع فراغا مفتوحا لكل وارد ووافد ·

وتعرض المجتمع العربي من جديد ، مع التجزئة القائمة ، الى اقسى التحديات الغربية في كارثة فلسطين التي كشفت بدورها عن عزال الكيانات وعن دور التبعية وتركزها وزيفها وعن أخطار التجزئة على الوجود العربي · لقد تحدت هذه الكارثة طاقات الامة العربية ووجودها ، ودفعت بها في طريق الكفاح الجديد طريق الثورة العربية ·

ثم جاء العدوان الثلاثي ليخير الامة العربية بين طريق الكرامة وبين الانحدار الكلي الى التبعية والعبودية · وكان أثره بعيدا في توضيح الطريق الثوري بكشف جذور التبعية المحلية والاستغلال المحلي وفي الاتجاه الى خط التحرر والعدالة الاجتماعية ·

وكان لفترة الحرب الثانية دورها في توجيه الانتباه الى النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، كما ان الحركات التحررية في آسيا كان لها أثرها الملموس في البلاد العربية ·

وكان من أثر هذه العوامل والاوضاع ان مر الوعي العربي في منتصف القرن الحالي بمرحلة نقد جذري للذات · لقد تكون مفهوم جديد للتحرر وهو التخلص من كل انواع التبعية والتخلص من الكيانات المقرونة بالتبعية · وتكون مفهوم جديد للحرية ، لا عن طريق الشكليات البرلمانية التي تخفي وراءها تحكم فئة محدودة ، بل باستناد الحكم الى الجماهير والارتكاز الى

القواعد الشعبية · وتبين ان الدعوة الى الاصلاحات التدريجية في عالم سريع الحركة والتحول لا تعني الا تأكيد التخلف وابقاء التبعية بشكل أو بآخر ، وان لا طريق الا بالتغيير الجذري الذي يتخطى التخلف ، ويدفع بالطاقات العربية الى اقصى امكانياتها في البناء ·

وتبين ، نتيجة اتساع الوعي العربي وعمقه ، ان كل تغيير لا يضع مصلحة جماهير الشعب في الاساس ولا سيما في الحقل الاقتصادي والاجتماعي لن يكون له أثر يذكر غير تأكيد التبعية والاستغلال بشكل أو بآخر · بل ان التغيير الجذري لا معنى له ولا وجود الا أن يكون لصالح الجماهير ليكونوا قاعدته وأساسه · ومن هنا برزت العدالة الاجتماعية ضرورة أولية في الحديث عن أي بناء متين ·

وقبل هذا كله وبعده ، بدأ يتضح ان احياء التراث والعناية بالعربية وحدها لا يكفي ان اردنا ان يكون البناء عربيا في جوهره يمثل قيم الامة ومبادئها الانسانية · واتضح ان كل بناء لا يتمثل نظرة الامة للحياة وقيمها ولا تكون جذوره في التربة العربية لا يمكن أن يرسخ وان يحقق امكانيات الامة واهدافها ·

بضوء هذا ، وجب فحص ارث الامة وتقييمه ، والكشف عن مصادر حيويتها وطاقاتها واتخاذ المثل والقيم والاتجاهات التي يمكن الركون اليها في البناء الجديد الذي نريد · وكان طبيعيا ان نجد في المبادىء الاسلامية بنظراتها الانسانية وبمفاهيمها التعاونية وفي القيم الروحية والمثل الخلقية اساسا للبناء ، وهذا منطلق واضح في طريق عملنا وتفكيرنا ·

اننا حين ننظر الى التراث وما يحتويه من مبادىء حية ومثل وقيم وما ينطوي عليه من خبرات انما نريد ان نتفهم جذور هذه الاتجاهات الثورية في الوعي العربي الآن - اننا لا نريد البحث عن تبريرات لآراء سبق أن نادينا بها بل لنكتشف ان هذه الآراء تعبير ذاتي عن طبيعة الوعي الثوري واتجاهاته ·

لقد أكد تراثنا الفكري على منع الاستغلال باشكاله فانكر الاحتكار مثلا لئلا يتحكم البعض في حياة الناس ومعاشهم · وحرم الاسلام الربا ليمنع نوعا بشعا من الاستغلال واتجه الى الحد من الفوارق في الملكية لكي لا تكون بين الاغنياء دولة وليمنع تحكم فئة في أخرى · ويتمثل هـذا في تصنيف الاعطيات والرواتب زمن الراشدين كمحاولة عملية لتحقيق ذلك · هـذا هو المبدأ الذي يتخلل الفكر العربي ، وجاءت الانحرافات العملية وعرضت المجتمع لهزات خطيرة يمكن ان تكون حافزا آخر للسير في طريق العدالة الاجتماعية ·

ويرتبط بهذا المبدأ المحاولات الواسعة لتيسير التعليم وتوفيره ، ولتوفير العناية الصحية بالمستشفيات المجانية في المجتمع العربي ، والمحاولات التي اتخذت لتوفير الرعاية الاجتماعية ·

وفي تراثنا تأكيد للتعاون كأساس للعمل ونكران الذات الفردية في ذلك • وكان هذا المبدأ من أهم الاسس التي قام عليها المجتمع في دور تقدمه وابداعه • ظهر هذا المبدأ في التعاون الزراعي في القرى في بعض البلاد العربية ، وظهر في نطاق العمل وتنظيماته ، كما ظهر في المجال الاجتماعي •

ومن المبادئ التي أكد عليها الفكر العربي الاسلامي تأكيد حرمة العمل ، والحث على الكسب الحلال وترك التواكل ، لضمان العيش الكريم • وهو تأكيد تحوطه قيم خلقية اساسية ، منها تحديد هذا العمل بخير الامة ومصالحها وان لا يكون سبيلا للاضرار بالآخرين •

ويتصل بهذا طبيعة الملكية الفردية ، فهي وان كانت محترمة الا انها لا تعدو من حيث المبدأ ان تكون وظيفة اجتماعية ، وللامة ان تنهج حيالها ما تراه أضمن لمصلحتها بالتقييد أو الحد او التوجيه• ويمتد الى هذا الضرائب التي تفرض وهي في الاساس ضرائب يراد بها خدمة المجتمع لتقليص الثروة في جهة وتقديم العون الى المحتاجين ولكنها لم تؤد الى النتيجة المنطقية بعد التطورات العملية • كما ان نظام الارث استهدف منع تكديس الثروات والوقوف في وجه التسلط الاقتصادي •

وهناك مبدأ أساسي ، وهو ملكية الامة لمصادر الثروة في المجتمع أو لوسائل الانتاج وكذا للمرافق العامة الاساسية • فالارض والماء والمراعي هي ملك الامة والمعادن هي في الاساس ملك الامة تديرها وتشرف عليها الحكومة باسمها ولمصلحتها • وليس التأميم الا ملكية الامة لوسائل الانتاج واشرافها على طريقة استغلالها لمصلحتها •

وقد سيطرت الدولة على بعض الصناعات الرئيسة للصالح العام مثل صناعة بعض الاقمشة (الطراز) والاسلحة • وهذا تعبير عن مبدأ يتصل تطبيقه بخطة الامة ووجهتها وتتضح حدوده بضوء ذلك •

ومن المبادئ الاساسية للمجتمع العربي الاسلامي مبدأ الثورة لرفع الجور ولتحقيق العدل ولبناء مجتمع أفضل • وهل كان الاسلام الا ثورة شاملة قلبت الاوضاع وأحدثت تغييرات جذرية في نواحي المجتمع كلها • وقد عرف المجتمع العربي الاسلامي اكثر من ثورة للقضاء على الجور ولتحقيق العدالة • وقبل هذه المبادئ وبعدها ، مبدأ أساسي هو ان الامة هي الاساس وكل عمل عام وكل مصلحة حكومية انما تقوم باسمها ولخدمتها • هذا هو المبدأ الذي أكده الفكر العربي في كل الظروف حتى في أحلكها • كما ان الولاء لها أساس كل ولاء وبداية كل عمل عام • ولذا كان مبدأ الشورى أول مبادئنا ، ولذا كان الاجماع اساسا حيا في التشريع عبر العصور •

وقد وجدت هذه المفاهيم تطبيقها العملي في صدر الاسلام • فهناك نلاحظ ان الامة تحوطها العقيدة وتشدها في تكوين واحد ، وان كل فئات الامة تعمل في خطوط واحدة • ولما كانت رسالة الامة الخارجية الجهاد ورسالتها الداخلية البناء نجد أن رأيها يتبلور في رأي فئات الامة كافة وانها

بمجموعها تكون الجيش الذي حمل الرسالة للخارج ، كما نجد ان نظـام الضرائب ، وبناء المدن الجديدة (دور الهجرة) ونظام العطاء وضع ليحقـق هذه المفاهيم في تخطيط واحد •

كل هذا يعني وحدة العمل العام ، ووحدة الخطوط التي تحقق الاهداف الرئيسة في نطاق واضح ، ووضع التنظيم المستند الى العقيدة والذي يمكن من تحقيق الاهداف الرئيسة • ولم يجد المجتمع أساسا في تنوع الاجتهاد في اطار الخطوط الرئيسة والاهداف العامة ، بل أنه رحب بذلك •

ولا بد ان نشير الى مبدأ اخر ، وهو أن المجتمع العربي اكد على المبادىء والقيم الاساسية وان التشريع انبثق عنها بضوء التطورات العملية والحاجات ولذا نجد الخبرة والتطبيق تسبق التشريعات التفصيلية مـــع الرجوع الى اصول واحدة لغرض التشريع • وهذا يعني ان التطبيقات العملية أو تجربة المجتمع وواقعه كانت نقطة الابتداء وأساس التفكير • ولذا نجد التأكيـــد باستمرار على صالح الامة وعلى الضرورات التي يوجبها تطور أوضاعها •

وأخيرا نذكر ان المجتمع العربي الاسلامي أكد في جميع الظروف عـلى مبدأ العدالة الشاملة ، واعتبر ذلك أساس كل خير وقاعدة البناء • ويتمثـل مبدأ العدالة في تساوي الحاكم والمحكوم أمام القانون وفي التكافل الاجتماعي ، وفي الكثير من الخدمات الاجتماعية التي قامت بها الدولة في فترات مختلفـة وفي تيسير التعليم وفتحه للجميع • والمهم ان مبدأ العدالة يعتبر القاعـــدة الاولى للمجتمع العربي الاسلامي •

اننا حين نذكر هذه المبادىء التي تتخلل تراثنا العربي الاسلامي ، بعد ان تعرضنا لخبرات المجتمع العربي ، انما نريد ان نبين ان العدالة الاجتماعية التي نريد ، أو الاشتراكية العربية ، لها مفاهيمها وقيمها الاصيلة • كما اننا نبين أن الوجهة العملية أو التخطيط انما ينبثق من طبيعة الوعي العربي ، ومن واقعنا الذي يفرض علينا التغيير الجذري لنتوصل الى بناء مجتمـــع عادل مرفه •

ونحن نلاحظ ان فترات الازدهار والبناء هي فترات الحرية الشاملة للامة ، وللفرد في نطاقها وضمن أهدافها ، وان هـــذا الازدهار كان حـين تظافرت فئات الامة وقواها في اطار العقيدة الواحدة وحين لم يشع الاستغلال الداخلي •

ونحن نرى بعد هذا ان المبادىء الاساسية التي تتخلل التدابير العملية التي نهجتها الاشتراكية العربية والقيم التي تتخللها انما هي مبادىء وقيـم نابعة من صميم تراثنا • كما اننا لاحظنا ان الوجهة العمليـــة والتطبيقات صادرة عن واقع المجتمع العربي بضوء متطلبات الثورة العربية وفي سبيل تحقيق أهدافها •

ونحن بعد هذا لا نعيش الان ، كما لم نعش في الماضي بمعزل عـــن تجارب البشرية وعن خبراتها العلمية والعملية ، بل اننا نريد ان نفيد منها

باذهان مفتوحة . وهذه نظرة عربية تخللت فترات البناء والازدهار للمجتمع العربي .

ان العدالة الاجتماعية التي تنشد تتمثل في الاشتراكية العربية وهي حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية ، في تفاعلها الايجابي مع واقعنا وفي سبيل المجتمع الجديد الذي نريد مستفيدة في تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمي .

الأدب والوحدة العربية

الدكتورة سهير القلماوي

لم ير العرب في آل عثمان يوم جاؤا مدافعين عن بيت المقدس الا أنهم مثلهم مسلمون · فلم يحاولوا أن يقاوموا حكمهم الا يوم انحرفوا عن الاسلام فاستبدوا وبطشوا وتعالوا بطورانيتهم وتركوا بلاد المسلمين نهبا لقوى الاستعمار الغازية · لذلك كانت أول مقاومة لاستبداد الترك وفساد حكمهم باسم الاسلام على يد الوهابيين في القرن الثامن عشر · وكان العرب يحسون عروبتهم واسلامهم في آن متمازجين مختلطين حتى أنه لما جاء ابراهيم بن محمد علي أوائل القرن الماضي ليوحد بين مصر وسوريا ويناهض الوهابيين لم يستطع أن يحرز نصرا الا يوم أكد للعرب أنه عربي مثلهم ·

وتداخل التعلق الديني في مفهوم العروبة وعسر ميلاد القومية العربية قرنا أو يزيد · لقد كان العثمانيون الدولة المسلمة الوحيدة بين ثماني عشرة دولة مسيحية في أوربا · وبدأوا في آخر أيامهم يحاربون الروس والبلقان والطليان · وحاولوا أن يحموا الامبراطورية من تسلل الانجليز أو الفرنسيين · ولكن فرنسا تضع رجلها في مصر ثم تنزاح لتثبيت نفسها في الجزائر ثم تتدخل باسم حماية استقلال لبنان فتفرده ، وتوطد انكلترا أقدامها حربيا في مصر بعد ثورة عرابي ، وتتسلل الى العراق والى الجنوب العربي · وما تكاد تذر الحرب العالمية الاولى التي أطاحت بامبراطورية آل عثمان تظهر حتى وقع العالم العربي كله نهبا لتسللات الاستعمار باسم الحماية والوصاية والانتداب وما شاء الاستعمار من أسماء · وهكذا دخل آل عثمان أرض العرب حرة فأحالوها بلادا متخلفة فريسة للمستعمرين وجيوشهم ·

وابان هذا التحول ، وفي أواخره خاصة ، تنبه العرب على الخطر المحيق بهم ، فبدأوا عملية التجمع · وتنبه العثمانيون في الوقت نفسه الى الخطر المحيق بهم ، فحاولوا تجميع المسلمين · واختلط الامر في الثلث الاخير من القرن الماضي في المجال الفكري والعقائدي وأحيطت القومية العربية بضباب كثيف غذته الاحداث فازداد قتاما ·

تجمع العرب ، وظلم آل عثمان وتعاليهم وموجات التتريك تغذي هذا التجمع ولا تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم ، ولكن تجمع العرب أيضا والعثمانيون يخوضون حروبا عثمانية ضد نصارى أوربا سموها حروبا دينية فاذا كثير من العرب يحبون آل عثمان ويكرهون · يسخطون عليهم

ويميلون اليهم، يرون الظلم والاستبداد فينادون بالانفصال ثائرين ، ثم يرون تحديات الغرب المستعمر فتخف حدة الثورة ، وتؤجل الى حين الرغبة في الانفصال • وتكثر حروب تركيا حتى أن أول جمعية تألفت للمناداة بالانفصال عن تركيا اشترطت الا يحارب العرب الا في بلادهم • ولكن الحوادث تترى وأوضاع البلاد العربية تختلف من حيث الصلة بالحكومة المركزية في الاستانة فاذا الادب يعكس هذا الخضم المتشابك من الاحداث في صور شتى •

وكان الادب والشعر خاصة أصدق رؤية وأوضح نظرة من حيث مايجمع العرب ويجعلهم امة فريدة هي : خير أمة أخرجت للناس ، خيرها في أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أي أن خيرها مستمد من قدرتها على السلوك المثالي • لذلك اصطفاها الله فاختار منها خاتم النبيين وخير المرسلين بل اصطفى لغتها فجعلها وسيلة التعبير عن الوحي المنزل • ولكن القدرة على التفتح للغير ، التي كانت مصدر قوة للعرب طوال تاريخهم والتي منها دخل المسلمون من غير العرب حاكمين في أرضهم ، تتدخل في علاقة العرب بآل عثمان فتضعف من شأنهم اذ تطيل عمر تعلق العرب بالعثمانيين وتمد في رجاء أن يحققوا مصالحهم معهم وبهم ولا يخيب الظن الا بعد تجارب طويلة عديدة مريرة •

وصور الادب تعلق مصر بالدولة العثمانية مع الاعتراف بالوحدة العربية بل مع التعلق بالوطنية والاقليمية • لقد نادى عمر مكرم بالانفصال عن تركيا فلم تجد دعوته قبولا ولكن عرابي لما نادى بالجمهورية المصرية في ظل الدولة العثمانية ناصره الشعب كله في قوة اسطورية وتشبث خيالي • ونادى عرابي ومصطفى كامل بحق المصريين في أن يحكموا أنفسهم ولكن في ظل آل عثمان ، فتغنى شعراء مصر هـذا الوجه من الوطنية والعروبة لأنهم لم يعانوا استبداد الترك لانفصالهم عن الامبراطورية عملا ، ولم يكن يقويهم في حربهم جحافل المستعمرين الا شعورهم الديني الذي يربطهم بآل عثمان رباطا وثيقا • لذلك لم يرث العثمانيين أحد من الشعراء قدر ما رثاهم شعراء مصر •

أما الشام الكبير وأما العراق فقد أحس استبداد الترك وفوضى حكمهم وتمييزهم العنصري والعقائدي ومن هنـا نبتت بذور الادب القومي ، المستقل عن الترك والدين ، في الشام صافية خالصة • وان كانت ابان ظروف معينة نراها تتحد مع مصر في خلط القومية بالولاء الديني أو شبه الديني لآل عثمان • وكان دخول فرنسا لتأكيد الكيان اللبناني وحمايته بعد حرب الستين ١٨٦٠ أول خطوة دامت لفصل بلد عربي عن سلطان آل عثمان تحت راية أجنبية • وكان دخول الجيش الانكليزي مصر سنة ١٨٨٢ لتأييد البيت المالك ثاني فصل استعماري لقطر من الاقطار العربيـة عن الامبراطورية • وكان الاستعمار الفرنسي قد حل في الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ولكن المغرب العربي لم يكن يعاني من حكم آل عثمان بقدر ما كان يعاني من فوضى الحال وعدم وجود حكومة فعلية • وعانى الادب القومي من عمليات البتر تلك

زمانا ولون الوضع صوره بالوان دخيلة ولم يقو الادب القومي في هذه البلاد الا بعد أن زحفت موجات التحرير وخف التغني بالكيانات المستقلة • ولئن ظلت وثائق السياسة تنطق بآثار الكيانات المستقلة حتى ان ميثاق جامعة الدول يعترف باستقلال الاجزاء ، فان الادب استطاع في سرعة أن يثور على هذه النغمات ويخفتها في تياره القوي الجارف • وهذا لا ينفي وجود شذوذ للقاعدة ،ولكن موجة التحرر وموجة الالتقاء على طريق الوحدة، وخاصة بعد ثورة مصر وتحرير الجزائر ،قضت على هذه النعرات وعلى غيرها • وبين الانتصار على التفكك انتصار العروبة على الكيانات والطائفية والاقليمية وغيرها وبـــين الميلاد المضبب في النصف الثاني من القرن الماضي نجـد تراثا ضخما للادب يرسم الخطوات واحدة واحدة ويقف بمقومات الوحدة يدفعها ويقويها ويقوي العرب بها •

ولقد ألف الذين كتبوا في هذا الموضوع أن يقفوا مع هذا التراث الادبي القومي حادثا حادثا في تاريخه يعدونه ويستعرضون ما ألف من أدب حوله •• منذ تاليف الجمعيات السرية لمقاومة الاستبداد العثماني وقد توج شعار أول جمعية بابيات ابراهيم اليازجي المعروفة الى أن انتهى العرب من تحديـــد معركتهم مع الاستعمار وخوض غمار أهم خطواتها في انتصار •

ولكن مرحلة الادب القومي في مقاومة آل عثمان وابان الحرب العالمية الاولى تتسم بخصائص فنية وموضوعية واضحة بينما مرحلة الادب القومي في مقاومة الاستعمار منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى الى فجر التحريـــر والوحدة تمتاز بدورها بخصائص أخرى فنية وموضوعية مغايرة •

وسنقف ببعض هذه الخصائص لاننا لا نملك في هذه العجالة أكثر من مجرد الوقوف وبالبعض • ففي مرحلة الثورة على العثمانيين نجد موضوعات بعينها تسيطر على الشعر خاصة هي بمثابة ارتياد الطريق نحو تحديد مقومات القومية لتكون سبيل وحدة وتجمع • فالعرب يتكلمون لغة واحدة هي أقوى رباط • وهي تتعرض لمحنة فيزداد التعلق بها لانها لغة ولا كاللغات لهـــا قداسة ولها تاريخ • بل ان للعرب أيضا تاريخا ويقف مع اللغة هذا المقوم الاخر على استحياء وفي عموم أول الامر • انه ارث مشترك وهو مما يفخر به الجميع بل هو مما يحفز على الثورة ويأبى الضيم والذل •

وضروري أن يتحد المسلمون وغير المسلمين لانهم في ظلم آل عثمــان أخــوة •

ان فرق الايمان بــين جموعنا فلساننا العربي خير موحـد •

ويقول الوليد في بن طعمة في مهاجره :

عيسى واحمد في بلواهما اعتنقـا والناطقون بحرف الضـاد اخوان

ويقول غـيره :

اتباع أحمـد والمسيح هـوادة ما العهد ان يتنكر الاخـوان

مهما يكن من فارق فكلاكمـا ينمـي الى قحطـان أو عدنـان

ولو تتبعنا الشعر الذي قيل في العربية على أنها الرباط الاول والاسمى والاقوى في القومية العربية لوجدنا هذا الموضوع يعكس بدوره ما مر به من أحداث حتى الاستعمار الغربي السافر . ففي محاولة الترك تتريك البلاد بتتريك الدواوين والمدارس اهمال أو منع تدريس اللغة العربية وفي محاولة الاستعمار أن تحل لغته محل لغة البلاد يقف الشعر موقفا صلدا ضاغطا على عظمة اللغة وجمالها وتفردها من بين سائر اللغات . لغة القرآن الكريم ولغة أمة حية أكثر من ستة عشر قرنا وفي حياتها الطويلة يتداولها التعبير الادبي فيزيد جمالها ويثري من طاقاتها .

يقول شوقي :

ان الذي ملأ اللغـات محاسنا   جعـل الجمـال وسره في الضاد

ويقول بدوي الجبل :

كل الربوع ربوع العرب لي وطن   ما بين مبتعـد منها ومقتـرب
للضاد ترجع انساب مفرقة   فالضاد أفضـل أم بـرة وأب
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة   شجى بحلق غريب الدار مغتصب

ويقول غنيم :

وما وحـد الجمع مثل اللسان   ولا اتحـد الجمـع الا غلب
اذا اتحـد الفكر في معشـر   تجمع من شمله ما انشـعب
قد انتظمت أمم الضـاد طـرا   فكانت كعقـد وكانـوا كحب
فـذا كاتب من أعالي الفرات   وذا من دمشـق وذا من حلب

ويقول شفيق جبري :

تضمنا لغة لم يمح رونقهـا   زحف السنين بآلام وأشجان
لولا قواف بوادي النيل ننشدها   في غوطة الشام أو في أرز لبنان
لقطعت بيننا الاوهام واضطربت   بنا الوساوس في وصل وهجران

بل ان سعد زغلول قيل له يوم تزعم مصر

أمدد يديك وصافح كل من نطقوا   بالضاد يقبل عليك القوم كلهم

ولما تعرضت اللغة لحملات الاستعمار قال حافظ ابراهيم قصيدتـه المعروفـة :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي   وناديت قومي فاحتسبت حياتي

وهكذا يرسم الشعر لهذا المقوم الاول في القومية العربية تاريخا طويلا هو قصة انتصار العرب في معركة التتريك وافناء الاستعمار لشخصية العرب .

ولكن مرحلة الاستبداد التركي تضغط على موضوعات أخرى غـير اللغة والتاريخ ، فتقارن بين العرب والترك في الحضارة ، وتشيد بالاحداث الجارية على اختلافها وتقف من استبداد الترك مواقف أكثرها ضعيف بسبب تعلق ما يزال بالترك المسلمين .

فانتصار اليابان على الروس يرى على أنه نصر على اعداء تركيا من جهة وعلى أنه أيضا أمل في نصرة الضعيف على القوي : أي في انتصار على تركيا

نفسها . فاذا الشعر يمجد اليابان في قوة لا يبررها الحادث نفسه ويقفز الاجماع بالفرحة بنصر اليابان ليضخم الموضوع الى ما يجاوز حقيقته بكثير . ويأتي اعلان الدستور العثماني بعد ذلك بأربع سنوات (١٩٠٨) مسويا بين الترك والعرب فيهلل له الشعراء والأدباء لانه يحفظ كرامتهم ويؤاخي بينهم وبين الترك .

يا آل عثمان من ترك ومن عرب ... وأي شعب يساوي الترك والعربا

ولم يبق شاعر معروف أو غير معروف لم يهلل للدستور في مصر والشام والعراق وكأنما اعلانه قد أنقذ الحيارى وأوجد الحل الذي يجنبهم اراقة الدماء . ولكن سرعان ما يتنكر حزب الاتحاد فاذا الثورة أشد واقوى .

وهنا مرحلة الشعر المستنفر الذي يحض على ثورة ويدعو الى جهاد الاتراك . ويتجلى الشعر القومي في أجلى صورة . شعر ينضح بالعواطف الجياشة وبالاباء والعزة العربية ويرسم التاريخ في أبهى صورة كأنما هو يقول هذا تاريخكم أيها العرب فكيف ترضون الذل من بعد . ويساهم الكتاب كالكواكبي في امر القوى وطبائع الاستبداد في هذا التيار ، ويتدفق أدب الاصلاح الديني من جديد ويسهم في توضيح وجوب الثورة . وما تكاد تركيا تقف في الحرب مع الالمان حتى ينقطع آخر خيط يربطها بالوجدان العربي . لم تعد حربها للذود عن الاسلام وانما هي حروب مصالح وامبراطوريات . فلا بد للعرب من أن يستقلوا . وتأتي حادثة ضحايا الطغيان التركي ، شهداء العروبة ، على يد السفاح جمال باشا الذين شنقوا في ساحة دمشق وساحة بيروت فاذا لهيب يتفجر في رثائهم ويمتلىء الشعر ثورة عارمة . وتأتي ثورة الحسين لتلهم الشعراء بدورها : ثورة عربية فهذا ابن النبي يقود آمال العرب الى الاستقلال . ويلتقي الساخطون على آل عثمان مع الذين كانوا يتعلقون بهم في تيار واحد لا يشذ عنهم الا قلة قليلة يعود بعضها فيما بعد الى التيار العام . وتحيا في الشعر صور عربية قديمة . وفي الثورة آمال دينية ودنيوية تتحقق . ثم يأتي خلف الوعد والخيانة والغدر ، وفي شعر يقدس اهله الوفاء بالعهد يجد الشعراء خصبا من المعاني والأخيلة والصور . ويؤلف كل هذا ديوان شعر حول الحسين يؤكد الطابع العربي القديم ويرسم صورة قديمة قد لونتها العواطف العربية بألوان حديثة من الرومانسية .

وبثورة الحسين تنتهي الفترة الأولى لهذا الشعر . وأهم خصائها ، الى جانب لصوقها بالموضوعات الحية، انها استطاعت في جزالة عربية وبمزيج من غنائية العرب ورومانسية الغرب أن تجمع القوم حول فكرة الكيان الواحد ، وان تلهب الشعور والوجدان حول مميزات هذا الكيان ووجوب الثورة من أجل استرداد العرب لمكانتهم . انها في تاريخ القومية العربية تمثل حركة استطاعت أن تستنفر الناس وان تثور على ظلم آل عثمان وان ترد على تعصبهم بتعصب أقوى وأسمى وأن تحافظ على كيان الامة بالمحافظة على لغتها ودينها

وتراثها وان تستنقذ من العبودية عزمها لتنطلق بآمالها ·

وما تكاد الامة العربية تستبدل آل عثمان بالاستعمار الغربي حتى يتدفق الشعور في تيار جارف واضح لا شبهة فيه ولا مهادنة · وأخذ الادب يعلو فوق التقسيمات الجغرافية التي إصطنعها الاستعمار ليتعانق العرب في كل مكان حول أدبهم وشعرهم خاصة · فما تكاد تحدث ثورة هنا أو هناك الا الهبت حماس الناطقين بالضاد · وبدأت الدائرة العربية تتفتح لتضم العرب في شمال أفريقيا عبر مصر · بل أصبح أدب المهجرين الشمالي والجنوبي جزءا لا يتجزأ من أدب الامة العربية الحديثة · ترن أصداء احداث الامة عبر المحيط لتنطق الياس فرحات وسليم الخوري وزكي قنصل وابو الفضل الوليد في الجنوب ، وايليا ابو ماضي ورشيد أيوب وجبران ونعيمة في الشمال · وفي سان باولو مثلا يقيم العرب لكل حادثة اجتماعا وسوق شعر يقيمون حفل تأبين لسعد زغلول وفي مناسبات النكبة والجزائر والسويس والوحدة ، بل يقيمون اخيرا حفلا ابتهاجا بنصرة اليمن يقول فيها الياس فرحات :

تعالى زئير أسود اليمن فرج السفوح وهز القنن

وهكذا ينضم ديوان شعراء المهجر والجنوبيين خاصة مع ديوان شعر الامة العربية من الخليج الى المحيط ليكون ديوانا واحدا وأدبا واحدا ·

وبرزت في هذه الفترة الكيانات الداخلية ، وحاول الاستعمار أن يشجعها لتكون عامل فرقة بين العرب · فنيقية لبنان وفرعونية مصر وبابلية العراق تطفو على السطح وتلهم الشعراء قصائد ، ودواوين أحيانا ، ولكن ما تكاد مؤامرات الصهيونية تتخذ شكلا منذرا باخطارها قبيل الحرب العالمية الثانية حتى تخف كل هذه النعرات الطائفية لتختفي حينائم تظهر بعد التجربر وقد ذابت في الكيان العربي الموحد تقويه وتثبت اركانه ·

وما تكاد النكبة الفلسطينية تقع حتى يبدأ الادب مرحلته الجديدة المغايرة للمراحل السابقة · ففيها الرؤية الواضحة المحددة التي تؤكد حدود العروبة من الخليج الى المحيط أمة واحدة وجسدا واحدا · ويخفت التيار الرومانسي ازاء الاستعمار الذى ظهر في الثورات الاولى منذ ثورة مصر ١٩١٩ الى أن وضح الامر أمام نكبة فلسطين · ان الاستعمار ما كان يمكن أن تثبت له قدم في أرض الامة العربية الا لأن حكم العثمانيين قد خلفها منهوكة مفككة · فسرعان ما استطاع الاستعمار أن يجد أعوانا من الحكام فتحالف الاستعمار والحكام على محاربة التيار القومي · ودقت أجراس الخطر رهيبة حزينة في مأساة الارض السليبة · ولئن تكن الاسكندرونة التي بكاها الشاعر الحلبي سليمان العيسى في أكثر من قصيدة لم تحرك شعراء العروبة قاطبة فان مأساة فلسطين السليبة قد كشفت عن العيون الغطاء · واذا مسرحية لم تتم فصولا زاخرة بالموضوعات والمواقف تبهر الشعراء · فيخرج فيض يواكب النكبة فصلا فصلا · يخرج شعر ابراهيم طوقان عاطفيا حزينا مستنفرا للجهاد

عارضا صورة الحكام الدجالين مصورا الفدائيين باكيا انه ليس منهم · ووسط هذا الشعر وغيره تتجه الثورة العاطفية الى الواقع لترسم صورة هذا الوطن الذي يتحرق الشاعر شوقا الى العودة اليه · ويأتي عبدالرحيم محمود من طبقات الشعب الدنيا ليستشهد بعد أن يقول :

سأحمل روحي على راحتي والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق وأما مماة يغيظ العدا

وابو سلمى صاحب القصيدة المعروفة :

ايه ملوك العرب لا كنتم ملوكا في الوجود

والتي يذكر فيها ملوك العرب ملكا ملكا ويفضح موقفهم في حرب فلسطين :

قالوا الملوك وانهم لا يملكون سوى العبيد

ويقول خليل زقطان في نفس المعنى :

جيوش السبعة الاصقار كل تراجع حاملا غار القيود

وانجلت المعركة عن وضوح بعد جديد للمعركة واضح محدد : حكام خائنون · ولكنها انجلت أيضا عن لاجئين ، بؤسهم يبرع يوسف الخطيب في وصفه ، وحنينهم الى أرضهم تبرع فدوى طوقان في تصويره ، وتطلعهم الى الثأر والعودة يصفه هارون وعلي هاشم رشيد وغيرهما في كل قطر عربي ·

ومن النكبة يتفجر الشعر الواقعي الجديد يحكي القصة السوداء · وهذه أبيات الخطاب وقد ادركته النكبة وهو ابن سبعة عشر عاما :

انا مشعل انا مارد جبار لا الريح تخمدني ولا الاعصار
لو شئت جمعت النجوم مشاعلا ودفقت منها الموت حين أثار

ثم يعود فيرى حاله ويثور :

يا انا ، سلعة هينة للمشترين
يا انا ، قدحا في سهرات المترفين
يا انا ، يا شمعة تحرق ليل الكادحين
في ضلوعي أي اعصار من الحقد دفين

حتى يسرف فيقول :

أصلي ؟ لمن تكون صلاتي لاجيء ليس لي هشيم حياة
ليس لي حفرة تضم رفاتي

ويرد عليه شاعر القاهرة محمد بدرالدين :

هي نكبتي فالقدس كانت قبلتي ان لم أكن فيها ففيها أمتي
واللاجئون من الضحايا اخوتي يوما سأكتب في ثراها قصتي
بدمي وأنسف قيدها بعزيمتي

فاذا صرعت اخي فوسدني هناك انا من هنا لكن روحي من هناك

ويرى الاديب العربي في وهج لهيب المعركة قضية الالتزام في الادب واذا كل شاعر يسهم في تصوير المعركة حتى شعراء الغزل الرقيقين حتى نزار

قباني يكتب للصغار قصة راشيل تاجرة الاعراض وكيف حلت محل أمه واخته الشهيدتين في عزة المؤمنين وكرامة العرب .

وفي هذا الضوء يرى العرب أسباب التخلف . ويرون العدل الاسلامي في ثوب عصري جديد . وتبدأ نداءات الثورة على النظام الطبقي تفتح العيون على ركائز الاستعمار وفساد الحكام وبؤس الفقراء وتعطيل طاقات الشعب تحت وطأة الامتيازات الطبقية . واذا نغمة الاصلاح عند الشعراء القدامى مثل حافظ ابراهيم والزهاوي تأخذ عند شعراء ـ ما ـ بعد النكبة أمثال بحر العلوم والجواهري والراوي لونا داميا حاقدا ثائرا حتى يخرج الشعر عند بعضهم عن اطار الدين واطار القومية العربية .

وحول النكبة يبدأ القصص الملتزم قصص تصور النكبة وحولها وأخرى تصور البطولات . ويؤلف عيسى الناعوري طريق الشوك وعائد من الميدان ويؤلف أمين فارس ملحس وحليم بركات وبديع حقي وجبرا ابراهيم جبرا وسميرة عزام وغيرهم كثيرون . وفي مجموعات قصصهم اطوار المأساة رثاء وبكاء واستنفارا وهولا ونذيرا وتطلعا ، واخيرا ثورة على تجميد الموقف . ثورة على الاعالة والاغاثة والخيام والتشريد . وفي مجموعة سميرة عزام الاخيرة الانسان والساعة قصة « لأنه يحبهم » قصة عن نسخف مخازن الدقيق لأنها تنيم القضية .

وتأتي ثورة مصر مبشرة بفجر . وتأتي حرب السويس لتقوي تيار الواقعية . ان العرب قد تضافروا فعلا وكسبوا حربا مع الاستعمار . وقال الزعيم العربي جمال للمستعمر « لا » مجلجلة قوية . وانتصر العرب وجاء بعد النصر انتصارات . الاخوة في الجزائر استقلوا . واذا بلد المليون ونصف مليون شهيد تبرز في لشعر والادب لتصور البطولات ـ بطولات الشعب ، بطولة جميلة التي تغنى بها الشعر في مصر والشام والعراق وألف الادباء حولها شعرا ونثرا ومسرحا واوبرا . ولكن أروع ما نقرأ في حرب الجزائر صورة مأساة الشعب الذى تحالفت قوى الاستعمار قرنا ونصف قرن على إبادة شخصيته كما يصورها الجزائريون أنفسهم بالفرنسية باللغة التي يعانون منها مأساة الغربة كما يصفها شاعرهم مالك حداد . ان للجزائريين تجربة فريدة ، وصورتها رافد من الروافد التي يجب أن تغذي القومية العربية لتشحذ الهمم نحو تحقيق كيان الامة العربية متوحدا قويا حتى تنتهي هذه الصور البائسة المريرة الذليلة للانسان العربي . هذا محمد ديب يصف الذين نزع الاستعمار منهم أرضهم في ريف تلمسان وتركهم دون عمل نهب الفقر وهم يزحفون الى المدينة .

« لم يعد أي حائل يحول دون زحفهم المتلاحق الذي أوصل جحافلهم الى الأحياء النظيفة والاسواق التجارية وأقسام المدينة الشريفة حيث بيوت الاوروبيين التي تعكس أنوارها في الليل الحياة الهانئة . يهيمون دون هدف . وكثر عدد الموتى بينهم . كم من مسكين لفظ نفسه الاخير دون دمدمة .

وكان الموت يفاجيء بعضهم وهو يزحف دون وعي نحو مخبأ مجهول ، ثم يغيبون عن الانظار . ان هؤلاء الناس كانوا يودعون الدنيا في تحشم مشاني وكأنهم بذلك يعتذرون عن موتهم » .

ويصور ادريس الشرايبي بؤس العمال الجزائريين في مصانع فرنسا كالعبيد في رواية « التيوس » ويصور مولود المامري بؤس الشباب الذي يساق الى حرب لا ناقة له فيها ولا جمل لتسمن فرنسا . ويصيح الشاب أنا جزائري . ولكن الجزائر كلها سجن كبير رهيب . وكاتب ياسين ومالك الوادي ومولود المامري ومالك حداد . لقد صور كل هؤلاء المأساة العربية المشتركة . مأساة الاستنزاف الاستعماري لطاقات العرب وشن حرب الابادة عليهم وتحالف الاستعمار مع الطغاة والرجعيين للقضاء على عروبة الشعب العربي حتى بات الجزائري يسأل ما الوطن ؟ وما لغتي ؟

وما تكاد الجزائر تتحرر حتى تمد يدها الى العرب لتسير مع اخوتها في الركب الصاعد نحو الوحدة .

ويوحد العرب سياستهم الخارجية في الحياد الايجابي وعدم الانحياز . وتتحرر اليمن بفضل المبادرة بالمساعدة التي تأتيها في سرعة وفي سخاء . وتدخل الامة العربية بذلك طورا يأخذ من تجربة الوحدة وانفصالها درس ضرورة التخطيط . وفي السنوات الست التي مضت زخرت المكتبة العربية بروافد ضخمة من الدراسات المفصلة سياسية واقتصادية كلها تكشف عن وجه الاستعمار في وضوح . ان الاستعمار ما يزال يلعب ادوارا خطيرة في الخليج وفي الجنوب . وما يزال يلعب دورا خطرا في السياسة وفي الاقتصاد اذا ما عجز على لعب دوره حربيا . وكل هذه الدراسات تفتح أمام الادباء آفاقا على الحقيقة الكبرى حقيقة الامة العربية التي كانت وستظل ابدا امة واحدة تجاهد لتحرير كل شبر من أرضها وفي الوقت نفسه تجاهد لتبني في سنوات وتمحو ما فرضه عليها الاستعمار من تخلف عشرات السنين .

ويتطلع الادباء الى هذه الآفاق الواسعة الى دور الامة الواحدة وقد أطلقت طاقاتها الحرة لتؤدي مرة أخرى رسالتها الفريدة في تقدم الانسانية ، فيؤلفون بوحي من هذا شعرا ونثرا . ولكن هذه الآفاق لا تشغلها عن تصوير الواقع القريب . فهذا الاتجاه الواقعي فرضته النكبة ما يزال سائدا يصور الواقع الداخلي لكل قطر ويحدد مراحل البناء ويركز بطبيعة الحال على هذا الفرد العربي أينما يكون على الارض العربية . ليعرف ماذا هو والى أين يسير . لقد فتح الفرد العربي نوافذ الثقافة كلها وعلى مصراعيها وراح ينهل بنهم من قد حرم طويلا ، فأحس كيانه احساسا جديدا ويرى في نفسه صفات الانسان العربي القديم بكل ما فيها من طاقة وقوة مذكرة اياه بأجداده الذين فتحوا ليعمروا ولينشروا السلم والامن والحضارة والرخاء الذين فتحوا قلوبهم وعقولهم للانسانية كلها دون تعصب أو تحزب ليبلغوا أقدس رسالة وليحيوا (وليحيا معهم الجميع دون تمييز) أرفع المثل الانسانية واسماها .

الأدب والغزو الفكري

الدكتور شكري فيصل

١ ـ تمهيد

ملامح عامة عن هذا الغزو

في الحياة العربية كان ، منذ القدم ، هذا الغزو الفكري للوجود العربي السليم المستقيم كلما حاول هذا الوجود أن يستأنف رسالته ، أو يجدد دعوته ، أو يحقق نهضته ، أو يقوم بمسؤولياته ٠٠ وكان الغزو محاولة مستمرة من العناصر الغازية في سبيل تهجينه أو افساده وفي سبيل توهين قواه واستلاب عزماته ٠

ولم يكن هذا الغزو يأتي وحده ٠٠ كان يواكبه أو يتأخر عنه أو يتقدم عليه هذا الغزو المادي الآخر ٠٠ وما كان لهما معا أن يختلفا أو يتناقضا ٠٠ كان كل منهما يكمل الآخر ويتتام معه ٠٠ وكان أحدهما هو الذي يبدو حينا وكان الآخر هو الذي يبدو حينا آخر ٠٠ وكانا معا ـ على كل فترات التاريخ ـ شوكتين سامتين من شجرة خبيثة يحاول الوجود العربي أن يجتثها ولكنه كان كلما أهوى على شق منها نبت شق ٠٠ لا يكاد يجتمع له هذا الاجهاز عليهما الا في الفترات النادرة من هذا التاريخ المديد ٠

وتكالب هذين الغزوين واستمرارهما على هذا المدى من التاريخ الطويل ـ يعني شيئين :

يعني أولا أن هذه الامة من الناس لها جوهرها ولها دورها وان مكانها من الارض له امتيازه وله تفرده ٠٠ انها أمة وسط من الانسانية والناس ، ومن العالم والارض ٠٠ لها دعوتها بحكم هذه الوسطية ، ولها رسالتها بحكم هذا التفرد ٠٠ ثم هو يعني ثانيا أن كل القوى الاخرى من حولها تعرف من أمرها هذا التميز المادي والمعنوي ولذلك فهي تقابلها بهذا الغزو الفكري والمادي على السواء ٠

والوطن العربي يعاني في هذه الفترة ـ شأن أكثر فترات تاريخه ـ غزوا من هذا الغزو المتصل ٠٠ واذا كان الغزو المادي في بعض صوره قد توقف ، واذا كانت الجيوش الغازية قد أخلت بعض قواعدها واستغنت عن بعض

مطاراتها ، واذا كانت قد أنزلت بعض الاعلام وأغلقت بعض الثكنات ، فـان هنالك قواعد اخرى لا تزال متمكنة ، واعلاما لا تزال مرفوعة ، ومواقـف لا تزال موصولة بمصادرها ٠٠ ودورا ومعاهد تتابع عملها ، وخبراء يتجلببون بالخبرة ، ورجالا يلبسون مسوح العلم ، وناسا يطلون مظاهرهم بكـل أصباغ التجرد والنزاهة والغيرة يجوسون خلال الديار باسم العلم حينا وباسم الفكر حينا ٠٠ باسم الثقافة مرة وباسم الحرية مرة ٠٠ باسم كل هـذه المقدسات التي تسمو عند العربي الى رتبـة الدين ٠٠ يكتبسون في أدق الموضوعات ، ويخوضون في أعقد المسائل ، ويثيرون كل قضية ٠٠ وما يملك أحد أن يقول لهم ، وهم يحاولون التعبد في محاريب الكلمة الطيبة ويتسترون بالثقافة ، ماذا تفعلون ٠٠ على حين يهدفون الى أن يعودوا عن طريق الفكر من حيث خرجوا ، وأن ينزلوا من الناس في رؤوسهم بدل من أن ينزلوا في جيوبهم ورقابهم ، وان يكون لهم باسم المشاركة الفكرية كل حقوق المشاركة في خيرات الوطن والامة ٠

قلت : ان هذا الغزو الفكري ليس جديدا ، ونخطيء ان ظننا أنه بـدأ بهذه الاكداس المكدسة من نشرات الدعاية وكتب المذاهب ٠٠ انه في الواقع قديم بدأ قبل أن يبدأ السيل الاوربي يجتاح أرض المشرق ، ولجات اليه اوربة ليكون سبيلها الى التمكين والسيطرة ٠٠ انه كان يسبق ويواكب ويتابع كل مرحلة من هذه المراحل التي سقطت فيها قطعة من وطن العرب في قبضـة غزاة من الغزاة ، ثم يتمركز بعد ليؤكدها ويبررها ويوجد لها المناخ الذهني والنفسي الذي يتقارب منها ٠٠ انه كان بمثابة الجسور التي تعبر عليها القوى المادية حينا وبمثابة التربة التي تتاصل فيها هذه القوى المادية حينا آخر ٠

ومنذ كانت غزوة نابوليون لمصر كان هذا الغزو يأخـذ سبيله الى الوضوح ٠٠ كان جيش من العلماء يسير مع الاسطول ويرافق المدفع ويتابع الكتائب ويجوز طريق الاسكندرية الى القاهرة ، يكتشف المعالم ويستبطن الارض ٠٠ والاكذوبة الكبرى التي لا يزال يعيش عليها تاريخنا الادبي أن النهضة الحديثة انما بدأت مع هذه الغزوة ٠٠ انما نفعل ذلك اغترارا بالمظاهر فلم تبدأ النهضة مع هذه المظاهر التى رافقت نابوليون من عمل العلماء ٠ ولم يكن أثر الغزوة ايجابيا في ذلك ٠٠ انه كان ، على العكس ، أثرا سلبيا لان سنابك الخيل التي قرعت أرض الازهر لم توقظ النائمين ولكنها أفزعتهم ٠٠ لم تفتح أعينهم وانما جهرتهم ٠٠ انها أورثتهم ، مع هذا الغزو ، عقدة الاجنبي الغريب المتسلط الذي يحتقر المعتقدات أو يتستر بها ولكنه يضمر لها الشر على كل حال ، الاجنبي الذي يملك بيده مثل عصا موسى ولكنه لا يضعها ، في اخوة وثقة ، في أيدى الناس ولا يفتح لهم طريقها ٠٠ ان غزوة نابوليـون كانت قضاءا على الجيل الاول الذي كان يمكن أن يتفتح للحياة الجديدة ، وكانت تأخيرا للنهضة التي تأتي في مكانها ، لانها خلقت في نفوس المواطنين هذه العقد القاسية في محاولة التلاقي مع الذي يغزو دارك ويدوس معتقداتك

ثم يأخذ يملك عليك بصرك ببعض معطيات العلم الاولى في التراكيب الكيماوية ·· ولو فتح المشرق عينيه على ثقافته لوجد في تاريخه أضعاف أضعاف ما عرض العلماء الفرنسيون في الحملة من مظاهر العلم وبداياته ·

واستمر هذا الغزو الفكري بعد نابوليون وتقدم جماعات من العلماء في زي تجار ودبلوماسيين ومبشرين كل معركة من المعارك التي خسرناها على ارض الوطن العربي في جناحه الشرقي والغربي ؛ وكان هؤلاء المتظاهرون بالعلم يرودون آفاقا من دراسات اللغة واللهجات والطبيعة والناس والتقاليد والعادات والارض حتى لا يكذبوا من وراءهم ·· ومن المستشفيات والمدارس ودور القنصليات بدأت الهجمات الاولى ، وبها كان يتستر هذا الغزو ، وفي غرفها وأبهائها كان يحتمي ·· وانك لتنظر في كل ما صدر من دراسات أجنبية عن أي جزء من أجزاء وطننا العربي وبخاصة في الفترة المبكرة فلا تجد ان واحدة من هذه الدراسات كانت مجردة عن الهوى ، مجردة من الغرض ، مقطوعة الاسباب بهذا الاستعمار الذي بلينا به أو ممهدة له ·· ان كل حقيقة سموها حقيقة علمية كانت تسميما للآبار الداخلية في المجتمع العربي ومعالم تنصب على طريق الغزاة ·· وكان لهذه الحقائق التي سموها علما مهمة مزدوجة : كانت تضيء الطريق للغزو وكانت تقطع الطريق على الدفاع ·· كانت لاولئك الغزاة تمهيدا ، وكانت لهؤلاء المغزوين اضعافا وتشتيتا ·· ولم يغفل هذا الغزو الفكري جانبا من الحياة ولم يغمض عن جانب ·· فقد وغل في اللغة واللهجة ، في العقيدة والطريقة ، في الحياة والمجتمع في الاجناس والدماء ، في الطوائف والمذاهب ، في التاريخ القديم الموغل وفي التاريخ الجديد ، في الارض آثارها وطبيعتها ·· والى كل منحى يتصل باذهان الناس ونفوسهم كان يمتد هذا الغزو الفكري في حذق منه وغفلة من السكان الطيبين ·

وهل نحتاج ان ندل على ميادينه في هذين القرنين الاخيرين ؟·· اننا لا نزال نعيش فيه ونعاني من أثره على أشكال متصلة متجددة ·· اننا نتعرض لاسلحته ونعاني غاراته ونكابد شداته ·· انه في حياتنا الفكرية والشعورية على السواء ، في حياتنا الداخلية على نحو ما هو في حياتنا الخارجية ·· انه في هدر المشخصات العربية ، في عيب اللغة ، في النقمة على الماضي ، في الانصراف عن التراث ، في التشكيك بالمثل الاعلى العربي ، في الاتجاه نحو المروءة عند الرجل والعفة عند المرأة ، انه حتى في اهدار الحرف العربي في قيمه التعبيرية والتزينية ·· وانه كذلك في الابقاء على مظاهر الجمود ومخلفات الانحطاط المتبقية عن عصور الجمود والحفاظ عليها باسم السياحة والفولكلور والاطراف والقطع النادر ·· انه في مئات من مظاهر النشاط الانساني ومئات من مظاهر السلوك الفردي والاجتماعي ·· ان جوانب واسعة من هذا المناخ الفكري والفني الذي نعيش فيه متسممة به ·· في كل واد أثر منه ·· فقد كان قنبلة قذرة لا حد لقذارتها ، تحمل أنواع الجراثيم والعدوى ·· ولم يكن هناك في هيروشيما ، ولكنه كان هنا في وطننا كله : من المحيط الى الخليج ·

٢ ـ مراحل هـــذا الغزو

ويتخذ هذا الغزو الفكري طريقه في مرحلتين اثنتين :

أولاهما هذه المرحلة التي ينظر فيها في تكويننا الفكري الخاص وفي كل مشخصات هذا التكوين من تراث أصيل ، وتقاليد مضيئة ، وفن خصب ، وحياة أخلاقية رائعة ، ومثل انساني رفيع ، فيحاول أن يزعزع هذا التكوين حين يشوه التراث ، ويبدد التقاليد ، ويشكك في الاخلاقية ، ويثير الغبار حول المثل الاعلى •

والاخرى هذه التي تحمل الينا الفكرة والرأي ، وتنقل الينا العقيدة والسلوك ، وتغرينا بالمذهب والوجهة •• كل ذلك على سبيل البديل •

وهاتان المرحلتان من مراحل الغزو الفكري متكاملتان : احداهما ـ اذا استعرنا التعبير العسكري ـ تحدث الفراغ عن طرق مختلفات : عن طريق القرف والتشكيك والزراية والعيب أو عن طريق معطيات بعض الافكار الخاطئة أو عن طريق المقايسة القلقة التي تنسى الفروق بين ما كان في اوربا وما كان في الشرق ، او باسم بعض الحقائق العلمية التي لا يجد الفكر العربي ـ والشرقي بعامة ـ فرصه الكافية لامتحانها بحكم الغلبة السياسية والفكرية والعسكرية للقوى الاجنبية الجامحة وانما هو يسلم بها تسليما مطلقا في النطاق العلمي ويسلم بها تسليم الآخذ بها في نطاق الدراسات الانسانية دون أن يحاول مناقشتها أو امتحانها •

فاذا أحدث الغزو الفكري هذا الفراغ اندفع بعد ذلك يملؤه هو على النحو الذي يرى أنه يضمن له الغلبة ويؤكد السيطرة •• لا يملؤه افكارا وانما يملؤه دعاوى ، ولا يسكب فيه الحقائق وانما يهيل فيه الضلال ، ولا يتيح له أن يكون ـ وهو يسوق اليه الغذاء ـ في موقف المتفاعل معه وانما يكرهه على أن يكون في موقف المتلقي له •• ولا يبيح له مناقشته وانما يبيح له متابعته •• على ما يحفظ له هو حق السيطرة أو على النحو الذي يقلب معه الافكار الى عصي تسوق المفكرين ولا ترشدهم وتدفعهم ولا تستمهلهم •

ونحن لا نخشى في الغزو الفكري هذه المرحلة الثانية حين يحمل الينا الرأي ـ أيا كان ـ بمقدار ما نخشى المرحلة الاولى التي تحقق الفراغ أمام هذه الاراء •• ذلك لان الفراغ هو الذي يتيح التمكن وحيث استطيع ان احتفظ بشخصيتي الفكرية استطيع أن أكون آمنا مهما يكن من شأن الفكر الوافد لانني استطيع ان استصفي خيره وان ادفع شره •

ان خلق الفراغ هو أخطر المرحلتين لانه تمهيد مؤكد لانتصار هذا الغزو •• انه اضعاف للقوى التي تستطيع ان تقابل الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي والمنهج بالمنهج أو ان تتيح لهما أن يتلاقيا أو يتقابلا أو يتفاعلا •

ولقد شهد جيلنا هاتين المرحلتين للغزو الفكري على السواء : شهد مرحلة التشكيك والتفريغ ، وشهد مرحلة التزوير والخديعة •• فهناك اولئك

الذين انفصلوا عن ذواتهم وأولئك الذين ذابوا أو كادوا في ذوات غيرهم ٠٠ اولئك الذين سلخت جلودهم وأولئك الذين ركبت لهم جلود غيرها ٠٠ والذين كانت لهم رؤوس ثم أديرت رؤوسهم الى الوراء أو الى الاسفل فاذا هي في مكان أقدامهم أو بين أرجلهم ٠٠ ان رصد الحياة النفسية والفكرية على السواء لهذا الجيل العربي يعطي نماذج واضحة وكثيرة على طول الحياة العربية لهذين المسارين المتكاملين ٠

والامثلة أكثر من أن يتسع لها مجال ٠٠ ولكني أرجو أن اعرض هذا المثل القصير الذى شهدته في بلد عربي ، في واحدة من العواصم العلمية التي زرتها ، فقد كنت استمع الى محاضرة ألقاها شاب من شباب هذا الجيل المتطلع القلق فيها كل ما عند الشباب من اهتمامات واماني وكل ما عنده كذلك من اندفاع ورغبة ، ولذلك جاءت المحاضرة وفيها نظرات لا تكاد تغادر جانبا من جوانب الحياة الفكرية أو النفسية أو السياسية ٠٠ من العقيدة الى الزي ، ومن نظام الحكم الى رصف الشوارع ٠٠ ومن سلامة اللغة الى حركة المواصلات ٠٠ اكداس من القضايا التي أثيرت وفيها الخطير الخطير ٠٠ فماذا كان من أثرها عند الذين أتيحت لهم بعد ذلك مناقشتها ؟

ان واحدة من القضايا الخطيرة لم تلفت واحدا من ثلاثمائة شاب كانوا يستمعون اليها ٠٠ ولكن قضية واحدة فرعية أثارت العدد الكبير من المناقشين ٠٠ وكانت تلك قضية التجريدية والتكعيبية في بعض اللوحات العربية المعاصرة عند بعض الفنانين العرب ٠٠ لا الايمان ولا التعريب ولا مشاكل المجتمع ولا النظام السياسي ولا اتجاه التدريس ولا حركة التعليم أثار أحدا ولكن المدرسة التجريدية وحدها هي التي أثارت هؤلاء الذين يمثلون هذا الجيل في هذه العاصمة ٠٠ وكان معها ـ حتى أكون أكثر دقة ـ قضية أخرى تتصل ببعض آراء سارتر في الحياة الادبية ٠

ولست أحتاج أن أقول ان المناقشة دارت في اطار من السذاجة أحيانا٠٠ ذلك لان هذه الكثرة قد فرغت على نحو ما من محتواها ، من مشكلاتها ، من مشخصاتها ، من كل ما يتصل بوجودها الذهني الاصيل ، ووجودها النفسي الخصب ، من حاضرها وماضيها ومن مستقبلها كذلك لتملأ أذهانها عن طريق الصحافة والمعارض والاذاعة بالحديث عن التجريدية والتكعيبية والرمزية من غير ادراك الى ان هذا الحديث نهايات لاشياء ضخمة وراءها وليس بدايات ٠٠ انه نهايات لمعاناة شعوب كاملة لمشكلاتها وليست بداية لها ٠

وكذلك ترون كيف يعمل هذا الغزو الفكري ٠٠ انه يعمل ذلك في الحياة الذهنية كما يعمله في الحياة اللغوية أو الادبية مثلا ٠٠ ان الفراغ اللغوي الذي صنعته هذه الغزوات في المغرب هو الذي أتاح للاستعمار ان يزرع في هذا الخواء لغته الغريبة وان يحاول اخضاع الملايين من الناس أجيالا متعاقبات لهذا التنافر الاليم بين حركة الوجدان وحركة اللسان ، بين عمل الفكر وبين عمل اللغة في التعبير عن هذا الفكر ٠

٣ ـ الاهداف الكبرى لهذا الغزو

ان تبين أهداف هذا الغزو وراء المظاهر الجزئية الكثيرة التي نلمحه فيها هو الذي يجب أن نتعرف اليه حتى نكون على بينة واضحة منه ، فلا نؤخذ بالتفاصيل والمماحكة فيها والمناقشة حولها ·· ان التفاصيل قد تثير شيئا كثيرا من العناد الشخصي ، ويؤدي العناد الشخصي الى حجب الحقيقة الاصيلة ، وتنحجب الحقيقة فنقع في الضلال ·

هذا الى ان معرفة هذه الاهداف هو الذي يمكن لنا من أن نحكم موقفنا منها ، وأن نضبط جهودنا في مدافعة ما ندافع منها ·

ومن حسن حظ هذا الجيل أن معرفة هذه الاهداف لم تعد ـ بعد احداث القرنين الاخيرين بخاصة ـ غامضة ·· لقد بدت كما يبدو الليل لكل ذي عينين ، وتعرت في كثير من المواقف عن هالاتها المصطنعة وصلاحها المزعوم وتظاهرها بخدمة الحقيقة ·· وأضحى واضحا ان هنالك هذه الاهداف الاربعة الكبرى للغزو الفكري :

الهدف الاول : الاشعار بالعجز

ان من أهداف الغزو الفكري أن يشعرنا ، جماعات وافرادا ، بالعجز ·· وشعور الجماعة بعجزها وتضخيم هذا الشعور أثقل الادوار التي تصاب بها ·· ولذلك سلك الغزو الفكري الى هذه الغاية كل سبيل ·· انه يحاول أن يؤكد على « الدور » الذي يزعم انه كان له في نهضتنا الجديدة ·· أنه يزرع في نفوسنا اننا عرفنا تاريخنا به ، ومهد لنا الطريق الى أدبنا عن طريقه ، وبفضل جهوده وبعض مدارسه وبعثاته كانت عندنا هذه المعاجم أو هذه الحركة اللغوية ·· وبالذي ينقل الينا من معطيات حضارته نعيش ·

انه ليذهب في تأكيد هذا العجز وتضخيمه خطوات أخرى بعيدة ، فيحاول أن يوصل عندنا ان هذه الحضارة التي نفتتن بها حقا ليست حضارة جديدة مرتجلة سريعة في وسع الشعوب الاخرى الناشئة أن تسهم بها ·· وانما هي بنت القرون والقرون ·· بنت التاريخ البعيد ، بنت يونان ·· ومن أين لنا أن نلحق بها ؟!

انه يسقط كل مراحل التطور الانساني مرورا بالحضارة الاسلامية العظيمة ليصل بين يونان أمس واوربا اليوم من غير اهتمام بالحلقات الوسطى النامية بينهما ·· حتى لا تكون هذه الحلقات الاصيلة شاهدا على نسبنا الحضاري ·

وكذلك يكون من شأن كل هذه القالات والافكار التي تتنوع اليها الطرق أن يرث جيلنا هذا شعورا مبهما بالعجز تتظاهر على دعمه آراء وافكار وأحاديث ، غرضها ان تجعله لا يندفع ولكنه يتهالك ، ولا يعمل لكنه ينتظر أن يعمل له الاخرون ، ولا يفكر ولا يتفلسف وانما يتلقى

الافكار والفلسفات جاهزة ·· وحسبه أن تكون كثرته الغالبة تعمل وهي من وراء المحراث ، وقلته القليلة تتلقى وهي من وراء المكاتب ·

ومن هنا كانت بعض هذه المظاهر التي نلمحها في نطاق هذا الهدف فاذا رجل الفن في حياتنا الفنية هو الذي يصل الاسباب بين فنه وبين واحد من الاتجاهات الاجنبية المحدثة على غير صلة نفسه وذهنه وواقعه بها ·· واذا رجل الادب في حياتنا الادبية هو الذي يستطيع اذا انتج أن يكون في انتاجه ما يقارب بينه وبين انتاج اديب أجنبي آخر تعرف عنه انه في مستوى القمة ·· واذا الانسان المثقف في اصطلاحنا هو الذي يكون أول المتحدثين عن كتاب جديد في موضوع يوشك أن يكون منقطع الاسباب بالحياة العربية في كل وجوهها ، في واقعها أو في تطلعها ·· ان مثل هذه المظاهر الخادعة كثيرا ما تتحكم فينا وتحاول أن تبسط ظلها المرهق كسحابة متجهمة في اجوائنا ، لولا أن اذهانا واعية واقلاما حرة تحاول أن تحول بين هذه الايحاءات وبين تشبثها وسيطرتها علينا ·

الهدف الثاني : التبعية

هدف الغزو الفكري لا يختلف عن هدف الغزو المادي ·· انه كذلك يتجه الى أن يكون الخاضعون له والواقعون فيه ناسا من الناس الذين لا هوية لهم ·· لا يرتبطون بشيء أصيل ، ولا تقوم لهم خصائص ·· اذا رجعوا الى حياتهم لم يكن لهم ، في أعينهم ، في هذه الحياة وجود متميز ، واذا نظروا الى نفوسهم لم يكن لهم ملامح يتفردون بها ·· انهم لا يستجيبون التفكير ولكنهم يستهلكون بعض مظاهره الغريبة ·· ان مهمة هذا الغزو بعد الاشعار بالعجز أن يرمي هذا الجيل من الناس في أحضان التبعية وان يسوقه الى رقبتها تتحكم فيه ·

انه يريد الناس أتباعا له لا أندادا ولا اخوانا ولا شركاء ·· يطعمهم من نفاية ما يطعم ، ويشربهم مجاجة ما يشرب ، ويضع بين أيديهم الشيء الذي عفا عليه الزمن ·

انه لا يريد ان يكتسبوا تجاربه ولكنه يريد ان يضللهم في مساق التجارب ·· لا يدلهم على أقصر الطريق ولكنه يلوي الطريق بين أيديهم ·· ولا يبيح لهم أن يعرفوا من الامور الا ما يريد ان يصل اليهم ·

انه يعلم ان الذي يصلح له والذي يصلح لغيره ، الذي يتداوى به هو والذي يمكن أن يداوي به غيره ولكنه يحاول أن يفرض عليهم غير ما يصلح لهم وغير ما يتداوون به ·· لا لشيء الا ليجعل منهم في النهاية اتباعا ·

ان أخشى ما يخشاه الاجنبي اليوم أن تنشأ في هذا العالم الجديد ــ العالم الجديد هو كل هذا العالم النامي ــ هذه القوى الجديدة ·· وكما يخشى أفريقية ثروة ويخشى آسية ثورة ، فانه يخشى أفريقية وآسية معا دنيا جديدة لا تنقاد اليه ولا تنطوي تحت جناحيه ·· انه يعاني أزمته ،

ويعاني فوق ذلك أزمة الخوف ، ولكنه لا يجبن ٠٠ ولذلك يحاول أن يقذف هذا العالم الناشيء بكل محاولات التبعية ليكون رديفا له ٠٠ يريد أن يقتل فيه شخصيته المتميزة ليكون شخصية ممسوخة عنه ٠٠ ولو أراده مثله لكان هنالك مجال لحديث ، ولكنه يريده الظل التابع الممسوخ أو الظل المتقدم المشوه ، ولكنه ظل موهوم على كل حال مهما يكن من طوله أو قصره ٠

هذه التبعية هي التي يريدها الاجنبي ، يريدها في جامعاته التي ينشئها ودراساته التي يقوم بها وثقافته التي يصدرها ٠٠ انه يتطلع اليها على أنها عنوان نجاته ، وسيظل يهدف دائما الى أن يمسك بغطاء القمقم لان هذا المارد ان انطلق فسيكون له رأي آخر في سير العالم ٠

واذا كان الغزو الفكري ، أيا كان ، يريد العالم الجديد ، أقصد العالم النامي ، تبعا له مرة ، فانه يريده ، بالقياس الى الوطن العربي ، مرات مضاعفات ٠٠ يعمل له هنالك مرة ويعمل له هنا عشرين مرة ٠٠ يجهد في سبيله هناك بأكثر القوة ويجهد في سبيله هنا بالقوة كلها ٠٠ ذلك أنه يعلم ان هذا الوطن العربي لا ينهض على غير سابق حضارة ، وغابط نهضة ، ومتقدم علم ٠٠ وانما يقوم على أسس من الحق مكينة ، وعلى دعائم من الثقافة متينة ، وعلى ركائز من الخلق رصينة ، وعلى موصول من الثقافة عميق الجذور بعيد المدى ٠٠ ثم هو يعرف أنه يقوم على أساس من احياء ذلك ونشره ، وعلى أساس من تجديده وصقله ، وعلى أساس من الاحساس بالرسالة والشعور بالمسؤولية وريادة العالم ٠٠ ولذلك فهو يخشاه فوق ما يخشى أي شيء غيره ، ولذلك فهو يحذره فوق ما يحذر سواه ويعد له من القوى فوق ما يعد لكل وطن آخر ٠٠ انه يدرك ، فوق ذلك ، مكانه من العالم أرضا ، ومن العالم رسالة ، ومن العالم ريادة وقيادة ٠٠ ويعرف انه امة من مائة مليون يظاهرها اربعمائة مليون ولذلك يدخر له من العداء مثل الذي يتوازى مع مستقبله المرموق ودنياه المنشودة ٠٠ فلا عجب اذا هو وضع ، بعد ذلك ، تبعية هذا الوطن له في أبرز مشروعاته ومخططاته ٠

الهدف الثالث : التفتيت

والغزو الفكري ، أيا كان ، يعرف ان هنالك غاية أخرى ، مع التبعية وورائها ، هي في هذا التفتيت للوطن العربي أرضا وناسا وهذا التمزيق له روحا وتاريخا ٠٠ ان التفتيت أمضى الاسلحة في يده وأقواها ، وأشدها ، وأعتاها ، انه ليستعمل هذا السلاح في ذكاء وفي خبث معا ، وانه ليداور به ويحاور حينا ، ويرمي فيقصد حينا ، ويطعن فينفذ الطعنة في كل الاحايين ٠٠ ان مهارته في استعمال هذا السلاح أنه يسقيه السم حتى يرويه ثم يضع من فوقه الشهد لمن يحبون الشهد ، و « الشوكولاته » لمن يحبون « الشكولاته » وحبات الخرز ومرايا البلور يبيعها على السواحل للذين يحبون الخرز الملون ويسرهم أن ينظروا في مرآة من بلور ٠٠ ثم يقول في خبث

مكشوف انه يقدم للناس ما يشتهون على حين يقدم الموت الذي يشتهي لهم ٠٠ وعن طريق التعرف اليهم يثير نعراتهم ، وعن طريق دراستهم يفرق كلمتهم ، وعن طريق لهجاتهم يفسد لغاتهم ، وعن طريق دينهم يثير عصبيتهم ، وعن طريق وحدتهم الجامعة يفرق وحدتهم ٠٠ انه يأتيهم من الطريق ليصل بهم الى الطريق المضاد ٠

هل تحبون أن أتحدث اليكم أيها السادة عن هذا التفتيت ؟٠٠ اني لا أريد أن أتحدث عن أمثلة من التفتيت المادي فنحن في الحديث عن الغزو الفكري ٠٠ ولكن الغزو الفكري والمادي يسيران في خطين متوازيين دائما وان قصر أحدهما عن الاخر أو امتد بعيدا عنه ٠٠ ان احد الخطين يغيب أحيانا ويظهر الثاني ، ولكن مالم يكن موجودا منه بالفعل فانه موجود بالقوة ، فاسمحوا لي اذن أن يكون مثلي الذي اسوقه من زاوية الغزو المادي ٠

خذوا بايديكم خريطة هذا العالم الجديد النامي ٠٠ فهل هنالك الا التجزئة ؟ من البحر الصيني الى بحر الظلمات هل هنالك الا التفتيت ؟٠٠ الشرق أدنى وأوسط ، والمغرب أقصى وأدنى ، وافريقية سوداء وبيضاء ، والولاية التي كانت واحدة آلت عددا من الدول ، والجزيرة الواحدة اقطار ، والقطر الواحد أجزاء ، وما هو على المتوسط غير ما هو على اكتاف الصحراء والناس صحراويون وساحليون ، بدو رحل ومقيمون ، مدريون وبربريون ، حاميون وساميون ٠٠ كل قطعة أرض قابلة للتجزئة ، وكل معلم يصلح أن يكون حدا بين دولتين جديدتين حتى ولو كان نهرا لا ماء فيه ، أو جبلا لا ذكر له ٠٠ كل رملة صحراء ، وكل أرض دولة ، وكل مدينة كيان لانه كان منها ذات مرة شاعر أو كانت لها لهجة ٠٠ والويل للذين لا يصدقون لان وراءهم أكداسا من العلماء الذين أعدوا ليثبتوا أن هذه المنطقة تختلف عن تلك في أنها تستعمل اسم الموصول أو حرف المضارعة استعمالا خاصا ولذلك فهي جديرة أن تقتطع وأن تميز وأن تفصل عن اخوتها ٠٠ والا فان الذين يعارضون ذلك يكفرون باساليب العلم ومعطيات البحث ٠

ثم لماذا اتحدث اليكم عن التفتيت في الغزو المادي ؟٠٠ أليست أمثلة التفتيت في الغزو الفكري أشد وآلم ، وأوضح وأنكى ؟٠٠ ألسنا نشهد هذا التفتيت في كل بلد عربي ٠٠ من المغرب الى المشرق نستطيع أن نتتبع سلسلة من البدع والزندقات الجديدة : العرب والبربر ، والافارقة السود والافارقة البيض ، العربية واللهجات ، الطوائف والاقليات والعصبيات ٠٠ لم يدعوا بلدا من غير فتنة ، وانظروا تروا ، فما سامع كمن رأى ٠

ان الغزو الفكري في جملته قائم على تغذية كل ما يفتت الجماعة الواحدة ، وعلى اختلاق كل مايساعد على تفتيتها ٠

الهدف الرابع : الفتنة

هنالك دائما في مخططات الغزو الفكري أن يفتن الناس وأن يشتد

في فتنتهم ، أن يدفع بينهم البغضاء حتى لا تقوم لهم قيامة ، فلا تخلو الجماعة الى اثقالها تتخلص منها وانما تزيد عليها أثقالا فوق اثقالها ، ولا تطرد عنها الظلمات وانما تكون الظلمات بعضها فوق بعض ٠٠ وتحاول أن تتقدم فتجد أن لونا من ألوان هذه الفتنة ــ وهي ألوان لا تنتهي ــ تطل عليها ثم تقترب منها ثم تحط فوقها في ثقل الصخر وحرارة الجمر فتكاد تصعد أنفاسها ٠٠ فاذا هي تنصرف الى معالجة هذا البلاء الطارىء عن البلاء الاصيل٠ ومن هذه الفتن ما يتصل بالحياة ومنها ما يتصل بالمجتمع ، منها ما يتصل بالعقيدة ومنها ما يتصل باللغة ٠٠ بل ان ما يشبه أن يكون زرع العناصر الغريبة في حياة الجماعة لتكون مصدر ازعاج لها على نحو ما تزرع الجراثيم المرضية في جسم حي ٠٠ الذي تم في فلسطين المحتلة مثلا في النطاق المادي يتم نحو منه لا يكاد يفترق عنه في شيء في النحو المعنوي ٠٠ فهم في فلسطين زرعوا هذا الاخطبوط بين شطري الوطن العربي ، في قلب هذا النسر ذي الجناحين غرزوا هذا السهم ثم قالوا المنسر لن تطير ٠٠ ومثل ذلك من غير أي فرق وعلى نحو أشد شناعة وبشاعة زرعوا بعض الافكار في المغرب حين أثاروا العربية والبربرية وفي المشرق حين أثاروا العربية والكردية ٠٠ بل ألا تخشون أن يحاولوا أن يثيروا قصة اليمنية والقيسية على نحو من الانحاء ؟٠٠ ياويلهم ــ عفوكم لقد أخطأت التعبير ــ يا ويلنا نحن ان نمنا على السهم المغروز طرفة جفن ٠

٤ ــ موقف الادب من هذا الغزو

تلك أيها السادة أهداف الغزو الفكري أو بعض أهدافه ٠ فماذا يكون موقف الادب والادباء منها ؟ أترون أني أطلت في شق الموضوع الاول ؟ ٠٠ ولكن شقه الآخر هذا ليس الا نظيرا معاكسا له ٠ اني لم أعطكم طرف الموضوع ولكني أعطيتكم في لحظة واحدة طرفيه معا ٠٠ أن موقف الادب والادباء هو على النقيض من هذه الاهداف ، على الطرف الاخر المعاكس لها ٠٠ اني واثق أنكم أدركتم هذا الموقف ، ومع ذلك فلننتقل اليه لنتحدث عنه ٠

وأحب قبل أن استأذنكم في ملاحظة صغيرة ولكنها جديرة بالاهتمام ونحن نجوز العدوة الى العدوة الاخرى ٠٠ ذلك أننا حين نتحدث عن موقف الادب والادباء فنحن لا نتحدث بحال عن واجب من واجبات الادب أو واجبات حملته ٠٠ اننا لا نعرف اسلوب « التجنيد » هذا ولا نؤمن به ٠٠ لا لاننا لا نؤمن بالواجب ، فمنه ننطلق وبه نتميز وعليه نحيا ، ولكن لان هذا الواجب لا يصل الينا من فوق ، لا ياتي من خارج ذواتنا وانما ينطلق من أعماقنا أو بما ينعكس عن أعماقنا ٠٠ انه ليس حلية ولكنه عضوية من عضوياتنا ، وليس زينة ولكنه وجود من وجودنا ، لا نتكلفه وانما نصدر عنه ، ولا ننفعل به وانما هو الذي يكون انفعالاتنا ، ولا نريده وانما هو

ارادتنا ، ولا نحاول أن نجده وانما هو وجداننا ٠٠ انه هو كل كياننا النفسي ٠٠ ان الموقف الذي نتحدث عنه هو نحن ٠

وراء هذه الملاحظة نستطيع أن نقول ان موقفنا كما قدمت ، يتلخص في انه نقض وبناء ٠٠ نقض لاهداف الغزو الفكري وبناء في آن واحد للحياة الجديدة التي تريد أن تقطع الطريق على هذا الغزو ٠

- ١ -

فاذا كان الغزو الفكري ، أيا كان ، يهدف الى الاشعار بالعجز ، والتبعية ، والتفتيت ، والفتنة ٠٠ فماذا يكون موقفنا المعاكس ؟

اننا من حيث نحن انسانيون نؤمن بالفرد في نطاق الاسرة ، وبالاسرة في نطاق المجتمع ، وبالمجتمع الصغير في نطاق المجتمع الكبير ، وبالمجتمع الكبير في نطاق الانسانية ، وبالانسانية في الحياة الدنيا في نطاق الايمان بالحياة الآخرة ٠٠ اننا من حيث نحن ناس نؤمن بهذا التسلسل الذي ينسرب فيه هذان الاتجاهان متوازيين ومتكاملين : من الانسان الفرد ـ مرورا بالاسرة والوطن والعالم ـ الى الله ، ومن الله مرورا بالعالم والوطن والاسرة ـ الى الانسان الفرد ٠٠ اننا ؛ من حيث نحن ناس نؤمن بهذا الطريق المزدوج ـ المنفرد ، متساوقون من غير أي توقف أو تردد الى مناقضة أهداف هذا الغزو الفكري مناقضة كاملة ، حماية منا للفكر نفسه ؛ فكر الانسانية كلها ، أن يتخذ مطية ذلولا للشهوات والاستعماريات والدنيويات والسيطرات ٠

ان الادباء ـ وفي وطننا العربي وفي العالم الجديد كله ـ لا يؤمنون بالعجز الذي يريد الغزو الفكري أن يحملهم عليه ٠٠ انهم يصدرون دائما ، تفكيرا وتعبيرا ، عن ايمان بأنه ليس هنالك متخلفون ومتقدمون ٠٠ بل بان هنالك ظروفا فرضت التقدم ؛ وأخرى ، قابلة للتغيير ، فرضت التأخر ٠٠ وليس هنالك متمدنون ومتوحشون ٠٠ ليس هنالك عبقرية بيضاء ولا قصور أسود ٠٠ ان كل محاولة لاشعار جماعة ما من الجماعات بالعجز انما هي خيانة عريقة للانسانية ٠٠ والادب في وطننا انما يصدر عن محاربة لمظاهر العجز لا عن تثبيت له ، عن نقض لاسبابه لا عن اقتناع بها ٠٠ عن انكار له لا عن رضى بواقعه ، عن ثورة على كل معانيه لا عن سكوت عنه ٠٠ والادباء ، والادباء العرب بخاصة ، يؤمنون أن الحضارة الحديثة ليست حضارة اوربا ولا حضارة امريكا ٠٠ ان الحلقة الاخيرة أو الحلقات الاخيرة أن تكون من هناك أو من هنالك ، والحلقات التي تقدمتها والتي جاءت هذه تكملة لها ومتابعة انما هي في ضمير الانسان العربي راكدة في أعماقه تحتاج من يثيرها ليندفع صاحبها وراء اكتشاف المجهول الذي يندفع اليه العالم ٠٠ انها في أعماقه في العلم ، وفي أعماقه في العمل ، وفي أعماقه في العقيدة وفي أعماقه في الفن والفلسفة ٠٠ ولا يحتاج الا الى أن يكشف التراب الذي

تكدس فوقها ، بعيدا عن افتعال المضاعفات والفتن ، ليكون في مكانه من القافلة الانسانية ٠

ان الادب العربي الجديد انما يهدف في الخارج الى مثل ما يهدف اليه في الداخل : الفرص المتكافئة في الداخل أمام الافراد والفرص المتكافئة في الخارج أمام الشعوب ٠٠ العدالة للجماعة الانسانية والعدالة للجماعات الانسانية فيما بينها ٠٠ مداواة الجراح التي خلفها الانحطاط والجمود والتبلد في الوطن ومداواة الجراح التي خلفها أشنع مرض أصيبت به الانسانية ، مرض الاستعمار ، ليلحق بعض الركب الانساني ببعض ٠٠ تلك هي أهداف الادب العربي التي تعيش في أعماق ادبائه فيصدرون عنها من غير استسلام لادعاءات العجز وادعاءات القوة ٠٠ بل اسلام لدعوة القوة وحدها : قوة الحق وقوة العلم ، والايمان بان وسائل التقدم العلمي كفيلة أن ترتفع بالشعوب التي تزحف على بطونها الى أبعد المستويات حين يكون العمل سليما صافيا خالصا مخلصا لوجه الله من غير استعلاء ولا استثمار ولا تغطية ٠

- ٢ -

والهدف الثاني في موقف الادباء نقيض الهدف الثاني من أهداف الغزو الفكري ٠٠ ان الغزو يهدف الى التبعية ونحن نهدف الى الاعتزاز ٠٠ لسنا نفعل ذلك رد فعل منعكس أعمى وانما نفعل ذلك حماية بعيدة لذواتنا الانسانية ووجودنا السليم ٠٠ ان التبعية لا تعني شيئا الا الموت ، والادباء العرب والادب العربي لا يعني الا الحياة ٠٠ وهو هنا ، في هذا الوجه ، لا يعني الا الاعتزاز والتميز والاعتداد بذاته وبالقوى الانسانية كلها ٠٠ ان هذا الاعتداد هو مرادف الارادة السليمة الصحيحة وهو جوهرها ٠٠ ومن هنا كان لابد من أن نجدد ايماننا بقول الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ٠٠ ان ذلك لايعني اننا فوق كل أمة كما تذهب الى ذلك بعض الدعوات ، ولا اننا الامة المختارة كما تدعى بعض الجماعات ٠٠ وانما يعني اننا الامة التي تتجه أكثر ما تتجه الى الخير ٠٠ وفي نطاق هذا الفهم يصدر أدبنا العربي وأدباؤنا المحدثون في حياتنا الجديدة عن الايمان بالشخصية المستقلة التي تملك قدراتها والتي تسخر هذه القدرات للعطاء والسماحة ، وتملك مشخصاتها وتدير هذه المشخصات على المروءة والخير والحق ، وتملك مواهبها وتمنح هذه المواهب للفن والجمال والمعرفة ٠٠ وهي لذلك لا تعرف التبعية ولا تؤمن بها لا في ذاتها ولا في ذات الجماعات الانسانية الاخرى ، ولا تؤمن بالالحاق ولا الذيول ولا الدرجات والسلالم ، وان الفروق حين تكون انما هي عرض طارىء ، وحتى حين تكون حقيقة في الاسرة الانسانية الواحدة فانما هي بمثابة الفروق في الاسرة الواحدة المتحابة المتكاملة ٠٠ أدعى الى الافادة منها في الوجوه التي تنفرد بها وادعى الى المعالجة في الوجوه التي تحتاج الى معالجة وترميم ٠

ان الايمان بالتميز ضد التبعية لا يعني تميز الاستعلاء وانما يعني ـ في هذه الفترة وفي مواجهة التبعية ـ التميز الذي يطمح الى المساواة ان صح هذا التعبير ..

- ٣ -

موقف ثالث يقفه الادب العربي المعاصر من الغـزو الفكري .. ان الغزو الفكري يهدف الى التفتيت والادب العربي المعاصر ، معرفة منه بماضيه وواقعه ، وحدسا منه بمصيره ومستقبله ، يدعو الى الوحدة ويعمل لها .. وانه يؤمن ان التوحيد كان دائما نجمة الصبح في ركب القافلة العربية يهديها ويدفع عنها الضلالات .. وقد انتهى في وعيه وفي أعماق لا وعيه الى أن هنالك دائما هذه الحقيقة الازلية الخالدة في حياة العرب والعربية منذ كانت حتى تكون الساعة .. هذه الحقيقة التي ترتسم على الافق العربي مع كل اطلالة صباح واطلالة مساء ، وتبدو في وهج الظهيرة وفي ماتع الضحى وفي الاصائل والبكور ، في اليوم القاتم وفي اليوم الصائم ، وتبدو للسميع وتبدو للبصير ، تؤكد أنه في كل مرة تكون فيها الوحدة تتحقق كل معاني الرسالة الانسانية التي يحملها العرب أو تسلك الى تحقيقها الطريق .. وفي كل مرة يحيد فيها الركب العربي عن هذه الوحدة الى غيرها أو يجادل فيهـا أو يستخدم اساليب من اساليب النفاق أو المكر او الخديعة فيها انما ينحرف عـن ذاته ، عن مساره الطبيعي الذي خلقه الله له الى مسار من ضلالات وضعف .. بل لعل هذا هو الذي اراده الله تعالى ـ أيها السادة ـ حين دعـا الى التوحيد .. ان التوحيد لغة السماء لاهل الارض ، والوحدة لغة الارض .. فاذا قالوا غير ذلك فقل لهم : انتهوا خير لكم .

العربية لغة ، والقرآن كتابا ، وتعاليم الاسلام لمن اراده من بني العربية ، وريادة العالم بهذا الركب كله في طريق الحق والخير ، تلك هي معالم هذه الوحدة ضد الهجمات والهرتقات والزندقات والعصبيات والعنصريات ، ضد كل خروج مدروس أو غير مدروس .. في عالم متفتح على الانسانية كلها ، متسابق معها الى الخير ، وفي محاولة لتحقيق أن يكون هذا الركب ـ ما وسعه ذلك ـ خير أمة اخرجت للناس .

اننا في ذلك لسنا أعداء لاحد .. اننا أوفياء لذواتنا ، أعداء للـذين ينكرون علينا ذواتنا .. أصدقاء لوجودنا أعداء للذين يهدمون وجودنا .. أصدقاء لتاريخنا أعداء للذين لا يرون من هذا التاريـخ الا سقطاته .. بناءون ايجابيون لمستقبلنا على أنه جزء من مستقبل الانسانية السعيدة اعداء لكل الذين يضعون في طريق الانسانية اشواكا مسمومة من المكر والخداع .. أصدقاء للخير حيث يكون الخير ، أعداء للشر حيث يكون الشـر .. في نطاق من ايحاء الآية الخالدة : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

- ٤ -

وموقف الادب العربي من الهدف الرابع للغزو الفكري وهو اشاعة الفتنة موقف النقيض كذلك .. ذلك انه اذا كان الغزو الفكري تخريبـي في حقيقته البعيدة يرمي الى الفتنة ويشغل بها ويصرف الجماعات عن معالجة مشاكلها الخاصة التي تحول بينها وبين النهوض الى معالجة مشاكل فرعية يختلقها ، وفتن يؤججها ، وبدع يقذف بهـا .. اذا كان الاستعمار الاخطبوط يمد في كل يوم ذراعا جديدة فان الادب العربي يقف هنا موقفا مزدوجا : يطفيء الفتنة من نحو ويعفي على آثارها بالعمل المثمر من نحو آخر .. انه لا يسعه أن يخرس الفتنة وانما يسعه أن يغرس مكانها المودة حتى يستوي له أن يعفي عليها .. ان كل مظهر من مظاهر الفتنة مجتلب مختلق ، ولذلك يسعى الادب العربي والادباء العرب في هذا الجيل الى أن يعودوا دائما الى الاصول السمحة الاولى يأخذون بها ويدعون اليها ويجعلون منها موازين للعمل والحياة .. ذلك لان الاصل في الحياة العربية انما هـو الخير ، بل ان الخير انما هو مبرر وجودها .. والفتنة شر .. ولذلك لن يدع الادباء العرب فيما ينشئون سبيلا الى غلبة الشر المجتلب الذي يبتعثه الغزو الفكري على الخير الذي هو أصل ما في حياتهم وأقواه .. انهم جديرون أن يكونوا حذرين أمام هذه الفتن كأشد ما يكون الحذر ذلك لانها أحيانـا كقطع الليل المظلم تحاول أن تسد عليهم الافق فلا يجدون فرارا منها الا اذا نظروا نجمة الصبح وعرفوا موقفها .. والفتن التي يحملهـا الغزو الفكري لا تصرح ولا تواجه وانما تداري وتحاول أن تستدرج الناس اليها ، خاصة الناس وعامتهم .. والادب العربي والاديب العربي من حقه ومـن طبيعته أن يكون شديد الذكاء شديد الحساسية كامل التنبه لقيمه الاصيلة فلا يضل ولا يزل ولا يستدرج ، وانما يحمي نفسه ويحمي باصالته والمعيته الجماعة العربية كلها ، فينبهها وينير عندها حس الاحتراس .. والكلمـة الطيبة التي وكل اليه أمرها هي الكلمة التي تحمل في بردها اطفاء الفتن .. وما أجدره أن يكون حريصا عليها .

* * *

وبعد فهذه أهداف الغزو الفكري وهذه مواقف الادب العربي منها .. انها ، كما قدمت ليست مواقف سلبية ولا ردود فعل منعكسة .. انهـا موقف بصير ، سليم ، قائم على أن النقيض يداوى بالنقيض لا لمجرد المناقضة ، بل لان النقيض الاول طعنة في الصميم والنقيض له دفاع عن هذا الصميم .. النقيض المهاجم محاولة للنيل من هذا الوجود حينا ومسخه حينا وتشويهه حينا آخر ، والنقيض الادبي العربي حماية لهذا الوجود من أن يمسـخ أو يشـوه .

لقد قلت ان الادباء العرب ـ وهم الطليعة ـ انما يقاومون الغـزو

الفكري بأهداف تقف لها على الطرف الآخر وتكشف زيفها وتبطل عملها ٠٠ ولكن ذلك لا يكفي ٠٠ انه أول الطريق ، ولا بد للطليعة العربية بعد ذلك من أن تتابع الخطى على الطريق ، من أن تسير أشواطا بعيدة الى الامام في بناء الحياة العربية الجديدة ٠٠ انها حين تدافع عنها تحميها ، ولكنها مسؤولة كذلك ـ باختيار منها ورضى وعن طواعية وايمان ـ أن تنصرف الى عمليـة البناء ٠٠ ان تزاوج بين الدفاع من نحو والبناء من نحو آخر ٠

وعملية البناء هي الاخرى عملية شاقة ، ولعلها ان تكون أشق واجبات الطليعة ٠٠ ان البناء يقتضي مئات من الجزئيات الكثيرة التي تندرج وراء هذه المواقف ٠٠ وما من سبيل الى أن تحصر هذه الجزئيات وأن يتحدث عن كل منها ٠٠ ولكن ينتظمها جميعا أن نكون حذرين أشد الحذر في تمييـز الجزئيات الرديئة من الجزئيات الصالحة ، والتفريق بين العشب الســام وبين العشب النافع ٠٠ اننا كثيرا ما نؤتى من هذه التفاصيل وكثيرا ما يلتقي تفكيرنا العام على الكليات ولكنه حين يندام في الجزئيات يوشك أن يتشتت ٠٠ فلا نستطيع أن نفرق بين ما هو غزو فكري وما هو حركة واجبة في طريق التطور ٠٠ ما هو عقرب الساعة الذي يجري الى الوراء وما هو عقرب الساعة الذي يجري الى الامام ٠٠ اننا لا نريد أن نحمل على الغزو الفكري ما هو تفاعل مع الفكر الانساني الطيب، وما هو افادة من التجربة الانسانية الكبرى، وما هو قدر مشترك بين جمهرة بني الانسان ٠

ان عملية البناء يجب أن تتم في نطاق قيمة كبرى هي ايماننا بالكلمة الطيبة وبالتقاء النفس العربية للفرد العربي بهذه الكلمة الطيبة واستجابته لها وتفاعله معها ٠٠ هذه الكلمة وحدها هي التي تسوق هذا الانسان العربي الى أبعد الآفاق ٠٠ من دون الوسائل الاخرى التي يمكن أن تتظاهر عليه ٠٠ فالوسائل الاخرى التي تتخذ من القهر والاكراه ليست من طبيعته ولا من تكوينه ٠٠ ولعله من أجل ذلك اختار الله له فن القـــول ومعجزته سبيلا الى الايمـــان ٠

ان الادباء مدعوون الى أن يؤصلوا هذه الدعوة الى الكلمة الطيبة في نطاق الحياة الداخلية لجماهير الشعب العربي ، واعتبارها وحدها الطريـق الى قلوب هذه الجماهير وتوحيدها ٠٠ أما العنف والقهر والاكراه فوسائل تشتيت وتمزيق ٠

* * *

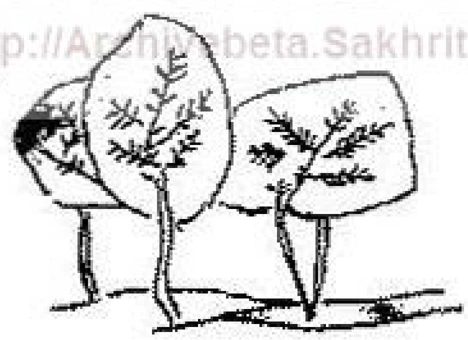
أيها السادة ٠ ذلك هو الغزو الفكري في أهدافه ، وتلك فيما يبـــدو مواقف الادب العربي منه ، وقيمه التي يتسلح بها في مقاومته لاعدائـــه الخارجيين ويتحلى بها في مقاومته لخصومه الداخليين ٠

وهل يسع الطليعة الادبية التي تحمل هموم الانسان العربي وتطلعـه

أن تسكت عن هذه الاهداف وأن تتخلى عن هذه المواقف وان تتجرد من هذه القيم ؟

انها قيم تاريخها الطويل ومستقبلها الاطول : تاريخها الذي يذهب بعيدا في الماضي الى اغواره ، ومستقبلها الذي يمتد في المستقبل الى أبعد آماده ٠

ايها السادة ٠٠ انكم لا تبحثون عن موقف ٠٠ أنا معكم لا أبحث عن موقف ٠٠ اننا نؤكد جميعا موقفنا ووجودنا واعتقادنا ٠



القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية

أمين الخولي

١ ـ القرآن قمة أدب العربية ، بما هو معجزتها القولية ، وقد تأدب به أمس ، وسيتأدب به غدا ، العربي المتدين بالاسلام او بسواه من الاديان ، وغير المتدين كذلك ، ثم هو كتاب المسلمين جميعا عربا كانوا أو غير عرب .

تحدث الادب العربي عن العرب مسجلا غالبا ، ومتطلعا أحيانا ، وتحدث القرآن عن العرب ـ بين الناس ـ منتقدا ـ ما ينتقد من أمرهم ، موجها اياهم لما كرم وسما من آمال الانسانية ، فاذا ما ساند العرب اشتراكيتهم اليوم بتطلعات أدبهم اللامحة فما اولاهم بان يلتمسوا مساندة هذه الاشتراكية بالتوجيه القرآني ، الذى هو ذروة هذا الادب ، ودعوة الامل للغد .

من اجل ذلك كان حديثي الى مؤتمر الادباء العرب ، في ناحية «الادب والبناء» عن القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية .

٢ ـ وتفسير هذا القرآن قد تناولته على الدهر خطط مختلفة ، وثقافات متنوعة ، منها ما تطمئن اليه ثقافة هذا العصر ، ويتذوقه الحس العربي المرهف ، ومنها ما يجنح الى غيبية ، أو يتوسع في الفهم توسعا لا يقره القرآن نفسه ، ومن هنا أشعر بضرورة الاشارة الموجزة لمنهج فهم القرآن وتفسيره اليوم ذلك التفسير الذي يكشف عن « المفاهيم المثالية للاشتراكية » فيه ، على اساس من طبيعة العربية وحسها الذى لا يجري عليه اختلاف ، ولا يتحكم فيه تعصب ، بل يطمئن اليه العربي بعروبته وحدها ، فلا ينكر عليه فهمه ، فيطمئن اليه المتدين بعد ذلك على بصيرة نيرة ، ينزل على حكمها الفن والعلم جميعا ، وللوصول الى هذا الاساس السليم ، لا تطلب مفاهيم القرآن بالطرق الاتية :

(أ) ـ من تفسير باطني يرى للقرآن ظاهرا وباطنا ، ويقول في ذلك بما يتضبط ، بل يوفي بالقرآن على خضم متلاطم ، من مقالات الفرق ، ودعاوي الباطنية .

ولا تطلب مفاهيم القرآن بشيء .

(ب) من تفسير اشاري يقول فيه الصوفية بمواجدهم وأذواقهم التي لا يضبطها الا ما يجدون هم ، ولا يمكن حمل الناس عليها ، اذا سلم لهم بشيء منها في خاصة انفسهم ... ولا تطلب مفاهيم القرآن بشيء :

(ج) من تفسير يعطي القرآن ما لم تعرفه العربية من دلالتها عند نزوله ، ليطمع في ان يشغل نفسه واهل القرآن باستخراج جديد علم اليوم منه ، يحسب أن ذلك خير للقرآن ، مع أن القرآن نفسه قد صرف الناس عن مثل ذلك ، ووجه الرسول عليه السلام الى ان يصرفهم عنه في مثل قوله : يسألونك عن الاهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج ـ ٢١٩/البقرة .

أ ـ وانما نطلب مفاهيم القرآن بالعربية الصريحة التي وصف بها نفسه في مثل قوله : انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ـ٢/يوسف .

وقوله : وكذلك انزلناه عربيا ـ ١١٣/طه ، وقوله : قرآنا عربيا غير ذي عوج ـ ٢٨/الزمر ، وقوله : كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ـ ٣/فصلت ، وقوله : انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ٣/الزخرف ، وقوله : وقرآن مبين ، في ١/الحجر و٦٩/يس .

واذا ما فهمنا القرآن على هذا الاساس المستقر والمستوى الثابت من العربية وحدها حق علينا :

ب ـ ان نطلب مفاهيمه ، كما تعطيها العربية التي كانت معروفة ومستعملة في زمن نزوله للناس الذين كلفوا بفهمه ، كما يدل على ذلك بمثل قوله : وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها، ١٠/الشورى فاذا ما كان في المعاني العربية المعروفة في عصر النزول ـ دون تزيد ولا توسع ـ ما يمكن ان يفتح آفاقا واسعة اليوم لفهم القرآن فلا بأس بذلك أبدا ، بل ينبغي ان يطلب مثل هذا التوسع ما دامت الدلالة العربية، في عصر نزوله وتقبله ، فلنستشف من مرامي التعبير القرآني اذ ذاك كل ما يستطيع التقدم الانساني ان يتبينه .

٣ ـ وعلى هذا الاساس اللغوى المستقر السليم تقوم الحاجة الى : الخطة الثابتة لاخذ الفكرة المتكاملة من القرآن ... ووجه الحاجة الى القول في هذه الخطة وثباتها هو ترتيب القرآن وتناوله للموضوعات المختلفة في غير موضع واحد .

فالقرآن لم يرتب في موضوعات مثل ما في سفر التكوين ، وسفر الخروج وأشباهها في الكتب الدينية ، أو مثل الابواب والفصول في الكتب العادية . وانما جرى على ترتيب آخر ، يلحظ فيه انه يعرض للموضوع غير مرة ، في غير موضع ، فالقصة الواحدة توجد بصورة مختلفة والحديث عن الاسرة ورباط ما بين افرادها قد يتناول في قصة احيانا ، كقصة آدم ، أو يتناول في آيات كونية ، لمناسبات أخرى ، ويتناول في مقام التشريع ...

وهكذا الامر في الاموال وملكيتها ، تناولهـا القرآن في مواضـع متعـددة ولمناسبات مختلفة ، وفي صور متعددة ٠٠ فكيف تؤخذ الفكرة المتكاملة عن الموضوع الواحد من القرآن ؟

يبدو جليا أن الجواب عن هذا السؤال هو :

ان يجمع ما عرض له القرآن عن الشيء الواحد من مواطنه المختلفة فيه ، جمعا شاملا ، ثم يفهم كله فهما متناسقا ، يرد فيه بعض القرآن على بعض ، ويفسر بعض القرآن ببعض ٠

وهنا يتضح ان هذا الفهم المتناسق الذى يفسر فيه بعض القرآن بعضا يحتاج الى أساس ثابت لهذا التناسق والفهم المتكامل حتى يقع الاتفـاق على قبوله ، ولا يكون موضعا لاحتكام المحتكمين فيه ، واختلاف المختلفين حوله : ونضع من أمثلة هذا التناول المتغاير في القرآن ما يفتح الطريق للخطة السليمة في هذا الفهم المتكامل ، على ما اشرنا اليه ، فسنجد في :

(أ) السلم والحرب مثلا ان القرآن قد قال حينا : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ٠ ٢٠٨/البقرة ، وهو الذي قال : يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم مـن الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ٠ ١٢٣/التوبـة ، كما قال الكثير غير ذلك في هذا المعنى ٠

(ب) في معاملة الزوجة قال حينا « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيـات لقـوم يتفكرون » ٢١/الروم ، ثم هو الذى قال : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن » ٣٤/النساء ٠

(جـ) في الأموال وملكيتها قال القرآن مثل : «وتحبون المال حبا جما» ٢٠/الفجر ، وسمى الاموال أموالهم وأموالكم في مثل قوله : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ٢/النسـاء ، ويعتبر أخذهـا اقتراضا منهم في مثل قوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ٠٠٠ الآية » ٢٤٥/البقرة ، ١١/الحديد

والامثلة على ذلك التغاير في تناول القرآن للمشكلات الحيوية كثيرة، بل ان هذا التغاير قد يكون بين صدر الآية وختامها في مثل قوله : وكتبنـا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانـف والاذن بالاذن والسن بالسن ، والجروح قصاص » ثم تعقيبه على ذلك حتما للآية بقوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ٤٥/المائدة ٠

وقوله في القصاص : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » ، مع تعقيبه عـلى ذلك بقوله :« فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليـــه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عـذاب

اليم » ١٧٨/البقرة • وقوله : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » وبعد هذا يقول « فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا » ٣٣/الشعراء •

فكيف تحفظ على القرآن هذه الدعوات الانسانية الكريمة بصراحتها ، وقوتها ، وخيرها ، وأهل الدنيا فيها ، من دعوة الى السلام العام ، ومن مثالية في علاقة الرجل والمرأة ، ومن عفو في القصاص العام ، وقصاص الاعضاء •• ومن تخفيف حدة غريزة الاقتناء الى جعل الملكية لله ، واعتبار الناس مستخلفين فيها ، ينفقون انفاق الوكيل عن أصيل كريم ، رزاق ، وهاب • وحاجة الانسانية الى هذه الدعوات الكريمة السامية حاجة جد شديدة ، وتطلعها اليها تطلع حريص متشوق ، بقدر طمعها في غد أفضل ، وأملها في حياة اكرم واسعد •

ماذا نفعل في هذه الحال ؟ انقرر نسخ آية السلام العام ، كما قال بعضهم ، او ننسخ آية المن والفداء التي لم تشر الى الرق اشارة ما ، ونقتل الاسير أو نسترقه ؟ انسى تقرير ملكية الله للاموال واستخلاف الناس فيها ، ونحترم الاقتناء والاحرار • ونبيح القتال عنه ، ونقرر استشهاد من مات مقاتلا عن ماله !!

وليس كل ما في الامر هو بشاعة هذه النتائج العملية في الحياة ، بل ان قضية النسخ هذه نفسها ، نجد في الاولين من انكرها كأبى مسلم الاصفهانى ، ومنهم من انكر بعض ما ادعى منها كانكار الطبرى نسخ آية السلام العام في البقرة ، كما نسمع فخر الدين الرازي يقول :

ان وقوع النسخ في القرآن مما لم يثبت بالدليل فضلا عن وقوعه بالسنة أو بغيرها(١) •

وأكثر من ذلك ان التسليم بالنسخ لا يحل المسألة حين يكون صدر الآية تقرير عقاب ، ويكون ختم الآيات نفسها حثا على العفو كآية القصاص في النفس وفي الاعضاء السابقة وغيرها ، فهل نقول بنسخ ختام الآية فى هذا الحض ، ونعمل صدرها في العقاب ، أو نقول ان هذا الختام للآية ليس الا وعظا وترغيبا ليس له قيمة عملية !!

ولقد انكر هذا النسخ من الاقدمين من انكره ، مع انهم لم يكونوا يستشرفون لهذه الآمال الكريمة ، والمثل النبيلة ، استشراف الدنيا اليوم لها ، فهل نقول بالنسخ نحن الآن • والدنيا تتشوف الى نسمات ملطفة من هذه الآفاق الرحيمة ! اذا كانت باسم الدين ومن كتاب الدين فانها أكرم قيمة واجمل وقعا -

* * *

ليس في الامر الا ان نقاوم هذا الاهدار ، ونلتمس الرأى الثابت فى الفهم المتكامل لتناول القرآن الذى يمكن القطع بانه لم يتغاير جزافا ولا نسخا ولا وعظا ، بل تغاير عملا ليهيىء للقرآن الصلاحية المتصلة المستمرة لمسايرة

(١) الرازي : مناقب الشافعي ص ٢٦٢ ط حجر بمصر •

الحياة فى تطويرها ، بل لوافع المعالم على طرائق مستقبلها ٠

والرأى الذى هدى اليه تتبع هذا الصنيع من القرآن ، تقديرا لعموم دعوته وخلودها هو : ان الخطة المطردة ، في الفهم المتكامل لتناول القرآن للموضوع الواحد ان بعضا من هذا التناول تحتاج اليه الحياة — قديما وحديثا — في حال لها ، وعصر من عمرها ، ومستوى من تحضرها ، لاتبلغ فيه من الطموح الواضح اكثر مما تلائمه هذه الاحكام وتلك التنظيمات ، فهى في هذه المرحلة تغضب او تثور اذا لم يقابل العنف بالعنف ، والقتل بالقصاص ، ولا ترتاح لشيء من العفو للاخ عن شيء من ذلك وهي لا تفهم من صلة الزوجية الا ان تساس المرأة هذه السياسة ، فتضرب بعد الوعظ ، والمرأة نفسها في هذه المستويات لاترتقي الى ادراك ان أساس علاقتها بالرجل هو المودة والرحمة ٠

فيكون ما في القرآن من مثل هذا هو ما يمكن ان نسميه «بالواقعية» التى كان يجب ان يجدها المدعوون اليه في القرن السادس الميلادى ليحملوه الى الناس ومعه مالم يستشرفوا هم وقتها اليه ، فصدق فيهم ان السامع يكون اوعى من المبلغ ، كما في الحديث :

وأما ما وراء ذلك مما حملته آيات متعددة ، او ختمت به آية واحدة فهو أمل تطمح اليه الدنيا كلما ازداد وعيها ، ودق شعورها ، وما في القرآن من ذلك انما هو مثال يرفعه للانسانية لتتجه اليه ، وتطمح له ، فتبلغ من ذلك آخر ما يمكنها ان تطمح اليه او تفكر فيه مع الزمن ٠

فما ذكرناه من هذه الدعوات الراقية المسعدة ، للسلام ، وأساس العلاقات بين الرجل والمرأة والاستخلاف في المال هو ما يمكن ان نسميه بالمثالية » القرآنية ٠

ففى القرآن واقع عمل به أمس ويعمل به الان ، وسيظل يعمل به في مجتمعات لاتتطلع الى ما وراءه وهو الذى تفهمه ، ثم في القرآن مثال يرجى ويسعى اليه ،وهو يمسك على الناس أملهم ويطمعهم في قرب تحققه ، ويسدد خطاهم اليه ٠

وتتمة القول عن هذه الواقعية في القرآن ، وتلك المثالية فيه ، وامكان اجراء الفهم المتناسق للقرآن على تغاير تناوله ، مما يمكن ان يلتمس في غير هذا المكان ٠ وحسبنا هنا البيان للخطة ، وتأكيد ان تناول القرآن لجميع ما تناوله من شئون الحياة يجرى كله على هذا الاساس الثابت ، من الواقعية والمثالية ، ويفهم على تكامل فيهما وبهذا التناسق بينهما ، فيحفظ كرامة الدعوة القرآنية ، ويديم صلاحيتها للتطور على اختلاف الازمنة ، ووفاءها بحاجة الاقاليم المختلفة والبيئات المتنوعة ٠

وهذا بيان كاف للانتفاع به في استخراج معاني القرآن في : المفاهيم المثالية عنده للاشتراكية ٠

٤ ـ على أساس من هذه المبادىء المستقرة ، وهي:

(أ) ثبات المستوى اللغوي لفهم القرآن دون شيء من الغيبية الباطنية أو الخصوصية الصوفية ، أو التوسع غير المنضبط في مدلولات الفاظ القرآن لما سبق بيانه ٠

(ب) ثبات الخطة في تكامل الآيات القرآنية ، ورد بعضها ، وضبط ذلك برد بعضه الى الواقعية وبعضه الى المثالية ، يدفع الكثير من الاعتراضات على واقعيات فيه نظنها هي الصورة الاخيرة من التدبير القرآني للحياة ٠٠

فمن افق هذا الثبات والوضوح ، والاحتكام الى حس العربية الغني ، دون اى شيء آخر نستخرج :

المفاهيم المثالية للقرآن في الاموال

فنجد ان القرآن بواقعيته يعرف حب الانسان للمال ، ورغبته في التملك والاقتناء الفردي ، وهو لايهجم على هذا كله بكبح وكبت قاس ، كالذى حاولته بعض الاديان أو الفلسفات ، بل هو قد اعترف بملكية الانسان، ونظم تناقلها بين الاحياء ، وتوارثها عن الاموات ، وشغله من ذلك غير قليل ،لكنه كاسلوبه في العرض المتعدد المتفرق لم يفصل هذه الواقعية ، عن شبهمثالية، أو مثالية تتفرق في عرضه وتناوله ٠

ثم هو مع معرفة هذه الرغبات وواقعيتها يأخذ بيد البشرية في سبيل تهذيبها ، وكبح جماحها ، والتنقل بها شيئا فشيئا ، من الحرص الشديد الى تقبل الهوادة فيه ، فالتسامل فيه ، فالتغلب عليه ٠

هو يهذب غريزة التملك بمثل نهيه عن الاغترار بالاموال ٠ بل ببيان أنهما أعداء : « إعلموا انما أموالكم واولادكم فتنة » ٠٠٠ « ان من أموالكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ٠٠٠

وهو يحول الميول تحويلا نفسيا مدبرا ، يدفعها الى ان تتقي شحها ، ويغريها بما هو خير وابقى من المال ٠٠٠ وهو يقاوم اسرافها في طلب المال فيحرم ان يكسب المال مالا ، على ماهي حقيقة الربا الذى هـدد بمحقه ،

وقال : « يمحق الله الربا » ٢٧٦/البقرة ٠

وهو يهدد اكتناز المال ، وعدم اخراجه للمنافع الاجتماعية ، ويبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب اليم ٠ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسهم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ٣٤/التوبة ٠

وهو يقرر الجزاء الحسن على الانفاق في سبيل الله ، بعدما جعله قرضا لله ٠٠٠ كما انه ينبه الى الانفاق في سبيل الله من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » ٠

فهو — كما ترى — ينقل الانسانية من واقعها تدريجيا بطريقته في العرض المنوع المتفرق ، المجاوز للاعتراف بالواقع ، ويهيىء بذلك كله لمثالية عرضها بأسلوبه هذا ، الذي يترك هذه المفاهيم المثالية للوقت الذى يقوى فيه شعور الانسانية ، ويدق وعيها فتحسن الانتباه لذلك ، وتجد منه ما يعزز انطلاقها ويؤيده ويسدده ، لاما يكتفي بعدم تعويقها لاغير .

فاذا هو في مثاليته يقول في عرضه المتنوع « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » فاذا المال لله ، لا لمقتنيه ومالكه ، ويقول :« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » فاذا هم وكلاء فقط ينفقون انفاق الوكيل عن اصيل طالما وصف نفسه بالكرم والجود والبر والرحمة ، ومضاعفة الاجر ... ومن هذه المعاني ما أدركه المفسرون القدامى انفسهم ..

وإذا المتطلعون لاسرار هذا القرآن يقولون : ان المال كالماء ، لا يشرب منه أكثر من الحاجة ، فأقوياء النفوس الصالحون لا يشربون من الماء أكثر من حاجتهم ، وينفرون مما وراءها ، ولا يجمعون الماء في القرب والروايا ينوءون بها معهم ، بل يتركونه في الانهار والبرارى للمحتاجين(١) .

* * *

هذه هي المفاهيم المثالية الواسعة الافق البعيدة المدى ، في مسألة المال وملكه وانتفاع الناس به ، وهي كما ترى اوسع افقا من الاشتراكية التي تتحدث عنها الشعوب العربية اليوم ، وما فيها من قطاع عام ، وآخر خاص ، ورأس مالية وطنية ، وتعويض عن التاميم ، وأشباه ذلك .

فلتسم البشرية ما تشاء من اشتراكية كذا واشتراكية كيت فان المفاهيم المثالية القرآنية تتسع في وضوح وجلاء ، ودون اى تحكم في التعبير أو تساؤل في اللفظ الى اوسع من هذا كله .

ومن أجل ذلك لايقبل ان تنعت هذه المثالية الكبرى باسم مذهبي كالاشتراكية ، لان مثاليته جاوزت آمال الاشتراكية ، وفاتت واقع أعمالها فليبق القرآن مثاليا لا مذهبيا .

ومن أجل ذلك كان عنوان هذا البحث هو :

القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية

قدم فيه القرآن ، وجعلت المفاهيم مثالية ... ولم يجر على غرار ما رسم في تنظيم المؤتمر من تأخير الادب وذكر المفاهيم الاشتراكية ... ولعل هذا الصنيع يمنح الحياة العربية اليوم ما نرجوه من تذليل العقبات . وتصحيح الافكار ، ودفع العرب قدما بفضل الفن ، والدين والعلوم جميعا .

(١) الغزالي — احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٦ ط الحلبي .

دور الادب في معركة فلسطين

سميرة عزام

لفلسطين من بين موضوعات هذا المؤتمر موضوعان ، ونستطيع أن نقول تجوزا ان لها كل الموضوعات ، فانفعال الواقع القومي بنكبة فلسطين قد حرك كل هذه المخاضات والتحولات التي فرضت منطلقا جديدا للوجود العربي ، وفرضت بالتالي أن يكون الموضوع العام للمؤتمر وتفريعاته هي المحاور الفكرية للمجتمع العربي الحديث •

ولست أريد من هذا الموضوع الذي اخترته أو اختير لي أن أتوسع لاصل الى تحديد الترابط العضوي بين هذه جميعا وبين موضوع فلسطين ، ولا أن أتوسل الى الحديث عن دور الادب مستقبلا بمقدمة تتناول ما تركته النكبة في أدبنا من ملامح ، فلهذه موضوع مستقل ، ولكنني على أية حال لا أستطيع ان اخلص لموضوعي دون توطئة قصيرة •

دور الادب في معركة فلسطين واستعمال كلمة معركة هنا بدلا من كلمة قضية يحمل في تضاعيفه ايحاء قائما على حقيقة الشعور بان حتمية المعركة قدر من أقدار هذه الامة تمتحن فيه اصالتها وجدارتها بالحياة • وبقدر وعينا لهذه الحقيقة ينبغي أن يأتي انفعالنا بها • ومن هذا العمل الانفعالي تتفجر ألوان التعبير عن ملامحها •

ان الفرق النوعي في النظرة والاحساس والفكر الذي يجب أن تفرضه طبيعة الانفعال بفلسطين كنكبة قائمة ، والانفعال بالقضية كمعركة حتمية ، يفرض علينا ألوانا من الاستجابة لا تقتصر على اطراح التفجع والندب فحسب ، بل تقتضي حسا شموليا ونظرة استشرافية لابد للفكر وللادب من أن يعانيهما ليصح اعتبارهما أداة من أدوات المعركة ، أداة تحمل في تضاعيفها التنويه بوزنها وقيمتها الذاتية •

لو رجعنا للمظاهر الكبرى التي تناولها الادب منذ النكبة حتى اليوم لرأينا أن الحصيلة كانت عموما هامشية تترنح في الظلال ، أو تترجم فورات آنية تقول ما لديها ثم تنطفىء فكأني بصاحب الاثر لا يرمي الا الى التدليل مرة أو مرتين على أنه ليس غائبا عن قضية من قضايا العصر الكبرى ، وليس حظ

لون أدبي بأفضل من حظ لون آخر ، فما يثبت من مئات القصائد لا ينهض شاهدا على فضل الشعر ، وما يصح اعتباره رواية بالمفهوم الجدي للكلمة يضيع في ثنايا روايات وقعت في مفازات التسطح ، ولا ندري بماذا يمكن أن نعتذر عن القصة القصيرة ، أما البحوث فاننا لو اسقطنا من الحساب تلك الابحاث التي توسل بها أصحابها لنيل درجة علمية ، أو التي قامت اصلا غاية دعاوية ، لرأينا ان الفكر كان شبه غائب عن هذه القضية ٠

نقول ذلك ونحن نعلم ان التعميم قد جار على بعض الاعمال الاصيلة وفوت علينا فرصة التنويه بكتاب وشعراء عاشت القضية في وجدانهم ووسمت أكثر انتاجهم بميسمها ٠ ولكن النسبة تظل في النتيجة دون هذه القضية بابعادها السياسية والانسانية الخطيرة ٠

بوجه من نفجر الاتهام ؟ يبدو ان التعقل يستلزم الا تكون ادانة قبل ربط النتائج بالاسباب في شيء من روية التحليل وهدوء النظرة ٠

ان فترة ما بعد النكبة بما طرحته من تبدلات جذرية في السياسات والكيانات والمجتمعات قد مست فيما مسته وضع الادب عامة ، وفرضت عليه أن يتفاعل مع ما حوله فيقوم بتجارب يستخلص منها قيما جديدة ، ويبحث لنفسه عن شخصية جديدة في المضامين والاشكال ، فما أصاب الناحية العامة لابد وان يظهر أيضا فيما يتصل بقضية فلسطين من آثار أدبية ٠ وقد لا يكون من الحق ، ونحن نعترف بان الفترة كانت فترة تجربة وانصهار، ان نطمع بأكثر مما يمكن لطبيعة الفترة ان توفره ولكن دون الشطط في الاتكاء على الظروف كعذر اتكاء يحول بيننا وبين عملية رصد لهذه الملامح التي برزت لنتمكن من سبر امكاناتها ، وتحديد القسط الذي يمكن ان ينهض به الادب في المعركة ٠

وقد يكون منطقيا هنا أن ابدأ بالاديب الفلسطيني بين أدباء العرب فأتساءل الى أي مدى توافر على الانفعال بالنكبة ، وهي نكبته أولا ، والى اي مدى استطاع أن يكون أصيلا وشموليا في وسائل تعبيره ؟

يبدو لي هنا ان سؤالا معينا يفرض نفسه بقولنا : وهل كانت هنالك في فلسطين قبل النكبة حياة أدبية بالمعنى الكبير لهذه الكلمة ؟ الواقع ان خروج البلاد من الحكم العثماني ، وهي فترة تتسم بالانحطاط الفكري في أجزاء الوطن العربي عامة ، لتبتلى بالانتداب البريطاني وما انطوى عليه من نوايا التوطين الاسرائيلي قد واجه البلاد بوضع يعتبر معه الفكر والادب ترفا لاينال ٠ ولقد كان الشعر بحكم طبيعة ارتكازه على اللحظة الانفعالية أكثر حظا بالبروز من غيره من ألوان الادب ، ولقد كان في فلسطين شعر وشعراء قالوا في المناسبات القومية ، وتركوا لمعارك الاهلين مع السلطات ، ولمآثر أبطال الجهاد ، سجلا حافلا ، ولكن القصة والرواية بمفاهيمهما الحديثة لم تكونا لونا أدبيا متداولا ، ثم حلت النكبة لتشرد من الاهلين من شردت ولتفرض

مرحلة ذهول تأرجح فيها الفلسطينيون بين اليأس والاحساس الكلي بالضياع، وكان طبيعيا أن يشعر الادباء بعقم الكلمة في موقف أهدرت فيه كل القيم فسكت بعضهم يأسا وسكت البعض الآخر انشغالا بمطالب العيش في الاماكن التي نزحوا اليها ، وخضوعا لتحديات تتصل بشؤون حياتهم اليومية ، وحياة أسرهم ، أو لوجودهم في بيئات تحرم عليهم اصلا الكلام في قضيتهم لانهـا تعتبر ذلك كلاما في السياسة ٠

وفي فترة ما بعد النكبة كانت بعض المواهب الفلسطينية الناشئة قـد استكملت بعضا من أسباب النضج ، وقد أتاح لها انفعالها بالحياة العربيـة الجديدة واتصالها بمرحلة التجارب أن تكون أقل يأسا وأكثر انفتاحا ، وان تستمد قيما لا تلغي أهمية تحريك المشاعر عن طريق تصوير النكبة شعرا ورواية وقصة تصويرا حمل شيئا من ملامح الاصالة توفر له من المعانـاة الشخصية ، والتصاق هؤلاء الادباء التصاقا أوثق بطبيعة المأسـاة الا أن انفعالهم بالحياة في البيئات الجديدة قد زجهم في دوامة من القضايا صرفتهم عن التماس موضوعاتهم من المعاني المباشرة للنكبة ، كما أن الحس الشمولي والاستبطان الذي يلم بشتات الابعاد ظل مفقودا ، وظلت النكبة وظلالها أكبر بكثير من كل ما قاله ابناؤها مجتمعين ٠ فهل وفق غير الفلسطينيين ـ وقـد كانت ظروفهم أفضل على أية حال ، ـ حين قصر أولئك عن الانصباب انصبابا زخما في مسارب القضية ؟

الواقع انهم ـ نقول ذلك دون أن نلغي من الاعتبار فترة التجربة التي أشرنا اليها ـ لم يكونوا أحسن حظا ، كان ضعف التمثل للتجربة واضحا في أكثر ما كتبوه ، وكانت آنية الاستجابة لا توفر أكثر من نزوات أدبية تفتقر الى الرؤيا الصحيحة أو المعاناة الحق، وكان سوء الفهم العام للنواحي السياسية أو الاجتماعية للقضية يفضح نفسه في ثنايا العمل الادبي لدى بعضهم ٠

وكنا نتساءل ونحن نرى الصهيونية العالمية تنشط على كل الصعد ، ولا تستثنى الادب بل لا تقصر في شراء الاقلام والمواهب ، ألم يكن حجـم النكبة كافيا بحيث يهز أدباءنا وفنانينا العرب هزا ويدفعهم الى الدوران في فلكها فلا يكتفوا بتناولها من بعيد أو بشكل جانبي لا يقرب الجذور ولا يتعمق الاشـياء ؟

ومرة أخرى انبه الى أن هذا الحكم يحتمل بعض الاستثناءات ولكن هل نستطيع ان نعتبر قصيدة تقال أو تنشر ، أو رواية تعرج تعريجا هامشيا على قضية فلسطين ، أو فصلا في كتاب اسهاما حقيقيا في القضية ؟

نحن لا نريد أن نغمط أصحاب هذه المنجزات ما انجزوه ، ولا صدق عاطفتهم فيما قالوه ، ولكن الابعاد التي نريدها لمعالجة هذه القضية أوسع بكثير مما استطاعت هذه المنجزات أن تبلغه ٠

ان التفاعل الحقيقي بين القضية وبين الاديب العربي ما يزال بعد سبعة عشر عاما من قيام النكبة ، وبعد توفر المنظور الذي يتيح شيئا من هـدوء

التأمل ويفرض نوعا من عمق الانفعال غير المتعلق بأهداب الآنية ، ما يزال غير قائم • ولا أرى أسباب قيامه مهيأة الا عبر ظروف غير التي نرى ، ظروف يستطيع الاديب اذا كان مستحقا اسمه ان يسعى لتوافرها ليكون شاهدا حقا من شهود القضية الكبرى ، وقد يحسن أن نجمل هذه الظروف في نقاط أهمهـــا :

١ ـ تبصر الاديب العربي عامة والفلسطيني خاصة بنواحي النكبـــة وابعادها والتفاعل معها بشكل أوثق •

٢ ـ اتاحة المجال له لمشاهدة آثار النكبة واننا لنتساءل كم واحـــد ممن عرضوا للمخيمات في أعمالهم قد عرف هذه المخيمات ورأي كيف تأسن الحياة فيها وتتحول القضية بسياسة مرسومة في الخـــارج ، وممسوسة في رغيف الاعاشة ، من قضية وطن الى قضية لقمة •

٣ ـ ارتفاع الاديب العربي فوق الاحداث القصيرة التي يتأثر بهـــا من تصرفات فلسطينية فردية لا يمكن الا ان تظهر في كـــل مجتمع انساني يضم انماطا شتى من النفوس والاتجاهات ، تصرفات قد تنجح في أن تحجب عن الاديب الرؤيا الشاملة لطبيعة المشكلة الاساسية في حين يتوجب عليه أن يرتفع عن التأثر بها •

٤ ـ عدم قصر احساس الاديب بالنكبة على مناسبات معينة بل تعـدو القضية لديه قضية معايشة يومية ، والواقع اننا لا نطلب شيئا يعجز الاديب الحق ، فان تجاوبه يجب أن يتم ابدا على نطاق الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب ـ وان قدمت في نظرنا على غيرها من المشكلات ـ وانمـــا بجميع قضايا التحرر في العالم •

٥ ـ اعادة الايمان الى النفوس بجدوى وقيمة الادب كعامل من عوامل قضية ما يبدو ان القوة هي الحل الامثل والوحيد لها ، في حين ان طرح أي عمل أدبي يجعل المشاعر متوفزة بشكل يسهل تعبئتها وتوجيهها في طريـق الحل الذي تبدو القوة عامله الوحيد •

ان فقدان الايمان بقيمة الادب في المعركة يوازي في خطئه ظن الاديب بان كونه صاحب قلم يجعله يطمئن الى أنه أدى دورا يساوق في شرفه دور مجند يموت في الساح • ان الرصاصات التي مات همنجواي وهو يحمـــل آثارها في الحرب الاهلية الاسبانية خير شاهد على بطلان هذا الشعور الخادع ، ولماذا لا نتناول اسما وثيق الارتباط بالموضوع هو الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود صاحب قصيدة (سأحمل ، روحي على راحتي) ، والـــذي حمل روحه فعلا ليقضي في معركة من سلسلة المعارك التي نشبت في ثورة ١٩٣٦ •

٦ ـ ان يكون للاديب العربي وضع المفكر بحيث يستشرف ويوجـــه ويحمل في تضاعيف أدبه ايحاء بما يجب أن تكون عليه المعارك السياسـية فاذا قبلنا هذا الفرض وجدنا ان الاديب يحمل ارهاصات نبوءة ، ويعكس

احساسات جماعية تستطيع السياسة ان تستهدي بها في رسم خطط الحاضر والمستقبل ·

فاذا كانت هذه هي العوامل لا يمكن أن يقوم بدونها أديب في مستوى القضية وجدنا مسوغا لذلك التسآل المتكرر عن واقعنا في الادب القومي من هذا الافق الرحب ·

فاذا كنا واقعيين بحيث نعترف اننا دونه بكثير ، فان علينا في الوقت نفسه أن نقر ان بلوغه لايتم دون التكامل بين عنصرين لا يقوم احدهما دون الآخر ، المادة الخام ، وتتمثل في الاديب ، والظروف وتتمثل في المجتمع وما يقوم فيه من نظم ومؤسسات رسمية وأهلية ·

لنفرض انه وجد الاديب الحق ، وان هذا الاديب قد استطاع ان يطرح عملا جديرا بالحياة ، فما هي ردود الفعل التي يلقاها في مجتمعاتنا ؟

اذا كان حسن الحظ وجد في أحسن الظروف ناشرا يطبع له ألفي او ثلاثة آلاف نسخة يتداول نصفها الادباء هدايا ويضيع نصفها الآخر في المستودعات فكيف يمكن هنا للعمل ان يخرج الى النطاق الشعبي ليلعب دوره كعامل من عوامل التعبئة اذا لم تتصل أسباب حياته بوسيلة نشر شعبية كالسينما أو التليفزيون أو الراديو ، ولم يعرف طريقه الى الرأي العام العالمي عن طريق الترجمة والرقوق السينمائية ؟

لا يمكن بهذه لبساطة ان نرى القضية من زاوية واحدة ، زاوية الاديب فحسب ، فالمؤسسات ـ بنسبة أكبر من تحمل روح المسؤولية ـ مطالبة بحمل العبء · فالجهد الفردي يظل فرديا اذا لم يجد له متنفسا من خلال ما تملكه المؤسسات من وسائط ·

ان الحكومات ، ومعها جامعة الدول العربية ، وما ينهض وراء الحكومات العربية والجامعة من وسائل الاعلام والنشر والبث ، مدعوة الى الشعور بضرورة تسخير كل هذه الوسائل والامكانات لعملية تعبئة فكرية وروحية واسعة النطاق · عملية مدركة للاخطار التي تهدد الوجود العربي من اساسه ما لم تكن الجماهير العربية على مستوى الشعور بمسؤولية الدفاع عن هذا الوجود · عملية تحيط بالوسائل وتفيد منها وتستثمرها على احسن وجه ، وتترجمها على الصور التالية :

فرض القضية على مناهج المدارس والمعاهد والجامعات ، ووضع مقررات مدرسية للمطالعات تضم مختارات من الادب القومي الفلسطيني ·

ـ رصد جوائزسنوية لتشجيع الدراسات وكتابة المسرحيات والروايات والقصص ودواوين الشعر وكل ما يتصل بالادب القومي ·

ـ استكتاب اقلام تكتب بلغات اجنبية في موضوعات تتناول القضية الفلسطينية وتشرح نواحيها · وترجمة آثارنا الى اللغات الاخرى ، والعمل على نشر هذه الدراسات بحيث تؤدي الغاية منها ·

ـ انتاج سينمائي تدور موضوعاته حول النواحي الانسانية لقضية

فلسطين له من القيمة الفنية ما يسمح لـه بان يعبر الحـدود ، واهداؤه للحكومات والشعوب الصديقة ، وتذليل أية عراقيل اقتصادية أو سياسية قد تنهض في وجهه .

ـ انشاء مراكز للبحوث العلمية في موضوع القضية ، ومساندة المراكز القليلة القائمة حاليا وتوسيعها .

ـ مساندة الصحف والمجلات والنشرات الدوريـة التي تحتضن قضايانا القومية بحيث تقوى على تطوير نفسها بصورة تستطيع معها استقطاب كتاب من مستويات فكرية رصينة .

ـ احتضـان الادباء والمفكرين الاجانب المتعاطفين مـع القضـية الفلسطينية لتعويضهـم عن الضغط والاضطهـاد الذى يتعرضون لـه في المناخات التي تنشط فيها الصهيونية العالمية .

ـ استغلال عملية التبادل الثقـافي مع الدول في تقديم الادب القومي باطاراته المختلفة على غيره من الآثار .

ـ افساح المجال بصورة أكثر جدية في الاذاعات العربيـة المختلفـة لما يسمى برنامج بحيث يتسع لتجسيد اعمال أدبية ذات قيمة تفلح في خلق التعاطف اللازم بين المستمع والقضية ، وكذلك استغلال التيليفزيون وتسخيره لعملية التعبئة المطلوبة .

هذه هي المقترحات التي تخطر في البال على ضوء ما نملك من وسائط ووسائل ، والافادة منها بصورة صحيحة وفعالة ترتبط دون شك بمدى ما تشعر الحكومات العربية انها جادة في الاعداد لمعركة .

فاذا ما رحب الافق أمام الاديب العربي وتحسنت الظـروف بحيث تغدو مواتية لخلق شيء ذى قيمة . ولم تحد العقبات السياسية والمـادية من انطلاقه وجد انه مدفوع الى تكريس فنه لخدمة العمل القومي . ونحن في نهاية الامر لا نستطيع الا ان نعترف بانه انسان ذو مطالب ، وان تحقيق مطالبه يوفر له مناخا حياتيا على التثقف والانتاج ، فـلا يذل قلمه اذلالا في النوافل ، ولا تدفعه حاجته المادية الى التماس الجزاء من جهات اجنبية تغدقه عليه على حساب كم فمه عن معالجة قضايا القومية .



تسمية الخليج بالخليج العربي

عبد الرزاق البصير

طالما شكا المهتمون بمقومات هذه الامة المجيدة من تأثير الاعاجم على تلك المقومات كاللغة والادب والجغرافية والتاريخ ... وكان هذا التأثير في مبدأ الامر ضعيفا لا يكاد يلتفت اليه الا المدققون أصحاب الاذهان الحادة ... لانه مقصور على اللحن في الكلام ... وقد كان تلافي هذا الخطأ هو ان وضعوا (علم النحو) وكان ذلك على يد ابي الاسود الدؤلي ... لكن هذه الاخطاء ما لبثت ان زادت وتفرعت حتى شملت كثيرا من الاسماء التاريخية والادبية والجغرافية .

وقد شاعت هذه الاخطاء الى درجة لم يلتفت اليها بعض كبار العلماء والادباء ... ولا يعني هذا ان جميع العلماء قد وقعوا في هذه الاخطاء فنحن نعرف ان كثيرا من الباحثين قد ألفوا كتبا في التنبيه على هذه الاخطاء نذكر منهم :

علي بن حمزة الكسائي المتوفي سنة ١٩٢هـ ، فقد الف كتابا اسماه كتاب ما تلحن فيه العوام .

وابن السكيت الكوفي المتوفي سنة ٢٤٤هـ ، وكتابه (اصلاح المنطق) .

وابو حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٤٨هـ ، فقد الف كتابا اسمساه ما يلحن فيه العوام وغيرهم كثير .

غير ان هذا الجهد لم يقف على تلك الاخطاء وانما بقي بعضها شائعا حتى الآن .

نجد ذلك واضحا في المجلات التي تصدرها المجامع اللغوية كمجلة المجمع اللغوي في القاهرة ومجلة المجمع اللغوي التي تصدر في دمشق ، وفيما يصدر عن بعض العلماء اللغويين المعاصرين من تآليف عامة . وقد يكون من الخير ان ننقل بعض الاسماء التي أثرت فيها الاعاجم ، فمن ذلك :

١ ـ مارجيل أو نهر معقل :

أصل هذه الكلمة المحرفة ـ أعني مارجيل ـ نهر معقل ، وهو نهر قديم مشهور من انهار البصرة .

٢ ـ المكلا :

هكذا ترد في كتب الجغرافيا والاطالس وصوابها (مقلة) عاصمة حضرموت الساحلية ، والامثلة على ذلك أكثر من ان تحصى ولعل من أهمها الخليج العربي ... فقد اشتهر ان اسمه الخليج الفارسي .

قلت ان اصلاح هذا الخطأ من الامور الهامة لما يترتب عليه من أمور كثيرة لها أهميتها البالغة ... والحق أن كثيرا من العلماء والمؤرخين لم يلتفتوا الى هذا الخطأ ... وسنحاول ان نثبت بصورة موضوعية ان الاسم الحقيقي للخليج هو الخليج العربي ، معتمدين في ذلك على أقوال مؤرخين حسب تسلسل ازمنتهم التاريخية مثل سترابون الذى عاش قبل الميلاد والمقدسي المعروف بالبشاري الذي عاش منذ عشرة قرون ، وكارستن نيبور الذي عاش قبل قرنين من الزمن .

استعمل (سترابون) وهو جغرافي ، عاش قبل الميلاد ، ويقال انه اشترك في حملة اوليوس غالوس ، استعمل كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب(١) .

واستعمل (المقدسي) المعروف بالبشاري ، وهو عالم جغرافي عربي معروف اثنى عليه بعض العلماء المستشرقين مثل جلد ميستر وسبرنجر ... وقالوا عنه انه امتاز عن سائر علماء العرب بكثرة ملاحظاته وسعة نظره ... عاش هذا العالم نحو عام ٩٨٥م ، اى منذ عشرة قرون ، استعمل كلمة بحر العرب في تقسيمه للابحر السبعة (فبحر عمان ـ بحر هاجر ـ بحر العرب ... الخ)(٢) .

يقول (كارستن نيبور) الرحالة الدنمركي « لقد اخطأ جغرافيونا على ما اعتقد ، حين صوروا لنا جزءا من الجزيرة العربية خاضعا لحكم الفرس ... لان العرب هم الذين يمتلكون خلافا لذلك جميع السواحل البحرية للامبراطورية الفارسية من مصب الفرات الى مصب الاندوس على وجه التقريب ... » .

صحيح ان المستعمرات الواقعة على السواحل الفارسية لا تخص الجزيرة العربية ذاتها ولكن بالنظر الى انها مستقلة عن بلاد الفرس وان لسان العرب وعاداتهم فقد عنيت بايراد نبذة موجزة عنهم .

« يستحيل تحديد الوقت الذى انشأ فيه العرب هذه المستعمرات على هذا الساحل . وقد جاء في السير القديمة انهم انشأوها منذ عدة عصور سلفت(٣) .

وإذا اردنا ان نعرف ما لهذه الاقوال من أهمية علمية فان الجدير بنا ان نتعرف على الشخص الذى ادلى بها ·

كارستن نيبور مهندس دنمركي رحل الى اليمن مع بعثة مكونة من خمسة أفراد هو من جملتهم ، وذلك في سنة ١٧٦٢م ، وقد شاء الله الا يعود من هؤلاء الخمسة الا نيبور ، وذلك لانه استفاد من الاخطاء التي وقع فيها رفاقه ، فعود نفسه على طريقة المعيشة العربية وذلك ما اكسبه صحة ممتازة ··· وبعمله هذا لم يعد يلاقي أية صعوبة مع سكان هذه البلاد ، في حين ان رفاقه لم يفعلوا ذلك ·

ولم يكتف نيبور بالتعود على الحياة العربية ، وانما كيف نفسه بحيث تقبل كل ما حصل عليه من مضايقات وبذلك استطاع ان يكون لنفسه فكرة عن البلاد العربية التي زارها ·

ولقد نشرت هذه الرحلة عدة مرات باللغات : الالمانية : والفرنسية والانكليزية ، ذلك لان هذه الرحلة قد زادت في معلومات الباحثين عن هذا الجزء من الوطن العربي ، وكانت رحلتهم في بلاد البن من المخا الى صنعاء ··· وفي عودته بعد وفاة رفاقه الاربعة مر ببلاد الفرس ، وبين النهرين وقبرص وآسيا الصغرى(٤)·

وقد رسم نيبور خريطة للخليج العربي مبينا عليها رحلته عام ١٧٦٥(٥)·

وذكر الاستاذ محمد سعيد المسلم ان الخليج العربي كان يسمى بحر القطيف ·

أما شبرنكر فينص على انه كان يسمى خليج (القطيف) قبل ان يعرف بأي اسم آخر(٦)·

وذكر الاستاذ مصطفى مراد الدباغ انه لم يرد اسم الخليج في الكتابات الفارسية القديمة لذلك لا يعرف ماذا كان يسمى عندهم(٧)·

وقال الاستاذان نجدة هاجر وسعيد الغز ، ان كلمة الخليج العربي تنسجم مع الحقيقة التي لا مفر من نكرانها ، والتاريخ الذى لا سبيل الى طمسه ، وتستجيب للشعور القومي الذى لا قيمة بدونه لاى وعي ثقافي(٨)·

وقال جان جاك بيربي : « في سنة ٦٣٤م ، في البصرة على الحدود العربية الفارسية جرت معركة السلاسل التي قررت شخصية الخليج العربي ، وقبل هذا النصر المبين كانت شواطئ الخليج وايران وبلاد الرافدين خاضعة كلها لسلطان الاكاسرة ، وازاء الزحف العربي الكاسح ما لبث هذا السلطان حتى تلاشى(٩)·

ولابد لنا هنا من ان نشير الى سبب اطلاق بعض المؤرخين على الخليج بالخليج الفارسي ، فان ذلك يرجع الى ان القائد اليوناني (نيركس) لما عاد مع جنوده من الهند عن طريق الساحل الشرقي للخليج وقدم تقريره

لسيده الاسكندر الكبير رأى هذا اطلاق اسم الخليج الفارسي عليه لان نيركس لم يذكر في تقريره سوى الساحل الشرقي الذي مر ٠٠٠ وبقي الاسم المذكور علما يدل عليه في العصور اليونانية والرومانية(١٠).

ومن المؤسف حقا ان بعض المؤرخين ، كياقوت الحموي وغيره ، وقعوا في هذا الخطأ التاريخي بالرغم من ان الحجج والبراهين التاريخية والعلمية التي قدمنا ذكرها لا تقف امامها اية حجة أو برهان ٠

من هذا يتضح ان تسمية الخليج بالخليج العربي أمر يعتمد على الحجج التاريخية الصحيحة التي لا سبيل الى مقاومتها ، كما يعتمد على أقوال باحثين ومؤرخين عرب وأجانب لهم مكانتهم العلمية في اوساط العلماء ٠٠٠ فلا غرابة اذا اعتمدنا على هذه الاقوال المدعمة بالبراهين العلمية والحجج التاريخية ٠ ودعونا هذا الخليج بالخليج العربي ٠

هذه نبذة موجزة عن الواقع التاريخي ٠٠٠ اما الواقع الجغرافي فان الخريطة المرفقة مع هذا البحث تصور لنا بوضوح طول الساحل الغربي (العربي) والساحل الشرقي (الفارسي) ، فالملاحظ ان الساحل الغربي الواقعة عليه البلاد العربية أطول من الساحل الشرقي ، كما ان الخليج العربي يتصل بخليج عمان العربي ، وهذا الآخر يتصل ببحر العرب والبحر الاحمر ٠

واخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث لاثبات تسمية الخليج بالخليج العربي ٠

والله موفق للصواب ٠

(١) ذكر هذا الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام . الجزء الثاني صفحة ٣٨٠

(٢) كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي صفحة ١٧ ، وقد نقله كثير من الاوربيين الى لغاتهم ٠

(٣) كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » تأليف جاكلين بيرين ترجمة قدري قلعجي ، صفحة ١٦٦ ٠

(٤) كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » تأليف جاكلين بيرين ترجمة قدري قلعجي ، ص ١٤٦ ٠

(٥) كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » تأليف جاكلين بيرين ترجمة قدري قلعجي ، ص ١٦٧ ٠

(٦) كتاب « ساحل الذهب » لمحمد سعيد المسلم ، ص ١٧ ٠

(٧) كتاب « قطر ماضيها وحاضرها » لمصطفى مراد الدباغ ، ص ٢٤ ٠

(٨) مقدمة كتاب الخليج العربي لجان جاك بيربي ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ٠

(٩) كتاب الخليج العربي لجان جاك بيربي ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ، ص ٢١٠ ٠

(١٠) كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ٠

التراث والمجتمع الجديد

«نظرة عامة»

الدكتور ناصر الدين الأسد

موضوع « التراث والمجتمع الجديد » من الموضوعات التي كثر الحديث عنها في كل عصر وأمة ، فهو موضوع قديم حديث ، يتمثل - من أحد جوانبه - في هذه المعارك المتعاقبة في كل عصر بين « القديم » و « الجديد » ، وبذلك لا ينحصر في جيل دون جيل ولا يختص بزمن دون زمن ·

واذا قصرنا حديثنا على أمتنا وحدها ، رأينا هذا الصراع يبرز أمامنا واضحا منذ كان لنا تراث معروف :

فقد كان أبو عمرو بن العلاء لا يعد شعرا الا ما قاله الجاهليون والمخضرمون ، حتى لقد قال عنه الاصمعي : « جلست اليه عشر حجج ، فما سمعته يحتج ببيت اسلامي » · ويبدو أن أبا عمرو تساهل وفرط حين نظر في شعر جرير والفرزدق فأعجبه بعضه ، فقال : « أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته » · ولكنه حين خشي على نفسه من التوسع فيما يعده شعرا وقف عند حد أبى أن يتجاوزه فقال : « ختم الشعر بذي الرمة » !

وجاء بعده تلميذه الأصمعي ، فسلك سبيله ، واختار مذهبه في تفضيل القديم والاقتصار عليه ، وان كان سار بعده شوطا ، فادخل في عداد الشعراء بعض من جاء بعد ذي الرمة ، ثم وقف وتحرج من التوسع ، وقال : « ختم الشعر بابن هرمة » ·

ولا يجوز أن تؤخذ هذه الاحكام على ظاهر نصها ، فما الى هذا قصد أولئك الاعلام ، ولكنهم كانوا يدفعون عن العربية وتراثها غزوا يريد تدميرهما ، على الوجه الذي سنبينه · وكل ما يعنينا من هذه الاحكام هو دلالتها العامة على ان هؤلاء الرواة العلماء كانوا لا يرون الادب الحق الا هذا التراث القديم ، وكانت كلما جاءت طائفة من تلامذتهم توسعت قليلا وأدخلت في نطاق التراث بعض ما سبق عصرها مما لم يدخله أساتذتها ، واقتصرت على رواية هذا التراث القديم وحده وتعصبت له ، وأنكرت نتاج

من عاصرها من الشعراء ، وعدتهم من المحدثين أو المولدين الذين لا يسمون الى طبقة السابقين ، ورأت في نتاجهم ما لم يجر على نهج معبد ولا على طريق مرسوم · واستمر الامر على ذلك جيلا ابعد جيل ، وسيستمر الى ما شاء الله ·

* * *

وقامت مع قيام الطائفة الاولى ، واستمرت معها تواكبها ، طائفة أخرى ، تنكر هذا التراث القديم ، أو بعض جوانبه ، وتستهين به بل تسخر منه وتسعى الى أن تهدمه هدما · وتمثل هذا الموقف في اتجاهين يختلفان في المصدر والغاية وقد يلتقيان في المورد والنتيجة ·

أما أولهما : فهو ما ذهبت اليه جماعة من المسلمين ممن تمكنت منهم الغفلة واستحكمت فيهم السذاجة ، فنفوا عن العرب في جاهليتهم كل مأثرة ، ووصموهم بأنهم كانوا أمة جاهلة لا حظ لها من علم أو معرفة ولا من عمران أورقي ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والمدنية · وكل ذلك لينصروا الاسلام ، كما زعموا ، ويعلوا من شأنه ، وبرز من هذه الطائفة بعض الوعاظ والزهاد الذين أدخلوا في وعظهم عناصر غريبة عن الاسلام وعن تراث العرب : من القصص والاخبار وضروب الاوهام ، يستعينون بها على التأثير في العامة ، فأساءوا ، من حيث لم يقدروا ، الى ديننا والى تاريخنا بهذه الاساطير والاوهام · ثم سلك منهم فريق ، في حياتهم ، سلوكا ظنوه زيادة في الورع والتقى ، وكان من تأثرهم في ذلك بمؤثرات غريبة عن الاسلام نفسه دخيلة على التراث ، أن انفصلوا عن روح الاسلام والتراث ، وانقطعوا عن الحياة برمتها ، ضلوا ضلالا بعيدا وأضلوا كثيرا من الناس في العصور المتلاحقة ·

أما في ثاني هذين الاتجاهين فهو ما ذهبت اليه جماعة تملكها الحقد واستبدت بها الضغينة وأعمتها العصبية ، فأخذت تنهال على هذا التراث هدما وثلبا · وصفها الجاحظ فقال : « ثم اعلم أنك لم تر قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا اعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول نصبا ، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة · وقد شفى الصدور منهم طول جثول الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنان في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة » ·

فلم يروا في العرب الا أنهم رعاة ابل وغنم ، قبائل رحل متفرقة ، لم تجمعهم جامعة ، ولم تؤلفهم حاضرة ، ولم ينتظمهم ملك · فأخلاقهم وعاداتهم وانماط حياتهم ، كلها مثالب ، ليس لهم فكر ولا حكمة ، ولا أدب ولا علم ، وانما ذلك كله لغيرهم ، للامم الاخرى وخاصة الفرس واليونان والهند ، فقالوا : « من أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ، ويعرف الغريب ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند · ومن احتاج الى العقل

والأدب ،والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ، والالفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة ، فلينظر في سير الملوك • فهذه الفرس ورسائلها وخطبها والفاظها ومعانيها ، وهذه اليونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحكمها ، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب • وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها • فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة » •

فكيف تكون للعرب بلاغة وخطابة ، وقد خاطبهم أولئك الشعوبيون فطعنوا على خطبائهم : بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم ، وعابوا عليهم لغتهم وأصواتهم ، ووصموهم بأن قتالهم كان جله بالعصي ، فقالوا : « فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر ، وحملتموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر ، وحملتموها في السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب • ولطول اعتيادكم لمخاطبة الابل ، جفا كلامكم ، وغلظت مخارج أصواتكم ، حتى كأنكم اذا كلمتم الجلساء انما تخاطبون الصمان • وانما كان جل قتالكم بالعصي •• » •

ألسنا نسمع كل ذلك ، وان اختلفت الالفاظ ، الى يومنا هذا من بعض من اسودت قلوبهم حقدا من بعض المستشرقين وتلامذتهم المستغربين ، ومن بعض من اسودت عقولهم جهلا فاطلعوا على بعض ما عند الامم الاخرى وجهلوا ما لامتهم ، وغرهم ما يرون في حاضرهم ؟!

وما شعر العربي ، ألم يكن عوجا على رسم يسائله وعلى طلل يبكيه ؟ ومن كانت اولئك العرب من أسد وتميم وعكل ويمن ؟ ألم يكونوا أعاريب ؟ « ليس الاعاريب عند الله من أحد » ! فكيف تترك الحضارة لمثل هذه البداوة الجافية ؟ ألم يقل شاعرهم :

فلست بتارك ايوان كسرى ... لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب في الفلا ساع وذئب ... بها يعوي وليث وسط غيل

و :

دع الاطلال تسفيها الجنوب ... وتبلي عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا ... تخب بها النجيبة والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا ... ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب
بأرض نبتها عشر وطلح ... وأكثر صيدها كلب وذيب

• • • • • • •

فأين البدو من ايوان كسرى ... وأين من الميادين الزروب

ولتستقيم الموازنة الساخرة بين حالة العرب وحالة الفرس كان لابد ان يقول الشاعر في ذروة المجد العربي أيام بني أمية

فاتركي الفخر يا أمام علينا | واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم | كيف كنا في سالف الأحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسو | ن سفاها بناتكم في التراب !

فهل أبقت العرب اذن تراثا يعتز به ويحافظ عليه :

تراث انو شروان كسرى ، ولم تكن | مواريث ما أبقت تميم ولا بكر

فلابد اذن من التخلي عن كل هذا التراث العربي : في الشعر والنثر والاخلاق والعادات والقيم ، ولابد من احياء تراث فارس في كل ذلك :

أنا ابن الاكارم من نسل جم | وحائز ارث ملوك العجم
ومحيي الذي باد من عزهم | وعفى عليه طوال القدم
وطالب أوتارهم جهرة | فمن نام عن حقه لم أنم

ومع ذلك فقد كانت هذه الشعوبية أعلم الناس بزيف دعواها وبطلان افترائها . فقد كانت تجمع في آن بين تسفيه تراث العرب والتثقف بهذا التراث ، فنجد رجلا مثل أبي نواس كان « عالما فقيها ، عارفا بالاحكام والفتيا ، بصيرا بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ... وكان أحفظ لاشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الاسلاميين والمحدثين » . وقد قال عن نفسه : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب ، منهم الخنساء وليلى ، فما ظنك بالرجال » !

فلم تكن دعواهم اذن الا تنفيسا عن حقد ، وترويجا للاباطيل بين الناس ليخدعوهم عن أنفسهم ، ويشككوهم في تراثهم ، ويزعزعوا ثقتهم بأمتهم ويفصلوا حاضرهم عن ماضيهم ، فيقطعوا ثقافتهم عن جذورها الاصيلة . ولا شك في أن هذه الدعوى وجدت من يصدقها حينئذ كما تجد دعاوى تشبهها من يصدقها وينخدع بها في عصرنا هذا .

ومع خطورة هذه الدعوى فقد كانت عداوة مكشوفة وحقدا باديا يسهل على المرء درؤهما وتفنيدهما . ولكن البلاء الشديد يكمن في ذلك العمل الصامت الذي تظافرت فيه جهود كثيرين من هذه الطائفة لتشويه تراثنا وتدميره من داخله بما دسته فيه من زيف وتحريف ووضع ، فتسللت الى ايام العرب وأنسابها وأخبارها ، أي الى تاريخنا السياسي والاجتماعي ، والى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والى تفسير كتاب الله تعالى . حتى بتنا احوج الناس الى تمحيص هذا التراث وتحريره ، لنستبين الاصيل من الدخيل ، ونميز الصحيح من المزيف ، في تاريخنا السياسي والفكري والادبي والاجتماعي .

فلم تكن اذن دعوة هذه الطائفة دعوة تقدمية الى نمو وتطور وبناء

جديد ـ وان تظاهرت في بعض جوانبها بذلك خداعا وتضليلا • وانما هي دعوة رجعية ضيقة قائمة على العصبية والهدم ، سلاحها الافتراء والتزييف •

وقامت مع قيام هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواكبهما ، طائفة ثالثة هي أقرب الثلاث الى الفهم السليم والى طبيعة الحياة الصحيحة • جمعت بين الحسنيين ، ورأت ان الحياة لا يمكن ان تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن أن تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التي تتمثل في تراثها • فأنزلت هذه الطائفة قديمها في منزله الصحيح وعكفت عليه تدرسه وتحييه وتجدده وتستخرج كوامنه وتجلو روائعه • ثم مضت في حياتها على هدي من هـذا التراث تستقبل الجديد وتحيا فيه حياة سليمة وتشارك فيه مشاركة أصيلة •

واذا أردنا ان نعرض نماذج من هذه الطائفة فربما كان أول من نبدأ بهم كبار الصحابة • فقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بينهم ، فكانوا أقرب الناس الى فهم مراميه • لقد ندد الوحي بالبالي من التقاليد الموروثة التي كانت تشد الناس الى الوراء شدا يحول بينهم وبين الفهم الصحيح للحياة ويعوق تطورهم • لقد كان ـ كما يحلو لبعض المحدثين أن يقولوا ـ ثورة على العادات البالية والمفاهيم الرثة • ولكنه لم يكن قط هدما للتراث والقيم القديمة كلها • ولذلك كان الصحابة يجمعون في حياتهم بين التطور والنمو في المجتمع الجديد وقيمــه وبين التمسك بالتراث الجاهلي ومحافظتهم عليه • فكثيرا ما كان هؤلاء الصحابة يروون مآثر العرب ويتذاكرون أخبارهم ويتناشدون أشعارهم • وما أكثر الاخبار التي تروى عن عمر بن الخطاب وعنايته بالشعر الجاهلي ، واعجابه بأبيات منه بعينها ، وتفضيله لشاعر على شاعر • وكذلك كان أبو بكر عالما بأيام العرب وأنسابهم ، راوية للشعر الجاهلي ، يتمثل في مواقفه ، ويستنشد الشعراء ما قالوه في جاهليتهم واسلامهم • وكذلك كان جل الصحابة من الرجال والنساء • بل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشد الصحابة الشعر ويسائلهم عنه ، ويستعيد ما يستحسنه منه ، ويبدي اعجابه ببعضه • وكان هؤلاء الصحابة يرون الشعر ديوان العرب وسجل مآثرهم ، وكانوا يحضون على روايته ودراسته ، بل كانوا يرون انه من أسس ثقافتهم الاسلامية • فكثيرا ما كانوا يستشهدون على ألفاظ في القرآن بأبيات من الشعر الجاهلي ويرون أنه لا يفهم بعض ذلك الا بهذا •

ومرت السنون ، واشتد الصراع بين دعاة التمسك بالقديم وايثاره ودعاة هدمه وانكاره • وقام من ينظر الى الامر نظرة الحق المبرأ من الهوى المجرد من التعصب • فهذا الجاحظ يعلن رأيه واضحا في قوله :

« وقد رأيت ناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها • ولم أر ذلك قط الا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى • ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي اي زمان كان » •

وزاد ابن قتيبة من وضوح القضية فقال : « لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره » .

وقال ابن رشيق : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » .

وتمثل ذلك واضحا في بيت الشاعر :

ان هذا القديم كان جديدا   وسيضحي هذا الجديد قديما

وهي سنة الحياة ولا سبيل الى الخروج عليها .

ولذلك نجد بعض شعرائنا الذين ادركوا هذه الحقيقة في مختلف عصورنا الادبية قد عكفوا على هذا التراث الفكري والفني والاجتماعي والسياسي فدرسوه دراسة تعمق وشمول وعاشوا فيه وتمثلوا قيمه ومثله ، الى ان استقامت لهم طريقتهم فمضوا قدما يتفاعلون مع حياتهم الجديدة ، ويفتحون نفوسهم وعقولهم لانواع المعارف والثقافات ، فتلقوا منها ما شاءوا هم ، لا ما أريد لهم ، فأساغوها ، وهضموها حتى صارت جزءا من ثقافتهم ، من تراثهم ، من كيانهم ، ثم افرغوها في قالبهم واخرجوها لنا في معالم جديدة في الشكل والمضمون ؛ في الالفاظ والاوزان وتنوع القوافي حينا وفي المعاني والصور والاخيلة الموضوعات ، أي في التجربة الفنية ، حينا آخر . فأصبح تجديدهم جزءا من تراثنا زاد من خصبه ومن غناه .

* * *

ونخلص من كل ما تقدم الى معالم واضحة :

أولها : ان تاريخنا الفكري قد عرف هذا الصراع بين القديم والجديد معرفة واعية ، وأنزله منزله الصحيح ، فقامت طائفة من العلماء والرواة والشعراء ورجال الفكر يتمسكون بالقديم ، ويدعون الى تقديمه وتفضيله ، ويذودون عنه كيد الكائدين ودسائس المغرضين الذين أرادوا أن يهدموا هذا التراث ليجتثوا أصول الامة ، ويفصلوا حاضرها عن ماضيها .

ولم يكن موقف هذه الفئة عن جمود أو تعصب ، ولا عن جهل أو ضيق أفق ، وانما كان موقف المدافع أمام هجوم مدبر ، ولابد للمدافع من التشدد والصلابة وعدم التفريط .

وقامت فئة ثانية تدعو دعوة الفئة الاولى ولكنها كانت تعلم ان هذا القديم ليس آثارا تحفظ في متحف ، وانما هو حياة نامية ، فقبلوا الجديد حين كان تطورا طبيعيا من القديم ، وحين كان يصدر عن نفس الامة ويعبر عن ذاتها ، وليس مجرد تقليد لمظاهر مجتلبة ولا محاكاة لانماط ومذاهب غريبة عن روح الامة وتراثها .

وثانيا : ان هذا التراث العربي ـ في ضوء ما تقـدم ـ كان دائم التجدد ، لا ينفك يتفاعل مع الحياة تفاعلا خصبا ، ويتجاوب معها تجاوبا أصيلا • وكان دائما تراثا منفتحا على غيره ، غير مغلق على نفسه ، كان يأخذ ويعطي ، وكان دائما في أخذه وعطائه يصدر عن شعور عميق في نفس هذه الامة برسالتها الانسانية • ولذلك كان دائما في تجدده ينبع من ذات النفس العربية في صدق واصالة •

ولا يمكن لتراث غير أصيل ، لا يعبر عن ذات الامة التي ينتمي اليها ، ان تكون له رسالة انسانية ، حين يلتقط فتات الامم الاخرى ، في تقليـد سطحي ومحاكاة ظاهرية •

وثالثها : ان جميع الذين نهضوا بعبء التجديد كانوا ممن تزودوا بالتراث العربي تزودا فيه تمكن وعمق ، وأحسوا بالروح العربية احساسا يسر لهم السبيل للتعبير عنها ، دون عجمة ولا اغراب ، فأصبح تجديدهم جزءا من هذا التراث في سيره العظيم • أما اولئك الذين كانوا ينزعون عن جهل ، يدعون التجديد عن عجز ، والذين كانوا يريدون ان يحرفوا موكب التراث عن وجهته ليضل طريقه ، فقد باءت محاولاتهم بالخذلان ، وبقي التراث يؤدي رسالته •

ورابعها : ان تراث الامة هو روحها ومقوماتها وتاريخها ، والامـة التي تتخلى عن تراثها تميت روحها وتهدم مقوماتها وتعيش بلا تاريخ • والامم كلها ، مهما تكن فلسفتها الاجتماعية والاقتصادية ، تحرص أشـد الحرص على تراثها وتبذل جهودا كبيرة لاحيائه ونشره وبثه في نفـوس أبنائها ، بل ان بعض الامم الحديثة تفتعل لنفسها تراثا تجمع اجزاءه تجميعا وتنفخ فيه نفخا لتتم له صورة تفيء اليها الامة وتنطلق منها • فليس صحيحا ان الاخذ باسباب الحضارة يستلزم هدم التراث ، وقد انخدعت بعض الامم بهذه الدعوى فأصبحت كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى • وانما الصحيح ان تقدم الامة ـ حين تبدأ الحياة تنساب فيها ـ انما يكون من داخل نفسها وينطلق من تراثها •

وخامسها : ان تراثنا قد تعرض لضروب عنيفة من الغزو استطاع ان يقف للظاهر منها ويدفعه • ولكن بعض هذا الغزو كان مستترا ، تقنـع بأقنعة خادعة ، وهاجم هذا التراث من اعماقه ، من داخل حصونه : فكان ان وضع كثير من الاحاديث النبوية ، ودست في تفسير القرآن وفي تاريخنا الفكري والسياسي والاجتماعي أساطير وأقاصيص غير عربية ولا اسلامية ، من تراث اليونان والفرس والهند واليهود ، وبثت فيه روايات ملوثـة بالاهواء المضللة • وتداخل ذلك كله في تراثنا ، وانطلى علينا بعضه • لذلك أصبحنا نرى التناقض والتشويه في بعض اجزاء هذا التراث ، فيما تفرق فيه من روايات وأخبار ، تدعو الى الحيرة والاضطراب ، وتمسخ جوانب من

حياتنا الفكرية والاجتماعية ، وتشوه بعض المعالم الكبرى في تاريخنا ، وتلقي على رجالنا ، في شتى الميادين ، ظلالا قاتمة من الشك في أعمالهم وأقوالهم ، والانتقاص من قيمتهم الحقيقية ٠

وسادسها : ان جل جهودنا حتى الآن قد اتجه الى طبع هذا التراث طبعات تتفاوت في جودة تحقيقها ، وقد تيسر لنا في هذا الميدان قدر صالح ، وان كان لا يزال دون ما نريد ٠ واتجهت جهود أخرى أقل من الاولى ، وان كانت كبيرة القيمة في ذاتها ، الى تحرير هذا التراث من الزيف الذي علق به ، والى تخليصه من الشوائب التي كدرت صفاءه ، والى تجريده من الدخيل الذي هجنه ٠ ولكن هذه الجهود ظلت محصورة في نطـاق ضيق يقتصر على الصفوة والخاصة من العلماء والادباء ٠ واتجهت أقل الجهود الى نشر هذا التراث بين الناشئة من تلامذة المدارس ، وبين طلبة الجامعات وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، نشرا يعتمد على التذوق الفني لما فيه من جمال واصالة وصدق ، وعلى التقدير الحقيقي لما فيه من قيم ومثل ونظم اجتماعية وانسانية ، وعلى التعرف الموضوعي ـ البعيد عن العاطفـة السطحية والانفعال العابر ـ الى ما فيه من جهد عميق في جميع ميادين المعرفة النظرية والتجريبية ، والى نصيبه الوافر ومشاركته الايجابية في بناء الحضارة الانسانية ٠

ان هذه الاحكام شائعة عامة ولكن اكثرنا يسمع بها بالتلقن السطحي العابر ، فلا يكون لها في العقل والنفس دلالة واضحة ولا أحساس عميق ، بل ان اكثر متعلمينا ومثقفينا يشكون فيها بل انهم ليسخرون منها وينكرونها ، لانهم علموا بعض ما عند الاخرين وجهلوا ما عند قومهم ، ولانهم اطلعوا على بعض ما كتبه ذوو الاغراض والاهواء في التهوين من تراثنـــا والتقليل من شأنه والازدراء به ، فانخدعوا به وصدقوه ٠

وما اكثر الكلام الذي يقال عن مجتمعاتنا الرجعية وأنظمتنا التي انقطع بها الزمن ، وعن تاريخنا الذي قام على السيف وجباية الاموال ، وعن سير اعلامنا التي لم تلتفت الا الى الخلفاء والحكام والولاة ، وعن أدبنا الـذي كان أدب كدية واستجداء ونفاق في بلاط الملوك والامراء ، وعن لغتنا التي أصبحت عاجزة عن مواكبة حياتنا العصرية ومتطلباتها العلمية ، وعن فلسفتنا وعلومنا التي لم تكن الا نقلا مشوها لنتاج اليونان والهنود وغيرهم ٠

ولا يجوز أن نستهين بهذا الذي يقال ويكتب ، ونعده مما يكتب عنا الاعداء الاجانب ، فقد بدأ الاجانب بذلك ، ولكننا تلقينا عنهم وتلمذنا لهم ، وأصبحنا نطعن أنفسنا بأنفسنا ، بل صار كثير منا أشد عداوة لنا من الاجانب ٠

ولابد لنا من ان نتدارك الامر قبل ان يزيد استفحالا وضـراوة ٠ ولا يكون ذلك الا بالعمل الواعي الدؤوب على احياء هذا التراث ، واعادة

تقويمه ، وتحريره من كل ما اندس فيه ، وتنشئة الامة عليه تنشئة مبصرة تقودها الى معرفة ذاتها والثقة بنفسها ٠

وسابعها : ان التجديد في الادب خاصة ، وفي التراث الفني والفكري عامة ، أمر لا يجوز أن يكون مثار جدال ولا موضع انكار ، حين تنتفي مظنة العداء لهذا التراث ، وحين يقوم بالامر أفراد من انفسنا أحاطـــوا بتراثنا احاطة معرفة وفهم وتذوق ، وارتوت نفوسهم من معينه الثر ومن قيمه ومثله ، ثم تفتحت على آفاق جديدة لم نعرفها في التراث القـــديم ولكنها انحدرت من روحه ومن جوهر كيانه ، ونبعت من ذات الامة ومشاعرها وحياتها وحاجاتها وآمالها ٠

ولابد من روافد متجددة تصب في هذا التراث ، فتحرك ساكنه حينا ، وتزيد ماءه حينا آخر ، وتعمق مجراه وتوسعه حينا ثالثـــا ٠ فلابد من الاطلاع على ثقافات الامم ومعارفها في القديم والحديث ، ولابد من ترجمة بعض هذه الروائع والذخائر ، فهي ملك الانسانية كلها ٠ واذا كان تراثنا في الماضي لم يتردد في الاسترفاد بضروب التراث المختلفة عند الامم جميعها وامتص كثيرا منها وجعلها جزءا منه ، فاننا سنقصر في حق أنفسنا وكرامتنا الفكرية ، وفي حق التراث الذي نصنعه للمستقبل حين نغلق منافذ النور من حيث أتى ، ونقتصر على الاستضاءة بما عندنا ، فيفسد الهواء بعد حين ، وينضب الزيت ، وينطفيء المصباح ٠ فلابد من ان نفتح النوافذ كلها لنستقبل النور والهواء ، على أن نرى النور بأعيننا لا بأعين غيرنا ، وان تتنفس الهواء برئاتنا لا بالرئات التي تصنع لنا ، وأن نفتح النوافذ ونغلقها حين نريد نحن لا حين يراد لنا ، وعلى الصورة التي نختارها لا على الصورة التي تفرض علينـــا ٠

وليس الامر في التجديد أمر الفاظ أو أخيلة أو معان أو أوزان أو قواف ٠ فذلك كله شيء قد كان في جميع عصورنا الادبية على تفاوت بينها ٠ وهو شيء قد انصرفت اليه جهود موفقة في الثلث الاول من هذا القرن ، ولم تثر شيئا من الانكار عند الكثيرين ٠

الامر في التجديد ليس هذا كله ولا شيئا مثله ، ولكنه أعمق وأبعد ٠ ان أساس الامر هو مدى انسجام المنهج النفسي والاحساس الفني عنـــد المجددين مع المنهج النفسي والاحساس الفني للامة وروح تراثها ٠ واذا كان لا يجوز لاحد أن يدعو الى تجميد التراث جيلا بعد جيـــل والى ان يحتذي الخلف خطوات السلف احتذاء تطابق وتشابه ، لان في ذلك حجرا على الحياة نفسها بل افناء لها ، فان السؤال الذي يجب أن يسأل دائما هو : هل هذا التجديد هو تطور أصيل ، نابع من وجدان الفرد والامة ، متجاوب مع طبيعة حياتها وجوهر كيانها ، مواكب للمرحلة التي تمر فيها ، متطلع الى المستقبل الذي ترنو اليه ، متسق مع روح التراث ، معبر عن تجربـــة

فنية ذاتية • هل هو حلقة متماسكة في سلسلة متصلة تتدرج تدرجا طبيعيا يقود بعضها الى بعض وينتهي أولها الى آخرها ؟ أو انه شيء لا تعرفه الامة ، ولا تحس به ، ولا تتذوقه ، ولا تحتاج اليه • شيء غريب عنها ، دخيل عليها ، منقطع الصلة بها وبأصولها وتراثها • شيء صنعه غيرها ، وكان عنده نتاجا طبيعيا في بيئته لانه نابع من ظروفه متطور عن مجتمعه ، فهو بذلك جزء من حضارته ، جزء من منهجه النفسي واحساسه الفني ؟ ثم جاء منا من يقلده ويحتذيه ، دون ان يتمثله ويهضمه ، ودون أن يصبح جزءا من احساسه واحساس امته • لئن كان احتذاء القديم تقليدا ، فماذا نسمي هذا الضرب من التقليد للاجنبي ؟ أليس انحرافا بالامة عن طريقها ، وتعويقا لها في انطلاقها ، وتضليلا لها عن نفسها ، وتدميرا لجذورها واصولها ، لتصبح كجذع الشجرة الذي يغرس على ظهر الارض ، بغير جذور تضرب الى الاعماق ، وقد تركب له الغصون والاوراق والثمار المجلوبة المصنوعة فتعجب بعض الرائين وتخدعهم ، ولكنه لا يستطيع أن يورق ولا أن يثمر لانه ميت لا حياة فيه •

ولابد لكل نتاج جديد ، يصح ان يعد في المستقبل تراثا ، من ان تكون له جذوره الحضارية الخاصة به التي تسبغ عليه اصالته وتطبعه بشخصيته المميزة • واذا كانت الصلة بين الادب والحياة صلة وثيقة ، فان كل تجديد في الادب والفن عامة ، يجب ان يكون متسقا مع طبيعة حياة الامة وروحها ، فالتطور في الادب ينبع من تطور المجتمع ، وحين يكون كذلك يكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل تطوير هذا المجتمع تطويرا سليما دون أن يفصله عن جذوره ، ويقطعه عن اصوله ، ويعريه من اصالته •



الادب والغزو الفكري

عبد الكريم غلاب

كان النقاد القدماء ومقلدوهم من المحدثين يتجهون الى البحث ـ حينما يريدون أن يؤرخوا عصرا أدبيا ـ عن أسباب ازدهار الادب في ذلك العصر، ويعودون بظاهرة الازدهار الى ما يفكرون فيه من تلك الاسباب • ونحن في عصرنا الحاضر نبحث لا عن أسباب الازدهار • ولكن عن أسباب التخلف، عن العوائق التى منعت الادب العربي من ان يكون في مستوى الآداب العالمية • عن عوامل الهدم التى اسهمت بحظ وافر في تقييم الكلمة والسمو بمكانة الحرف، وجعله طريق الهداية النفسية والفكرية والسلوكية • وهو في مقدمة الآداب العالمية التي تعمقت النفس الانسانية في حبها وبغضها، ونزقها وغضبها ورضاها، وسلمها وعدوانها وفجورها وطهورها، وسموها وضعتها، فتحدث عنها ووصفها وكشفها لعشاق الحرف ومحبي الكلمة •

ان أدبنا لم يكن أدب لفظ ولم يكن أدب خطابة وتهريج، ولم يكن أدبا متخلفا عن العصور التي عاش فيها، ولكن عوامل الهدم التى طوحت بالمجتمعات العربية طيلة الاجيال الماضية اصابت الادب برشاشها فتخلف نتيجة لتخلف المجتمع، وهو الآن يحاول الانتصار على التخلف كما يحاول المجتمع، ولعل من مظاهر هذه المحاولة عقد هذا المؤتمر الذي يبحث ـ فيما يبحث فيه أثر الغزو الفكري في الادب •

ولعل من سخرية الاقدار أن ننسب الغزو الى الفكر، وأن نتحدث عن الغزو الفكري كما نتحدث عن الغزو العسكرى أو الغزو الاقتصادى أو الغزو الاستعماري، وكأن الفكر وسيلة من وسائل الغزو أو كأنه سلاح هدم وهو المعروف عنه انه اداة بناء •

ولكن هذه هي الحقيقة المرة، فان الفكر استخدم كسلاح للغزو، لم يكن الغزو من طبيعته، وانما الذين استغلوه واستخدموه سخروه كما سخروا المعرفة والفنون التقنية والآلة للغزو، واتخذوها جميعا كما اتخذوا فرقة عسكرية لاحتلال بلد ما واستغلال ممكناتها وتسخير سكانها واستعباد المواطنين فيها •

وكلنا يعرف ان نابليون حينما عزم على احتلال مصر قدم بين يديه مجموعة من العلماء والمفكرين ليمهدوا للغزو نفسيا وعلميا وفكريا ، وان أثرهم كان كبيرا في تقبل طائفة من المصريين لهذا الغزو ، وفي انسياق طائفة من هؤلاء نفسيا وفكريا لمحاسن الغزو الفرنسي وكلنا يعرف كذلك ان فرنسا حينما اتجهت الى احتلال المغرب العربي قدمت بين يدي جيش الاحتلال جماعة من العلماء والمفكرين والادباء والرحالين والجغرافيين وبعض الذين يتقنون العربية أو الذين انقطعوا لتعليم اللهجات البربرية التي يتحدث بها قسم من سكان بلاد المغرب ، ومن المؤسف ان نقول انها قدمت بين يدي جيش الاحتلال مجموعة من الرهبان سخروا الدين للاحتلال ، وسخروا بعد ذلك الاحتلال للتبشير بالديانة التي يدين بها المحتلون ، وهؤلاء جميعا مهدوا للاستعمار ، وكانوا هم الجيش الخفي الذي يمهد للمعركة ويخرب الارض الصلدة تحت اقدام الابطال الذين قاوموا الاستعمار ، وقدموا دمائهم فداء لبلادهم .

فكان الفكر اذن وسيلة من وسائل الغزو ، وكان المفكرون فصيلة في جيش الاحتلال ، ومن سوء الحظ انها كانت أقوى فصيلة مهدت لانهزام الحرية في وطننا العربي .

ويتجلى الاثر الذي تركوه ، في تحريف المقومات العلمية والحضارية لبلادنا العربية . فقد نصبوا انفسهم لكتابة تاريخنا فشوهوه ومزقوه وادخلوه في باب تاريخ العصور المظلمة واذا كانوا قد نسوا أو تناسوا الجهود الحضارية والفكرية التي بذلها العرب في تاريخهم ، فانهم قد اتجهوا الى جوانب الضعف في هذا التاريخ فركزوا عليها ابحاثهم ، وبذلك أصبح العرب عندهم مجموعة من القبائل تتصارع من اجل الغلبة والسلطة واصبح الحكم والحاكمين عندهم مجموعة من المتسلطين الذين استعبدوا شعوبهم ، واضاعوا كيانها ليستطيعوا استغلالها افظع استغلال ، ولذلك لا غرابة ان تختفي في كتب التاريخ التي كتبها الاستعماريون الجوانب المشرقة في تاريخنا لتبرز جوانب الضعف أو الجوانب المكذوبة .

وقل مثل ذلك حينما يتحدثون عن التراث الحضاري العلمي أو الفني او الفكري فانهم يوجهون البحث توجيها استعماريا ، فينكرون على علمائنا الاصالة الفكرية وكل ما أتوا به انما هو ترجمة أو شرح أو تكرار للفلسفة اليونانية أو للفقه الروماني أو لفن المعمار الغربي أو لفن النقش والرسم الاسباني أو الموسيقى الاجنبية ، وكل اصالة فكرية في أدبنا تعود عندهم الى اصول يونانية أو اجنبية على العموم انحدرت اليه بواسطة الوراثة الجنسية عن جد قديم أو جدة أعرق في القدم .

ومثل ذلك يقال حينما يقيمون انتاجنا ، فالمغرب عندهم مثلا انما يستطيع أن ينتج في الفقه والجدل اللفظي اما الفلسفة واما فلسفة التاريخ واما الادب ، فهم يعودون بأصول ذلك الى تراث الاندلس وهو تراث مطعم

بفكر غربي ولم يكن عربيا أصيلا رغم ان الحضارة الاندلسية لم تكن في أصلها ومبناها الا حضارة عربية مغربية أصيلة • وما استفادته من أى تراث آخر انما هو من قبيل ما يمكن ان تستفيده أية حضارة من أية حضارة أخرى •

ولا يمكن ان نذكر هؤلاء الباحثين الذين ساروا في ركب الاستعمار او كانوا رواده دون ان نذكر اللغة ، وهى الوسيلة الاولى للفكر – واثرها في الغزو الفكري ، فقد كانت لغة المستعمر – ونتحدث عن تجربتنا في المغرب العربي – الوسيلة الاولى للغزو الفكري الاستعماري ، دخلت بلادنا لا على انها لغة فكر وحضارة وثقافة ، ولكن على انها لغة رفع الامية ولغة حديث ولغة غازية تحل محل اللغة القومية في الحديث والكتابة والمعاملة • واذا كانت قد دخلت المدرسة والادارة فقد غزت كذلك السوق والمعمل والمصنع والمزرعة والنزل ، وطاردت العربية في كل مجال يمكن أن تتنفس فيه نسيم الحياة • واذا لم تستطع القضاء على لغتنا القومية نهائيا ، فقد كانت آثار مطاردتها قوية عنيفة وخاصة في الجزائر حيث أصبحت اللغة العربية لغة متخلفة لا تستطيع أن تسد حاجتنا الفكرية ولا حاجتنا الحضارية والادارية •

واذا سمع اخواننا في الشرق العربي حملة المواطنين العرب في المغرب من اجل التعريب فلا يستغربوا ، فقد اصبحت العربية في هذه البلاد غريبة في كل مجال فكرى أو حاضري أو ادارة ، واصبحنا نتكلم بلغة ونفكر ونذير ونتعامل بأخرى بل ان اللغة الغازية احتفظت بمكانتها ، فلا يكاد يخرج المتعلم منا صفة مجال الحديث العادي حتى يلتجئ اليها لتساعده في التعبير عن افكاره ، ولو كانت افكارا مجردة لا علم فيها ولا تقنية •

واللغة كما لا احتاج ان اقول ليست اداة ولكنها فكر وروح ، ليست أسماء وافعالا وحروفا ، ولكنها تحمل كل مقومات الامة التي تبينت فيها وسايرت تاريخها وكل تطوراتها الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والحضارية فاذا استغلت كأداة للغزو فانها – بالاضافة الى قضائها على اللغة القومية – تحمل معها طابع الامة الغازية وفكر الامة الغازية ، وتحمل مع الطابع والفكر التقدير والاعتراف والتأبي (أي الاعتراف بالابوة) وغير ذلك مما يمكن ان يكنه الموطن للغته القومية • فهى اذ تحل محل اللغة القومية تتمتع بكل الممكنات المادية والمعنوية التي يمكن ان تتمتع اللغة القومية بها •

وذلك غزو خطير للفكر والروح والنفس والذوق سببه اللغة التي تقوم في بلادها بدور آخر في خدمة الفكر والادب والذوق والروح والنفس • ولهذا الغزو اللغوي مركبات أو عقد نفسية خطيرة واتحدث منا ايضا عن تجربتنا في المغرب العربي •

في مقدمة هذه المركبات :

احتقار اللغة القومية ، والانسان بطبعه عدو لما يجهل فاذا وقع المتعلم في مأزق بين لغتين ، احداهما فيما يعلم قوية متطورة تمكنه من التعبير والتفكير وتقدم له نماذج حية يقرأها ويفهمها بسهولة ، والاخرى فيما يعلم متخلفة

تعيش في الماضي وتقدم نماذج ميتة لا يقيم أود قراءتها ولا يتفهمها ، فهو منساق أراد أو لم يرد الى الابتعاد عن هذه كلما اقترب من تلك والى احتقار لغته القومية كلما اعتز باللغة الاجنبية • ومن ثم نجده يقوم مقام المستعمر في تحقيق الغزو الفكري •

ثم الدفاع عن اللغة الغازية على حساب اللغة القومية لان التي يدافع عنها هي فيما يعلم الاوضح والاقوى والاجمل والافيد ، ثم هي اللغة التي تقوم عليها حياته ، وليس في استطاعته ولا من مصلحته أن يعود أميا أو نصف متعلم ولذلك فهو يتبنى الفكرة التي يقوم عليها الغزو الفكري الاجنبي والامة هي الضحية •

ومن أخطر هذه المركبات ان المتعلم وهو يحتقر اللغة القومية ويدافع عن اللغة الغازية يجد نفسه فكريا ونفسيا في غير وطنه أو هو يجد نفسه واقعيا ومعاشيا في غير وطنه الفكري والنفسي ، فهو موزع الشخصية متقسمها يعيش بين قوم ويتكلم لغتهم ولكنه منفي في فكر آخرين وأحاسيسهم ومشاعرهم ومتلهم صلته بهؤلاء أقوى وأمتن من صلته بالآخرين ولكنه مع ذلك ليس واحدا من هؤلاء ولا هو أبنا من أبنائهم • فبأي فكر يفكر ؟

نتيجة هذا المركب الخطير انه ينصرف عن التفكير والكتابة ليخلد الى السكينة في ركن مجهول من ادارة ما ، وهو المصير الذي انتهى اليه كثير من أصحاب المواهب الادبية عندنا ، أو أنه يعيش عمليا — كما يعيش فكريا ونفسيا — في بلد اللغة الغازية ليفكر لها وبها كما حدث لكثير من أدباء المغرب العربي وخاصة الجزائر قبل استقلالها وثورتها الظافرة •

والنتيجة ان اللغة العربية كانت في الغالب أضعف من أن تضعف الحاسة الادبية عند اغلبية المتعلمين في المغرب العربي ، وكانت اللغة الاجنبية تشعرهم بهذا المركب الخطير فينصرفون عن الادب ، وذلك سبب من أسباب الضعف الذي تعانيه الحركة الادبية في المغرب العربي •

اذن فالغزو الفكري تسرب عن طريق غزو اللغة الى الادب وكان أثره الخطير أن أصحاب المواهب الادبية أحد رجلين : رجل يتقن لغة أجنبية ويفكر بها ويستطيع أن ينتج بها ، ولكنه يتخلى عن الانتاج ، لانه يعيش بين جمهور له لغة قومية أخرى ربما لا يقدر انتاجه أو لا يتفهمه ، ورجل يتقن لغته القومية : العربية ، ولكن آفاقه محدودة لانه لا يستطيع أن يفتحها على آداب عالمية أخرى فهو يجهل لغة اجنبية تمكنه من ذلك •

وتلك خسارة أية خسارة للادب العربي •

وأشير هنا — وانا بسبيل التحدث عن اخطار هذا المركب — الى ظاهرة هامة نلمسها نحن في المغرب العربي وخاصة في المغرب والجزائر ، وذلك ان اللغة الاجنبية طاردت اللغة العربية في مناطق لا تتكلم عندنا اللغة العربية ، فكثير من المناطق الجبلية أو السهلية التي تتحدث بلهجات بربرية كما هو الشأن في بعض مناطق النوبة بمصر أو المناطق الكردية التي تتحدث

الكردية في العراق مثلا ، في هذه المناطق المغربية حاولت الفرنسية أو الاسبانية ان تخلف اللغة العربية التي كانت هي لغة التعليم والثقافة والمعاملات الادارية والدينية قبل الاستعمار • وخلفتها بالفعل الى حد بعيد ، وبذلك أصبح المغرب في هذه المناطق يبعد عن العربية لانه يتحدث في البيت البربرية ويقرأ ويكتب ويفكر بالفرنسية أو الاسبانية ولا يمكن أن نتطلب من هنا أن يكون أديبا عربيا مهما تكن مواهبه ، والمتفوقون من هؤلاء ـ وخاصة في الجزائر ـ انتجوا بالفرنسية ولم ينتجوا بعربية ولا ببربرية •

من المركبات الخطيرة الناتجة عن الغزو الفكري الاستعماري اضعاف الشعور بالقومية وانحلال الحماسة الوطنية عند بعض المنتمين الى الادب وخاصة اثناء العهد الاستعماري ، فقد سخر بعض الادباء والشعراء وبعضهم كان متفوقا في زمنه سخروا أدبهم للاشادة بالاستعمار وبالحاكمين الاستعماريين •

ولا نأسف على شيء قدر أسفنا على مواهب وامكانيات فكرية غمرها الضياع لان اصحابها قصروا انتاجهم ـ وقد كان معظمهم من كتاب الدواوين الحكومية الاستعمارية ـ على مدح الحكام الاستعماريين والاشادة بمزاياهم بشعر لا بأس بلغته وأسلوبه •

والاشادة بأعمال الحاكمين في الصحف الاستعمارية بنثر فني كان من أجود ضروب النثر الفني في العالم العربي آنذاك •

قد لا تكون تلك جناية الغزو الفكري الاستعماري ، ولكنها غزو للفكر على كل حال •

ايها السادة :

لعل اخطر مظاهر الغزو الفكري تتمثل في فساد القيم الفكرية والاجتماعية التي انتشرت مع الاستعمار ، فالحملة التي قامت بها كتيبة العلماء والمفكرين والاساتذة التابعة للحملة الاستعمارية لم تكن لتتخلى عن مهمتها في نشر قيم خطرة في المجتمعات العربية • واذا كانت الطائفية في الشرق العربي أحد مظاهر هذه القيم الخربة المخربة فان العنصرية في مقدمة هذه القيم التي اضطلع بها الغزو الفكري في المغرب العربي • المجتمع الواحد اصبح مسلما ومسيحيا ويهوديا وعربيا وقبائليا وبربريا وكرديا وتحلل المجتمع الذى كان من الممكن ان ينهض بفكر عربي موحد على اساس قومية عربية واحدة الى مجموعة من الطوائف والقوميات كان الاستعمار يهدف من ورائها ـ لولا ان ادركته اليقظة الوطنية ـ الى خلق مجموعة من الشعوب المتصارعة ليتمكن بذلك من اضعاف امكانياتها الوحدوية من جهة وليتمكن من اضعاف امكانياتها الانتاجية من جهة أخرى ، ولتكفيه مهمة التوغل في السيطرة عليها • وربما يكون قد نجح في ذلك حتى اصبح الحكم في بعض البلاد العربية بين الطوائف والقوميات المختلفة التي ابتدعها • فتفتيت

المجتمع العربي وتمزيقه لم يأت عن طريق القوة فحسب ولكنه اتى عن طريق الفكر الذي سخره علماء الاستعمار ومفكروه الذين بحثوا في الاصول الاولى للمجتمعات قبل ان توحدها العروبة أو يوحدها الاسلام ، ودفعوا بالسلطة الحاكمة الاستعمارية الى تمزيق المجتمعات على أساس هذه الاصول أو على اساس الطوائف الدينية أو العنصرية ، وكان لهذا أثر خطير على الفكر العربي كذلك .

وللادب دور في صد هذا الغزو كما سنرى .

والاستعمار الذي كاد يكون مذهبا موحد ، له أصوله وقواعده وسيرته واعرافه ، تلقف العالم العربي في وقت تكوين القوميات الموحدة ، وبدلا من ان يساعد هذا العالم على الوحدة ساعد على التمزيق والتفريق وخلق الحدود المصطنعة والدول المختلفة والوطنيات الضيقة واذا كانت هذه الوطنيات قد نشأت تحت تأثير فكرة مقاومة الاستعمار فقد تعمقت فيها جذور الوطنية الضيقة حتى اصبحت كل مجموعة منها تكون وطنا ودولة وحدودا تقف في بعض الاحيان جيوشها للدفاع عنها .

هذه الوطنية الضيقة التي غزت العالم العربي انما هي نتيجة للغزو الفكري الذى نقل فكرة القوميات والوطنيات الاوربية بكل مبادئها وسيئاتها الى عالم كل ما فيه يدعو الى الوحدة والترابط وما من شك في ان الكفاح الوطني قد استفاد من هذه الافكار في مقاومة الاستعمار ، ولكنه قد خسر الزمن فيما نعتقد لانه كافح الاستعمار جزءا جزءا وبلدا بلدا وخسر الزمن كذلك لانه ما يزال حتى الآن يبحث فكرة الوحدة مذهبيا وعمليا ، وما يزال يجد في تحقيقها كثيرا من الصعوبات لم تجدها الدول التي كانت عماد كفاحها في القرن الماضي ومنتصرة على كل التعقيدات الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت مع تطور الحضارة والنمو الاقتصادى ومنتصرة كذلك ــ وهذا مهم جدا ــ على آثار وعقد الحروب الطاحنة التى قامت بينها في القرن الماضي وفي النصف الاول من هذا القرن .

وهكذا نجد ان الدول الاستعمارية التي نشرت القوميات الضيقة في البلاد العربية قد تخلت الآن عن هذه القوميات وبدأت تنادي مثلا بأوربا للاوربيين بدلا من النداءات السابقة : فرنسا للفرنسيين أو المانيا للالمانيين ونجد كذلك ان الغزو الفكري تبنى أفكارا أو نظريات اجتماعية من شأنها ان تحطم قوة المجتمع وتضعف وحدته .. فالفلاحون مثلا لم يخلقوا الا لكي ينتجوا للحضريين الذين عليهم ان يفكروا والعمال طبقة كادحة عليها ان تنمي الدخل الفردي لاقطاعي الصناعة كما ينمي الفلاحون الدخل الفردي لاقطاعي الفلاحة . والبلاد ــ مثلا ــ تقسم الى المناطق النافعة وهي المناطق المنتجة المستغلة والمناطق غير النافعة . والسكان ينالون حظهم في العناية وفي الاستفادة بمقدار ما ينتج اقليمهم .

وما من شك في ان افكارا تقسم المجتمع على هذا الاساس كانت خطرا

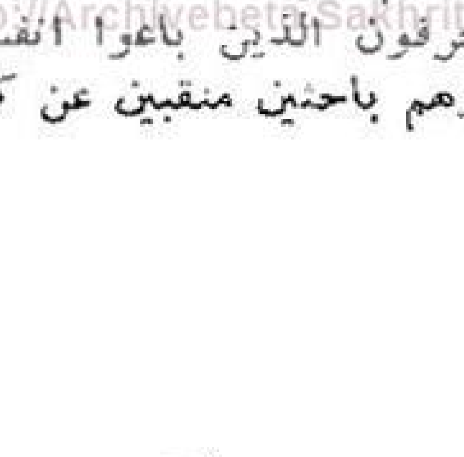
على المجتمع نفسه وعلى المواطنين العرب الذين كانوا ضحيتها رغم كفاحهم للتخلص من السيطرة الاستعمارية ·

ونجد افكارا اجتماعية واردة قد تحطم اصول مجتمعنا ووطنيتنا العربية ، وهي مع ذلك تدخل مع الفكر الهادف الغازي لتزيد في بلبلة الفكر القومي العربي ، ولتشغلنا عن المعركة التي نخوضها والتي يجب أن ننصرف اليها ، معركة التحرر ومقاومة التخلف ·

تلك بعض مظاهر الغزو الفكري التي أتت عن طريق الغزو الاستعماري القديم منه والحديث واذا كنا ضحية لهذا الغزو في ماضينا فيجب ونحن نبحث عن الحياة الافضل في حاضرنا ومستقبلنا ان نتخلص من هذا الغزو الفكري كما تخلصنا من الغزو السياسي والاستعماري ·

والادب باعتباره الوسيلة الاولى لبث الوعي وتحرير الفكر من رواسب التخلف وانقاذ المجتمع من الانحلال يجب ان يخوض المعركة ضد الغـــزو الفكري · وعن طريق القلم نستطيع ان نصحح الاوضاع التي استهدفت للانحراف والتزييف فيما كتبه المنحرفون من رواد الاستعمار الفكري ، ونستطيع ان نبصر الشعوب العربية بقيمة اللغة العربية وتراثها الحضاري والفكري ونستطيع ان نحرر الفكر العربي من التعبير للقيم الفكرية والعلمية المزعومة التي نشرها بين الباحثين علماء ومستشرقون استهدفوا بأبحاثهم الانحرافية تزييف التاريخ والتنكر لحقائق العلم ·

اننا التزاميون في معركة التحرر التي نخوضها ودورنا هو دور القلم الملزم الموصوف بالحرية المتعطش لان يخوض في سبيلها معركة ضد كل مظاهر الغزو الفكري معركتنا في صميم معركة الحرية ولن تكون الا رد فعل للمعركة التي خاضها المثقفون المنحرفون الذين باعوا انفسهم للاستعمار فكانوا في ركبة الغازي وصرفوا اعمارهم باحثين منقبين عن كل وسيلة لتحطيم قوميتنا ومجتمعنا وتراثنا ·



كتاب العربية الاكبر

للدكتورة عائشة عبد الرحمن

بنت الشاطيء

(١)

حين قرأت في جدول أعمال المؤتمر ، موضوعات لجنة الادب والتراث ، رجوت مخلصة أن نخرج من هذه الدورة الهامة لمؤتمرنا الكبير ، بما يحسم الخلاف العقيم حول التراث والمجتمع الجديد ، وينهى الجدل الشاذ في تراثنا بين الرجعية والتقدم .

وتحديد مفهوم التراث ، مما يعين بلا ريب ، على حسم القضية التي طال اختلافنا فيها وجدلنا حولها . ان التراث بأبسط عبارة ، هو ما يتلقاه الكائن ، المادي أو المعنوي ، من ماضيه ، أو هو تتابع الشخصية وتسلسلها على مر الاجيال . وقانون الوراثة قانون علمي مفروغ منه ، ومن العجيب أننا لا نختلف على أثر الميراث في الفرد ، فلماذا يشتبه علينا أثر الوراثة في حياة الجماعة ؟

ان مجتمعنا الجديد ، فيه امتداد للقديم ، وهو نابع منه أصلا ، حامل في كيانه العام ميراثه منه . ذلك أمر مفروغ منه علميا بقانون الوراثة ، وهو أيضا ما يجب أن يتقرر قوميا ، بما يقضي به وجودنا الحاضر ، من ضرورة دراسة ميراث الماضي فينا ، لنجد فيه ملامح أصالتنا ، ونعي أسرار ذاتنا ، ونستبين معالم خطانا على درب الوجود منذ كنا ..

ولا نعرف أمة متحضرة في عالم اليوم ، جحدت تراثها أو عدته عبئا عليها يثقل سيرها ويعوق تقدمها ، بل الذي نعرفه أنه حتى الامم المحدثة في الحضارة ، تحاول ما وسعها الجهد أن تصطنع لها تاريخا مضى ، وتجند الصفوة من علمائها ليبحثوا لها عما يمكن أن تعتده تراثا لها يخصب وجودها ويغذي طموح أبنائها بما يمنحهم من طابع أصالة وسمة عراقة ، في الوقت الذي نختلف فيه على جدوى الاهتمام بتراثنا ، ونحن أعرق الامم وجودا ، وورثة الحضارات الانسانية الاولى التي قادت البشرية على درب التمدن من قديم الحقب والادهار ...

(٢)

ولا أريد أن أنساق الى دفاع عن قضية هذا التراث ٠٠ كلا ، فذلك ما يجرح كرامتنا العلمية والقومية ، ومن ثم أنتقل مسرعة الى تلك القضية الاخرى التي ما نزال نختلف عليها ، وهي : تراثنا بين الرجعية والتقدمية ، وأعتقد أنها كذلك ، مما يجب أن نفرغ منه ونحسم الجدل العقيم فيه ٠

ذلك لانه اذا كان لا يجوز أن نجحد قانون الوراثة فينا ، فليس يجوز أيضا أن نجحد قانون الحياة وسنة التطور ٠ ومع ايماني الراسخ ، بأن الوقوف في وجه التطور تأباه طبيعة الاشياء ، وأن كان محاولة لتجميد حركة الكائن الحي لابد أن تنسخها آية الكون ، فالذي لاشك فيه أيضا أن مثل تلك المحاولة على عقمها تعوق خطانا وتبدد طاقات ليس من حق أي جيل أن يضيعها على الامة عبثا ٠

وكما يضل ضلالا بعيدا ، من يتصورون امكان الاستغناء عن فهم تراث الماضي فينا ، يضل أيضا من يتصورون امكان الاستغناء بهذا التراث عن جديد لنا يضيفه عصرنا ٠ فبقدر احتكام الوراثة فينا ، تحتكم سنة التطور التي يخضع لها كل كائن حي ٠

ان جديدنا لا يمكن أن يقوم على هباء ، كما لا يمكن ان تستعار له جذور أجنبية عن أرضه غريبة على مناخه ٠ ومثل من يتوهم أن تطورنا يمكن أن يبدأ منطلقه بمعزل عن ميراث ماضيه ، وأن يخطو في فراغ تائه ليس فيه اشارة الى معالم خطواتنا السابقة على طريق الحياة ، كمثل من يتوهم أن البشرية اليوم تتطور من نقطة الصفر ، ضاربة في فراغ لا أثر فيه من تجارب ماضيها الطويل ، أو أنها تحاول اليوم أن تتطور الى عصر الذرة ، بمعزل عن مراحل انتقالها السابقة ، من عصر البخار الى عصر الكهرباء ٠

كذلك لا تستطيع الرجعية الكافرة بالتطور ، أن تجمد حركة الحياة أو تلغي سير الزمن ، ومنذ نحو ألف عام قال شاعرنا أبو العلاء :

أمس الذي مر ، على قربه يعجز أهل الارض عن رده !

ان التطور يفقد كل معناه اذا اهدر عنصر الزمان الذي يفرض علينا حقيقته ، كما أنه يفقد معناه ، اذا أهدر عنصر البيئة ونوازع الوراثة ٠ ومن ثم يجب أن تعد قضية التراث بين القديم والجديد مفروغا منها ، لاننا نعيش يومنا بالامس الذي يعيش فينا ، وتاريخ الامة ، بل تاريخ الحضارة الانسانية بوجه عام ، ليس الا مراحل تنتفع كل منها بتجارب ما قبلها ، وتضيف اليه ما هو ميراث لما بعدها ٠٠٠

(٣)

ولعلي لا أكون أطلت التمهيد لما أود أن أتحدث فيه عن « كتاب العربية الاكبر » وأقدر تماما أنكم ، وفن الكلمة مناط اهتمامكم وتخصصكم ، تعلمون أن لغة الامة لا يمكن أن تنفصل عن أصيل تراثها ونقي منابعها • وغير متصور بحال ما ، أن يكون تطور لغوي ، بمعزل عن لسان العربية من أعرق قديمها ، لان الانسلاخ من أصيل اللغة ، مسخ لمقومات وجودنا وجوهر شخصيتنا ولسان قوميتنا •

ولقد كانت اللغة ، محور الصراع التاريخي للامة العربية في نضالها عن وجودها القومي ، ففي القرن الثاني الهجري ، قامت هنا في هذه الارض الطيبة ، حركة جمع تراث العربية الاصيل ، وحمل العراق عبئها الاكبر في مواجهة الغزو الشعوبي الضاري • وبعد مأساة الغزو التتري ، قامت حركة تأليف الموسعات في مصر والشام ، لانقاذ ما يمكن انقاذه من تراث العربية والاسلام ، بعد أن دمر الاعصار ما دمر من كنوز الكتب وذخائر المخطوطات • وبعد انحسار الموجات الصليبية قامت حركة الاستشراق في الغرب ، فمهدت للاستعمار بما عكفت عليه من دراسة لغتنا واستقراء تراثنا ، كي تفهم عقليتنا ومزاجنا وتدرك أسرار ذاتنا • وجاء الاستعمار فسهر في ليلنا الطويل على محاولة مسخ شخصيتنا القومية بعزلنا عن ماضينا وبترنا من جذورنا ، وسرق ألسنة شعوب منا ، فلما آن لها أن تتحرر بعد معارك باسلة ، واجهت قضية اللغة القومية ، فاذا هي أخطر وأعقد مشكلات ما بعد الاستقلال . . •

ولغة الامة ميراث لها ، واذا جاز أن يشتبه على بعضنا مدى احتكام الوراثة في أي جانب من جوانب حياتنا الجديدة ، فان اللغة مما لا يجوز الاشتباه في وثيق صلتها بموروثها القديم ، بل انها لا تحقق وجودها الاصيل الا بقدر ما ترتبط بتراثها العريق •

ولكل لغة روائع من آدابها تعدها النماذج العالية لذوقها النقي ، والمثل الرفيعة لفنها القولي • وحين نلتمس في العربية مثلها الاعلى فاننا لا نجد في تراثها الادبي كله ، نصا عوجز به كما عوجز بالقرآن ، مهما يكن الرأي في الاعجاز •

حتى الذين قالوا فيه بالصرفة أجمعوا على أنه طراز فريد في بلاغته . ونمط فذ في بيانه ، وعكفوا على دراسة أسرار نظمه •

فالقرآن الى جانب كونه كتاب الاسلام ، هو كتاب العربية الاكبر ومجتلى أصالتها ونقائها •

فمن حيث الاصالة ، نلتفت هنا الى أن تراث العربية من عصر نقائها قبل أن تخرج من بيئتها الاصلية أو تشوبها شائبة من عجمة ، ظل يروى شفاها وينتقل الى ألسنة الرواة جيلا بعد جيل ، ولم يبدأ تدوينه الا في

وقت متأخر ، وقد بعد العهد بقديمه وضاع أكثره ، فلم يبق منه الا القدر الذي وعته ذكراة الزمن لقرون عدة ، وهذا القدر تعرض لعوامل التغيير والتحريف ، ولحقت ببعضه تهمة الوضع والانتحال بفعل دواع سياسية ومذهبية واجتماعية . وهي تهمة ألح المستشرقون في تضخيمها حتى ألقوا ظل الشك على تراث العصر الجاهلي كله ، بل على كل ما روى شفاها من العصر الاسلامي الاول ، وذاعت فينا التهمة فلم يتخلص منها ميدان الدرس الادبي عندنا الا بعد جهود مضنية حصرت الشك في نطاقه المحدود ، وان لم تمنع أن يكون من هذا التراث الذي نطمئن اليه ، ما زيف بمهارة تفوت خبرة علماء العربية(١) .

أما القرآن فقد تم تدوينه كله باشراف الرسول صلى الله عليه وسلم وتحت رقابته ، والاحتياط له بمثل منع الرسول أصحابه من كتابة الحديث ، فسلم القرآن من كل ما تعرضت له النصوص الاخرى من شوائب الرواية الشفهية التي لا تسلم ، مع كل الامانة والحرص والتحرج ، من تغيير لفظ بآخر في معناه ، وهو ما يعرف في « مصطلح الحديث » بالرواية بالمعنى .

لدينا اذن من عصر أصالة العربية نص موثق ، تم تدوينه منذ أربعة عشر قرنا ، فاذا قدرنا مع ذلك أن هذا القرآن هو النص المعجز الذي بهر العرب فأعياهم أن يأتوا بسورة من مثله ، والعربية في عز مجدها وذروة نقائها ، أدركنا ما لهذا النص من خطر جليل ، من حيث هو النموذج الأصل والاعلى للعربية ، وأدركنا معه ان الاتصال بهذا القرآن ، ضرورة لا مفر منها لكل من يمارس فن القول في العربية ، وكل عربي يريد أن يكسب ذوقها المصفى ، مسلما كان أو غير مسلم .

والادب فن أداته الكلمة ، فلست أدري كيف يتاح لاديب منا أي حظ من الاقتدار ، وهو يجهل أسرار اللغة التي يأخذ منها أداة فنه ، ويعبر بها عن وجدانه . بل لست أفهم كيف يمكن أن يحقق وجوده الادبي ، متصلا بالوجدان العام لامته معبرا عنه ومؤثرا فيه ، بعيدا عن الدراية بأسلوب الكتاب الاكبر ، ودون أن يحسب كل حساب لما في التكوين الذوقي للجماعة ، من تأثر بالكتاب الذي ينفرد بالسيطرة على وجدانها على تتابع العصور والاجيال ؟

وأخرى لافتة الى ما لهذا القرآن من دور قيادي متفرد ، في وحدة الامة العربية من قلب الشرق الاسيوي الى أقصى المغرب الافريقي . وبه كنا نلتقي فكرا وروحا ووجدانا ، عبر الحواجز الفاصلة والاسوار العازلة التي أقامها الاستعمار بيننا ليمزق شملنا . وقضية الوحدة بالنسبة لنا اليوم قضية مصير . وليس لنا غير القرآن مناط الوحدة الذوقية والفكرية والوجدانية ، اذ أنه مهما تتعدد لهجاتنا المحلية وتختلف بيئاتنا الاقليمية وتتغير فنوننا الشعبية المحدودة الاثر بالنطاق المحلي الضيق ، يبقى القرآن في نقاء أصالته

وعمق نفوذه وبالغ تأثيره وتفرد مكانته ، الكتاب المشترك الاكبر الذي تلتقي عنده كل الاقطار التي اتخذت العربية لسانا لها ، على اختلاف بيئاتها وأديانها ولهجاتها ، وتفاوت تأثرها بالعوامل الاقليمية ، كما يلتقي المسلمون عنده ، في شتى أوطانهم وعلى اختلاف ألسنتهم ، عقيدة ودينا ..

وانفراد كتاب العربية الاكبر ، بهذا الاثر الفريد في كسب ذوقها ، وذلك الدور القيادي الجليل في تأصيل وحدة شعوبها وتقرير مصيرها ، وضمان تفاهمها المشترك والتقائها الفكري وتجاوبها الوجداني ، انفراد القرآن بكل هذا ـ مما لا نعرفه لاي كتاب آخر ـ هو الذي يجلو الاهمية القصوى لجد المحاولة في وصل أبنائنا به على اختلاف مستوياتهم الدراسية ، واعطائه المكانة الاولى في المرحلة الجامعية لمن يتخصصون في دراسة العربية وآدابها ، باحثين أو معلمين ...

على أن هذا لن يجدي شيئا ذا بال ، اذا لم تقم دراسة القرآن ، فهما وتذوقا ، على منهج لغوي أدبي دقيق حر ، كان لابد لحياتنا أن تستحدثه ، بعد أن تأصلت فينا قواعد الدرس المنهجي ، وبلغت ما بلغت من دقة التناول وعمق النظر وصحة الاستقراء .

وتعلمون كما أعلم ، أن الظروف الدينية والسياسية والتاريخية التي تعرض لها فهم العرب للقرآن الكريم ، وتعرض لها تأويله ، من حيث كونه الكتاب الديني لشعوب شتى تتوزعها فرق ومذاهب ونوازع ووراثات مختلفة ، هذه الظروف قد حالت دون تذوقه نصا ممثلا لانقى وآصل ما في العربية من آيات البيان ، وذلك لما داخل هذا التذوق من شوائب شتى جارت عليه .

وكل من له اتصال بالدراسات القرآنية ، يعلم ما حشيت به كتب التفسير من مقحمات اسرائيلية ، حاول بها اليهود ممن دخلوا في الاسلام طوعا أو كرها ، تطعيم فهم المسلمين لكتاب دينهم بعناصر اسرائيلية . والى جانب هذه المقحمات المدسوسة ، شائبات أخرى تتصل بصميم عملنا الادبي ، وأعني بها تلك التي جاءت أثرا لتباين أذواق المفسرين وأنماط عقلياتهم وبيئاتهم ومدى قربهم أو بعدهم عن روح العربية ، في ذلك العالم الواسع العريض الذي امتد من الهند والصين في أقصى المشرق ، الى مراكش والاندلس في أقصى المغرب ، وتقاسمته عصبيات مذهبية وسياسية وشعوبية. فاقتضى هذا بطبيعة الحال ، أن تتوارد على كتاب الاسلام الديني أمم وطوائف شتى ، تفهمه وتتذوقه متأثرة بظروف زمانها ومكانها ، ويفسره المفسرون منهم ـ وكثرتهم أعاجم ـ تفسيرا يوجه النص توجيها يعوزه في أكثر الاحايين ، ذوق العربية النقي وحسها الاصيل ، وقد ينحرف به عن وجهته ضلال التعصب أو خطأ المنهج أو قصور التناول .

وتقوم المحاولة في المنهج الحديث لتفسير القرآن نصا بيانيا(٢) ، على أن نخلص لفهم النص فهما مستشفا لروح العربية ، مستأنسا في كل لفظ ،

بل كل حركة ونبرة ، بمعجم الاستعمال القرآني كله ، وتتبع الدلالة حيثما ورد اللفظ فيه ، واستقراء السياق الخاص والعام ، لكل ظاهرة أسلوبية . ملتزمين في ذلك المنهج أدق التزام ، بكلمة قالها السلف الصالح « القرآن يفسر بعضه بعضا » ثم لم يبلغوا منها مبلغا كافيا .

وقد أجدى تطبيق هذا التفسير المنهجي ، في استجلاء دلالات دقيقة لالفاظ القرآن الكريم ، ولمح العجيب الباهر من أسراره في التعبير وخصائصه الاسلوبية ، تحرر بها فهمنا له وذوقنا اياه ، من كل العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البيانية .

وأستطيع أن أقرر هنا ، أننا بعد أن أخذنا بهذا المنهج المحرر ، اهتدينا الى ما يجلو لنا اعجازه البياني ، في اللفظ لا يقوم مقامه سواه ، وفي الحرف لا يؤدي معناه حرف آخر ، وفي الحركة أو النبرة ، تأخذ مكانها في النظم المعجز .

وهو ما نضعه بين أيدي أدباء العربية ليدركوا سر الكلمة التي هي أداة فنهم .

ونضعه كذلك بين قادة الفكر العربي ليلتمسوا فيه الحلول المجدية الحاسمة ، لما يشغل وجودنا الحاضر من قضايا قومية كبرى ، تتصل الاتصال الوثيق بلغتنا وأدبنا(٢) .

من تلك القضايا مثلا ، قضية الوحدة القومية التي تحتاج أول ما تحتاج الى ضمان التقائنا فكريا وتجاوبنا وجدانيا . وقد أشرت آنفا الى محاولة الاستعمار سرقة اللسان القومي لشعوب منا ، عزلا لها ومسخا لشخصيتها وذريعة غزو فكري ومعنوي لها ، وحين أعياه أن يسرق لسان شعب منا ، عمد الى تمزيق وحدتنا اللغوية بصراع شاذ بين فصحانا المشتركة ولهجاتنا المحلية ، مما لا نعرف له مثيلا في لغات الدنيا وما منها لغة ليست بذات لهجات محلية متعددة .

وتأخذنا دوامة الصراع المفتعل ، اذا لم نلذ بكتابنا الموحد لابناء العربية ، خاصتهم وعامتهم ، فهو الذي يصون وحدتنا اللسانية والذوقية والفكرية ، ومنه نأخذ معجمنا الاصيل المشترك ، وأسلوبنا النقي في التعبير على نطاق الوطن العربي الكبير .

وحاول الاستعمار فيما حاول ، تدمير حيوية لغتنا ، لتظل كما أراد لها لغة متون قديمة وأوراق صفراء وبقايا أثرية من مخلفات موتانا ، فراجت فينا أقاويل شائعة ودعاوى ذائعة ، تلح على عقولنا ووجداننا بأن العربية لا تصلح أن تكون لغة علم ، لعجزها عن تحديد دلالات الالفاظ وضبط مفاهيمها ، حيث تكثر المترادفات فيها كثرة فاحشة ، لا تنضبط بها دلالة محددة ، على ما يقضي بذلك العلم . كما أنها لا تصلح أن تكون لغة فن أدبي معاصر ، لقصور بيانها عن التوغل في أعماق الوجود الانساني ولمح أسرار الكون والحياة . وانما قصارى جهدها البياني أن يعني بالشكل

ويحتفل بالصورة • وأن يقف عند الظواهر البادية ويلمح السطوح القريبة والاعماق الدانية الضحلة •

ومنا من يسمع هذا ومثله ، فيداخله ريب في طاقة لغتنا على مجاراة روح العصر ومعالجة قضاياه العلمية والفكرية ، والاستشراف لما يحلق فيه من آفاق فنية[٤] • وعذره في هذا ، سقم النصوص التي اختارها لنا نقاد الادب ومؤرخوه على اختلاف الاعصر ، وقصور في معاجمنا اللغوية المشهورة ، تحشد عديدا لالفاظ للمعنى الواحد ، وأصوات عالية لكثير من لغويي العرب تجلجل بالمباهاة بامتياز العربية الفصحى بتضخم رصيدها من المترادفات[٥] •

ومع أن عددا من أئمة اللغويين القدامى والمحدثين أنكروا القول بوجود الترادف في العربية[٦] ، وحملوا عليه حملة قاسية وكتبوا مؤلفات وبحوثا في بيان اختلاف الدلالات باختلاف الالفاظ المقول بترادفها • لا يزال القول بالترادف في العربية شائعا فينا رائجا بيننا ، حتى لنقرأ في مفتتح مجلة الرسالة ، يوم ١١ من فبراير الحالي ، مقالا للدكتور علي عبدالواحد وافي ، وهو متخصص في علم اللغة ، يباهي فيه بأن لغتنا الفصحى « منقطعة النظير فيما اجتمع لها من مترادفات في الاسماء والصفات والافعال ، ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم » واستشهد لذلك بما جمعه « ابن منظور » من أسماء للأسد عددها ٥٠٠ اسم ، وللثعبان مائة اسم • وما جمعه « الفيروزابادي » من مئات الاسماء للشيء الواحد •

وعلم اللغة الحديث يرى في مثل هذا الترادف ، ظاهرة فقدان حس لغوي ، وعجز عن ضبط الدلالات والمفاهيم • كما أن الفن الادبي ينكر لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها بعشرات أو مئات أو ألوف ••

وكان أكبر الخطأ ، تنحية القرآن الكريم عن ميدان الدرس الادبي ومشكلات وجودنا اللغوي • وهذا القرآن ، يحسم قضية الترادف[٧] ، حيث يشهد التتبع الدقيق لالفاظه في سياقها ، بأنه يستعمل اللفظ بدلالة محددة منضبطة ، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر ، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر أو تضخم من الالفاظ المقول بترادفها • فالقرآن مثلا ، استعمل مادتي (حلف وأقسم) وهما بمعنى واحد في كتب التفسير ومعاجم اللغة ، لكن استقراء مواضع استعمالها في القرآن كله ، يمنع هذا الترادف ، حيث تأتي مادة (حلف) دائما في مقام الحنث باليمين •

ليس هذا فحسب ، بل ان القرآن يفرق بين الصيغ المختلفة للمادة الواحدة ، فيستعمل « شتى » مثلا في التنوع والاختلاف ، أما (أشتات) فالواضح فيها معنى التفرق المقابل للتجمع • ويستعمل (النعمة والنعيم) ـ وهما سواء في المعاجم وكتب التفسير ـ مع تفرقة واضحة بينهما ، فيخص

النعمة ، مفردا وجمعا ، بنعم الدنيا ، يضطرد ذلك في كل مواضع استعمالها في القرآن ، ويخص (النعيم) بنعيم الآخرة ، يضطرد ذلك أيضا في كل مواضع استعمالها ٠

فليس لقائل اذن أن يقضي على (العربية) بفقدان الحس اللغوي للالفاظ والعجز عن ضبط الدلالات ، وهذا كتابها الاكبر الموثوق ، يبهرنا بدقة دلالة ألفاظه بحيث تأخذ الكلمة مكانها في التعبير ، غير ملتبسة بأخرى أو أخريات ٠٠٠

ومن حيث الاداء الفني المقول بقصور العربية عن أدق أسراره وأعمق ايحائه ، كان الخطأ الاكبر الاستدلال لذلك بنصوص من الادب العربي ، ليس فيها جميعا ما في هذا القرآن من آيات بيانية باهرة ، قل في البلاغيين والمفسرين من التفت اليها الا من حيث الصنعة البلاغية التي يتجمد بها النص ويفقد سر ايحائه ٠

ولو مضيت أعرض نماذج من الصور البيانية القرآنية ، لكان علي أن أتلو كل ما فيه من صور ، فما من تشبيه أو استعادة أو كناية أو وصف أدبي ، لا ينفذ الى العمق الوجداني الموغل ، ولا يستشف خفى الايحاء لاسرار النفس والكون وراء السطوح القريبة والمظاهر البادية واللقطات المرتجلة ، والاتصال بالبيان القرآني ، فهما وتأثرا ، هو الذي يمكن أن يحقق لنا ذوقا عاما نلتقي عنده نحن كتاب العربية وقراءها ، على تفاوت أذواقنا الخاصة ، فردية واقليمية ، وبخاصة اذا قدرنا ما لا يجوز أن نغفل عنه ، من أن أي كتاب عربي ، قديم أو حديث ، يجد مجاله عند فريق من خاصتنا أو عامتنا ، أما القرآن فهو كتاب الملايين من خاصة وعامة ، ومن ثم وجب أن نلتمس فيه مناط وحدتنا الذوقية ٠

واذا كنت لا أستطيع أن أستقرىء هنا الصور البيانية في القرآن ، فاني ألفت الى ظواهر أسلوبية هدى التفسير المنهجي الى اضطرادها فيه ، بحيث يمكن عدها من الخصائص البيانية للنص القرآني ٠

من ذلك مثلا : ظاهرة الجرس العجيب لايقاع جمله ونغم فواصله : لفتت البلاغيين القدامى فقالوا فيها برعاية الفاصلة ، كأنما يجوز في أي نص بليغ ، أن يتعلق بزخرف شكلي وحيلة لفظية ٠ وأكثر الشواهد البلاغية على هذا الفن البديعي ، تقبل هذا ، وتجرح فنية البيان العربي ، وتظهره أدبي لفظ وشكل ، وصنعة زخرف من القول ٠ لكن استقراء الظاهرة في القرآن الكريم ، أثبت أنه ما من لفظ لم يجيء لاعتبار معنوي اقتضاه ، بحيث لو حاولنا استبدال لفظ آخر به ، فسد المعنى وفقدت الكلمة سر ايحائها ٠ وأضرب مثلا :

« والضحى ، والليل اذا سجى ٠ ما ودعك ربك وما قلى » قال فيها البلاغيون برعاية الفاصلة ، وفاتهم أن سجو الليل هو المقابل الوحيد لاشراق الضحى ، وأن حذف كاف الخطاب في « قلى » اقتضته حساسية معنوية

مرهفة ، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى : ما قلاك ، على ما في القلى من دلالة الطرد والابعاد وشدة البغض ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، وأكثر ما يكون بين الاحباب ومع رجاء اللقاء •

مثلا آخر :

« ألهاكم التكاثر • حتى زرتم المقابر » قالوا فيها برعاية الفاصلة ، وفاتهم أن لفظ المقابر ، هو وحده الملائم معنويا للتكاثر • فبقدر ما بين المقبرة والقبر من تفاوت ، يتجلى البيان القرآني في ايثاره صيغة (المقابر) على القبور ، حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون ، وحين يلفت الى مآله في مجتمع المقابر ومحتشد الرمم ومنازل الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمنتهم ، وهذه الدلالة من السعة والشمول ، لا يمكن أن يقوم بها لفظ القبور ، بما هي جمع قبر لفرد أو أفراد •

ولهذا ومثله صلته بما يشغلنا من قضية اللفظ والمعنى •

واذ لا يتسع المجال الآن لعرض ما هدى اليه التفسير المنهجي للقرآن من حلول حاسمة لقضايا وجودنا القومي ومشكلات حياتنا الفنية واللغوية ، مما تتسع له البحوث والمؤلفات ، ما نشرناه منها وما هو بسبيل النشر •

أختم الكلمة راجية أن يكون هذا الحديث الموجز قد لفت الى أهمية التوصية بالعناية بالقرآن ، قمة أدب العربية ومناط وحدتها الذوقية ، فيوصل به أبناء العرب على اختلاف مستويات التعليم ، ويأخذ المكانة الاولى في الدراسة الجامعية للعربية وأدبها ، من حيث هو كتاب العربية الاكبر ومعجزاتها البيانية العليا •

---

(١) عالجت هذه القضية بمزيد بيان في كتابي عن « الخنساء » ط دار المعارف بالقاهرة •

(٢) ارجع الى المنهج مفصلا في كتاب « مناهج تجديد » للاستاذ امين الخولى ط دار المعرفة القاهرة •

(٣) راجع ما قدمت من هذا في كتابي « التفسير البياني للقرآن الكريم » ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ •

(٤) انظر الدكتور علي الوردي في « أسطورة الادب الرفيع » ط بغداد ١٩٥٧ •

(٥) منهم : ابن خالويه ، والفيروزابادي الذي صنف كتابا عنوانه « الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف » والامام الرازي والامام السبكي ـ انظر السيوطي في « المزهر » •

(٦) منهم : أبو علي الفارسي ، والمبرد ، وابو منصور الثعالبي في « فقه اللغة » وابن فارس في « الصاحبي في فقه اللغة » وأبو هلال العسكري في « الفروق اللغوية » •

(٧) قدمت بحثا خاصا في هذا الموضوع ، الى مؤتمر المستشرقين بالهند : نيودلهي ، يناير ١٩٦٤ •

تراثنا بين التقدمية والرجعية

الشيخ نديم الجسر

أيها الحفل الكريم

عندما تلقيت ، من معالي الوزير رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب ، دعوته الكريمة ، وفيها بيان الموضوعات ، كنت امسح القلم من محاضرة اعددتها لنادي اتحاد الطلبة ، وعرضت فيها لذكر تارجح شبابنا بين التقدمية والرجعية ، فوجدت تفكيري مهيئا لاختيار موضوع (تراثنا بين التقدمية والرجعية) .

ان اسم المؤتمر ، واسم الموضوع الأم الذي تفرعت عنه الموضوعات المقترحة ، يكادان يوحيان لنا ان المقصود بالدرس هو التراث الادبي وحده . ولكننا حين نتكلم عن موقف التراث بين التقدمية والرجعية نجد انفسنا مسوقين الى توسيع البحث لسببين : الاول ـ لأن كلمة التقدمية والرجعية ، عندما تذكر ، تنصب ، اكثر ما تنصب ، على الدين والاخلاق ، وانما تعني ، بزعم الشاكين ، رجعية الدين ووقوفه في وجه التقدم العلمي والفلسفي والاجتماعي : والسبب الثاني ان صناعة الأدب ومهمة الاديب تتصلان ، في الواقع ، بكل مجالات التفكير الديني والعلمي والفلسفي والاجتماعي ..

ان مجالات التفكير تتجاوز في الذهن ، وتتصل ، وتتعاون ويتمم بعضها بعضا : فالنتاج العلمي يغذي التفكير الديني والفلسفي ، والفلسفة ، بدورها ، تغذي التفكير الديني ، وتتغذى منه ، والتفكير في المشاكل الاجتماعية ، يستمد هديه من الدين والعلم والفلسفة والتأريخ . ولكن علاقة الأدب بكل هذه المجالات اشمل ، واوثق ، وأوجب .

الادب والتوجيه :

لقد قالوا في تعريف الأدب ، الشيء الكثير ، ولكني اختار ان اقول في تعريفه (انه فن التلاعب بالعواطف) .

فعلم المنطق مجاله العقل ، والعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة مجالها ، كلها ، العقل . اما فن الأدب فمجاله العواطف والضمائر ...

فلو كان في الوجود انسان واحد وحيد لما كان أدب . كان يمكن أن يكون على الارض ، علم زراعة وصناعة وهندسة وعلم فلك وطب وكيمياء ، لانها ، كلها ، تساعد على العيش ، فيحتاج الانسان الوحيد ان يمارسها، ولو بصورة بدائية . وكان يمكن ان يكون منطق وفلسفة ، لان العقل فطرة والمنطق نظامه ، والبحث عن المجهول غريزة ، ومن هنا جاءت الفلسفة . ولكن ما كان يمكن لذلك الانسان الوحيد ان يصنع أدبا ، وان يكون أديبا ، بمعنى الاديب الصحيح ، وهو الذي يتلذذ ويزدهي باظهار البراعة والقدرة على التلاعب بعواطف الناس .

فالأدب شكوى ، وحب وغرام وغزل ، وحنان وحنين عتاب ، ومديح وهجاء ورثاء ، وحماس وفخر وعصبيات ، ووصف وقصص وتمثيل ، وعظات وحكم وعبر ، ومزاح ودعابة ومسلاة .

والاديب في كل هذا ، انما يخاطب العواطف والضمائر . فمن عساه يخاطب اذا كان وحيدا ، ليس له أهل ولا ولد ولا حبيب ولا رفيق ولا قراء ولا سامعون ولا نظارة ... ؟ فالادب ، اذا ، لا يتكون ، ولا يلزم ، ولا ينفع ، ولا يصبح حاجة وضرورة ، الا في مجتمع ، ولا يزدهر الا مع الحضارة ، التي يكثر فيها عدد المتذوقين لسحر الادب .

وكما ان المجتمع يعمل على تطوير كل نوع من الانتاج الفكري لمصلحته وخيره ، فان عليه ايضا ان يطور الادب في مفهومه وغايته وغرضه ، حتى يجعله في خدمة الناس لخيرهم وخير المجتمع .

ومن هنا انتهي الى غرضي من هذه التوطئة لأقول : ان الادب ، بمعناه السامي هو (فن توجيه المجتمع نحو الحق والخير والجمال) .

ومن هنا وصف القرآن الشعراء حين ذمهم ، بقوله (والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...)

ولولا هذا الايضاح لعلة الذم ، لكان ذم القرآن للشعر مثار العجب . لان القرآن انما يعتمد ، أول ما يعتمد ، على فن القول البليغ في هداية العقول ، وتوجيه القلوب الى الايمان والعمل الصالح ، أي يعتمد على سحر البيان الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في معرض ذكر الشعر (ان من البيان لسحرا) .

فالقرآن عندما ذم الشعراء لم يذمهم لانهم أدباء بلغاء ، ولكن ذمهم من حيث أنهم يهيمون في كل واد . وفي الحياة كثير من أودية الضلال فيها الكذب ، والنفاق ، والهجو ، والغزل الداعر . ثم ذمهم من حيث انهم اذا هاموا في واد من أودية الحق والخير ، بحكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو كلمة طيبة ، يقولون ما لا يفعلون . ومن أجل هذا التناقض ، بين حسن

القول وسوء العمل ، لا يصلحون أن يكونوا هداة للناس ، لان وعظهم لا يكون له تأثير على القلوب ٠

كل هذا يوضح لنا ان رب القرآن ، الذي خلق الانسان ، علمه البيان ، يريد ان يحول فن التلاعب بالعواطف ، عن الفوضى ، ليجعله (فن التوجيه الى الحق والخير والجمال) ٠ اي يريد للأديب مقامه الأسمى وهو أن يكون في مستوى الخير الذي يوجه اليه الناس ٠

هذا هو الادب في حقيقته السامية ، ومن هنا كانت علاقته بكل مجالات التفكير الديني والاخلاقي والاجتماعي ٠

وقبل ان اتكلم عن تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي ، وموقفه بين الرجعية والتقدمية ، لابد ، من اجل تيسير البحث ، ان أبين المراد بالتقدمية والرجعية ، وأبين ركائز التفكير في تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي ، وأحدد مفهوم الحرية في الاسلام ٠

١ نمفهوم التقدمية والرجعية له معنيان ٠

الاول ـ في الواقع النظري ، ويعني قرب التراث الفكري ، بذاته ، من المثل العليا ، أو بعده ، بذاته ، عنها ٠

والثاني ـ في الواقع العملي ، ويعني قرب الأمة أو بعدها ، في أعمالها وانتاجها ، عن الاخذ بالمثل العليا ٠ فقد يكون تراث الامة الفكري ، بذاته أقرب شيء الى مثل الحق والخير ، ثم تتخلى عنه ، وتصبح ، في أعمالها وانتاجها ، أبعد شيء من هذه المثل ٠

وكم من تقدمية هي عين الرجعية ٠٠٠ وكم من رجعيـــة هي عين التقدميـــة ٠٠

٢ ـ اما ركائز التفكير في تراثنا الديني والاخلاقي والاجتماعي فهي أربع : العقل ، والحرية ، والحق ، والخير ٠

٣ ـ ان مفهوم فلسفة الحرية في الاسلام هو « ان الناس ، كـل الناس ، قد ولدوا احرارا ، وحريتهم مطلقة في كل تفكير وعمل ، وتبقى مطلقة ، حتى تصطدم بالحق أو بالخير » ٠

تراثنا الديني :

ان تراثنا الديني ، في اصله وحقيقته ، هو المثل الاعلى لكل معاني الحق والخير ٠ ولكننا في عصر الانحطاط ، تأخرنا عن تطبيق هذا التراث ، وعن فهمه على حقيقته ، فأتهم علماؤنا بل اتهم ديننا بالرجعية والجمود ٠

ان مقياس التقدمية والرجعية في أي دين أو مذهب ، انما يعتمد على مقدار قربه أو بعده عن المثل العليا ٠ والاديان السماوية ، في اصلهـا وأساسها ، متفقة على تقديس هذه المثل ٠

ولكن تراثنا الديني يمتاز بشيء واحد ، وهو انه جعل للعقل السلطان

الاعلى في فهم النصوص المنزلة ، وفي استنباط الأحكام لكل ما يجد في الحياة من وقائع واحداث .

فتراثنا الديني من هذه الناحية ، يساير التقدمية الانسانية في كل أشواطها ، والى اقصى غاياتها ، ما دامت هذه التقدمية ترتكز على العقل وتتجه نحو الحق والخير ؛ فاذا جعلت التقدمية لنفسها ركيزة غير العقل أو كانت منحرفة في سيرها عن الحق والخير ، فان تراثنا الديني لا يسايرها مطلقـــا .

ولقد كان في هذا البلد الكريم ، بغداد ، أول فهم عميق لسر التقدمية في دين الاسلام ، وفيه نشأت مدرسة (الرأي والقياس) لحل كل المشاكل الاجتماعية المستجدة ، على أسس العقل والحق والخير . ولكننا في عصـــر الخمول تأخرنا علميا ، فكان لابد من سد باب الاجتهاد ، ونسينا ســـر التقدمية الذي وضعه لنا الدين لحل مشكلات الحياة المستجدة التي لم ينزل بها نص ، وأصبنا بالجمود ، واتهم ديننا بالرجعية .

تراثنا الاخلاقي :

كذلك نقول عن تراثنا الاخلاقي ، النابع من تراثنا الديني ، انه المثل الاعلى للكمال ، في كل معاني الحق والخير والجمال ... وكيف لا يكون تراثنا الاخلاقي في هذه المرتبة من السمو ، وربنا حين أثنى على رســـوله انما اثنى عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) ونبينا يقول (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) .

واذا كنا ، في عصر الانحطاط ، بدأنا نتخلف عن المثل الاخلاقـــي الاعلى ، وظهرت في تأريخنا بعض انحرافات فردية من بعض الملوك الطغاة ، وبعض الجهال والرعاع ، فان كل أمة لها في تاريخها أمجاد ومخاز . ولكننا عند المقارنة مع غيرنا من أمم الارض ، قديمها وحديثها . لا نزال في المستوى العلمي التطبيقي أعلى منها جميعا بألف مرة ، في كل قواعد الاخلاق النجيبة الكريمة الاصيلة كالرحمة والعدل والشرف .. فليس في تاريخنا اننـــا كنا شعبا وحكومة نتلذذ بمشاهدة حفـلات تسليط الضواري المجوعـــة على الاسرى المساكين والمسيحيين المؤمنين بالله ، لتأكلهم وهم أحياء ، عضوا عضوا ، كمـــا فعل الرومان .. ولا في تاريخنا اننا كنا اذا فتحنا مدينـــة نقتل جميع من فيها من الشيوخ والعجائز والصبايا والاطفـــال والحيوانات ، ثم نحرقها حرقا ، كما كان يفعل اليهود باسم (رب الجنود) ، ولا في تاريخنا اننا عذبنا المؤمنين بالله ، وشويناهم على النار ، لنكرههم على ترك دينهم ، كمـــا فعل معنا في اسبانيا بعض الرهبان .. ولا حرقنـــا الناس بالجملة في الافران ، كما فعل الالمان .. ولا أهلكنا ثلاثمائة الف انسان من بني آدم من سكان هيروشيما ، غير المحاربين ، بقنبلة ذرية واحدة كما

فعل الامريكان ... بل في تاريخنا الحربي الرحمة التي جعلت (غوستاف لوبون) يقول - (لم ير التاريخ فاتحا ارحم من العرب) وفي تراثنا العدل الذي يقتل به المسلم اذا قتل غير المسلم ، وفي تاريخنا الحرية التي يقول عنها القرآن (لا اكراه في الدين) ويقول رب القرآن لمحمد عبده ورسوله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) . وفي تراثنا شرف العهد والذمة الذي جعل محمدا يقول (من آذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة) ..

ومن هذا البيان عن تراثنا الديني والاخلاقي يظهر بجلاء ان الرجعية التي ينسبونها الينا في الدين والاخلاق ، هي عين التقدمية ، وان التقدمية التي يريدها البعض لنا هي عين الرجعية .

تراثنا في التعاون الاجتماعي :

كذلك نقول عن تراثنا في التعاون الاجتماعي النابع من صميم ديننا ، انه المثل الاعلى للحق والخير للفرد والمجتمع .

فما من شريعة فرضت الزكاة للفقراء فرضا وجعلتها ركنا من أركان الدين ، التي لا يصح الاسلام الا بها ، سوى شريعتنا . وما من مذهب اجتماعي قديم أو حديث استطاع ان يجمع ، في تناسق كامل ، بين تقديس حق الفرد ، لخيره وخير المجتمع ، وتقديس حق المجتمع لخيره وخير الفرد ، كما فعل الاسلام حين علق سعادة الفرد على تماسك المجتمع ، وعلق تماسك المجتمع على سعادة الافراد ، وجعل مبدأ التضحية بالاموال والارواح في سبيل التعاون الاجتماعي ، في صلب العقيدة وصميم الايمان ...

فتراثنا الاجتماعي النابع من صميم عقيدتنا وشريعتنا قد جعلنا ، في مفهوم الحرية في الاسلام ، أمة وسطا بين تطرف الرأسمالية في اطلاق الحرية الفردية الى حد الفوضى ، وتطرف الشيوعية في تقييدها الى حد الكبت للغريزة .

فنحن نستطيع على أساس فلسفة الحرية في الاسلام التي تعرض أجمل وأعدل توازن وتناغم بين حق الفرد وحق المجتمع ، ان نضع جميع الانظمة الشرعية الصحيحة الصالحة لحل جميع مشاكلنا الاجتماعية الحديثة من غير أن نمتص شيئا من سموم التطرف الغريبة عن روح الاسلام .

وليت الوقت يتسع لي حتى القي على اخواني في بغداد الكلمة التي القيتها على اخواني في القاهرة عن فلسفة الحرية في الاسلام .

تراثنا العلمي والفلسفي :

لقد حملنا مشعل العلم والفلسفة عصورا طوالا يوم كان الناس في ظلام دامس من الجهل يقتل ويحرق فيه العلماء والفلاسفة لأنهم علماء وفلاسفة ، ومددناه بلهيب من ذكائنا وعبقريتنا ، وتقديسنا للعقل والعلم ،

ولكننا في عصر الانحطاط تخلينا عن دورنا في العلم ، حتى صرنا عالة على الناس ، وتخلينا ، في الفلسفة ، عن ذلك الدور العظيم الذي وفقنا فيه الى الجمع بين الدين والعلم والفلسفة في تناغم كريم ، وصرنا اليوم نلتقط عن موائد التفكير الفلسفي خليطا من الفتافيت المتناقضة نحشو بها عقول شبابنا في المدارس من غير تحقيق ولا تنسيق ولا توجيه ، وتخلينا عن دورنا في علم التاريخ الذي بدأناه في تاريخ النصوص الدينية ، على أعلى مستوى من صدق الرواية ، والتشدد في تحقيق عدالة الرواة وصدقهم وسلامة عقولهم ، وتخلينا عن دور الرجل الذي دفع فلسفة التاريخ الى المستوى الاعلى الذي لم يزد عليه أعظم المؤرخين في العصر الحديث الذين جاءوا بعد ابن خلدون بستة قرون ، سوى تمجيد هذا العبقري العربي العظيم ، وصرنا في مدارسنا عالة على المترجم من كتب التاريخ الغربية التي تصغر الكثير من أمجاد أمتنا وتضخم القليل من مخازيها ، وتنسب كل انحطاط أصابنا الى دين الاسلام ، فخلقنا في نفوس شبابنا عقدة التخاذل والاستخذاء ٠

تراثنا الادبي :

ان لنا أدبا في أعلى مراتب السمو لا يقل عن آداب الامم الاخرى ، بل قد يفوقها في دقة تصوير الخلجات النفسية والخطرات القلبية ووصف دقائق الاخلاق الانسانية ، والكشف عن خفايا النفوس ، وابتكار جوامع الكلم في باب الحكمة ٠

ولكن أدبنا يقصر عن آداب الامم الاخرى في الشعر القصصي ، والشعر التمثيلي ، لولا القليل مما وضعه شاعر العرب الاعظم احمد شوقي ، وفي شعر الامثال لولا بعض ما وضعه شوقي ، ومما كان من نثر ابن المقفع في كليلة ودمنة ، وفي القصص التمثيلي ، وفي القصص الروائي ، لولا بوادر النهضة الاخيرة ، وفي آداب القصة القصيرة الذي أبدع الغربيون فيها ايما ابداع ٠ أما وصف الطبيعة فنحن مقصرون فيه بالنسبة الى آداب الامم القديمة والحديثة ٠ نعم لنا في وصف الرياض والازهار والمياه شعر كثير ولكننا القينا عليه ، بالتشبيهات والاستعارات ، غلالة من التصنع لا تتلائم مع بساطة الطبيعة وسحرها ، ولنا في وصف الابل والخيل والأسود شعر كثير ولكنه يأتي ، غالبا ، كالمقدمة لقصائد المديح والغزل ، ولنا أبيات رائعة في وصف المطر والسحاب والبرق ولكنها قليلة ٠ أما وصف الطبيعة بكل صورها ومشاهدها المتجلية في جمال الحقول والجبال والوديان والانهار والبحيرات والبحر ، وفي سحر التفاعل الوجداني بين مشاهد الطبيعة ومشاهد الحياة القروية للزرع والحصاد وجني الثمار ، ورجوع الفلاح ، عند المساء بنتاجه والراعي بنعاجه ودفء الموقد بين ركام الثلوج ، وسكينة

المنازل وسط الرياح الهوج ، فلا نجد لنا فيه شعرا يقارب الروائع التي عند الامم القديمة والحديثة ٠

الخلاف بين المجددين والمحافظين :

ان بين المجددين التقدميين وبين المحافظين الذين يسمونهم (الرجعيين) خلافا على أمور كثيرة أهم ما يعنيني منها : التوسع في الاوزان والقوافي ، والادب الرمزي ، وتبديل الحروف العربية بحروف لاتينية ٠

أما التوسع في الأوزان والقوافي فلا سبيل للوقوف في وجهه بل من الخير ان نطلقه ولنا في الموشحات الأندلسية أجمل السوابق ٠

أما فن الأدب الرمزي فانه شيء جميل ما دام في حدود الكلام المفهوم ، لان البلاغة التي عرفوها بانها ايصال المعنى الى ذهن السامع بأقصر طريق ، قد تصبح ، أحيانا أكثر تأثيرا واحلى على القلب ، حين تجعل القاريء يكد ذهنه كدا لطيفا حتى يلوح له المعنى ، فان هذا الجهد الذي يبذله القاريء ، قد تكون له ، احيانا ، لذة لا تكون في الكلام الشديد الوضوح ٠

ولكن هذا كله يجب أن يكون في حدود المعقول اما اذا خرج الرمز الى الطلاسم فانه لا يعد أدبا بل يكون قلة أدب مع الأدب ومع قراء الأدب ، وما أرى الذين يصنعونه الا من المعايين الذين يأتون بالأعيية ليستروا عيهم ٠

واما تبديل الحروف العربية بلاتينية فان حسناته ، التي يزعمونها ، لا تشفع بسيئاته لانه ينطوي على خطرين خطر عظيم ، وخطر أعظم ٠ فالخطر العظيم : ان ترك الحرف العربي يقطع صلتنا بتراثنا الفكري كله ، المطبوع والمخطوط ٠ واما الخطر الاعظم فهو على الدين وعلى الرابطة الاسلامية : فانه ، ان كان هناك شيء ربط ويربط الى الابد ، بين الأمم الاسلامية على اختلاف لغاتها واقطارها المتباعدة فهو هذا القرآن ، وهذه الصلاة التي لا تصح الا بتلاوة شيء من القرآن ٠ وفي تغيير حروف القرآن مكيدة على تلك الرابطة وعلى القرآن ٠

عودة للادب والتوجيه :

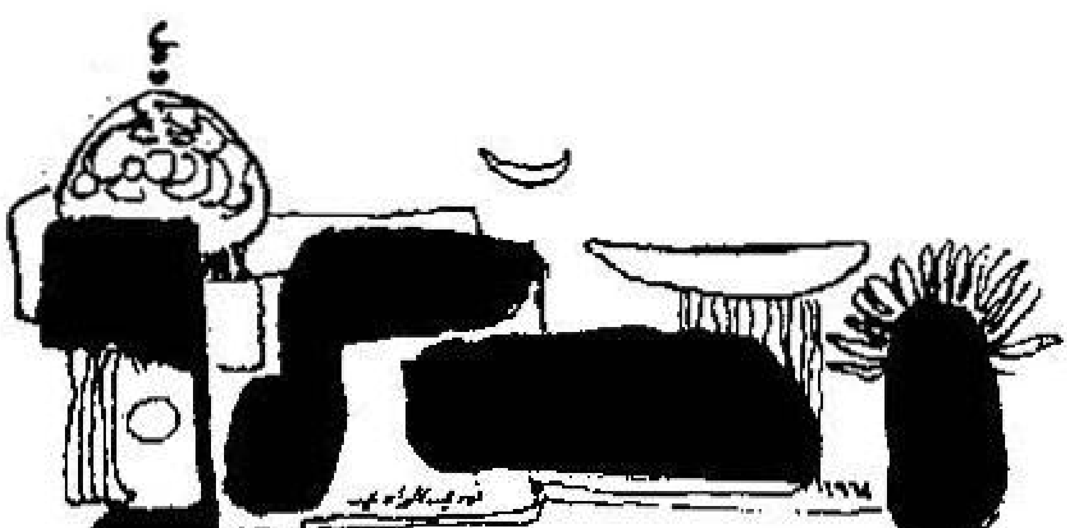
واختم كلمتي باعادة ذكر التوجيه ٠ فنحن في نهضة ثورية لا يجوز أن تترك بها الى الفوضى ، باسم تقديس الحرية الفكرية ٠ اننا بحاجة الى التوجيه في التفكير الديني والوطني والخلقي والسياسي والاجتماعي ٠ وهذا لتوجيه انما يفعله الأدب وحده ٠٠٠ ان تفكير شبابنا في فراغ ٠ فعلينا ان نملأ هذا الفراغ بالتوجيه قبل ان يمتص المذاهب الغربية المنافية لروح الاسلام ٠

المقتـــرحات :

١ ـ اقترح توصية الدول العربية بتشجيع التوجيه .

٢ ـ اقترح تأليف لجنة من أكابر علماء الدين لوضع مؤلف فقهي واسع يكشف عن فلسفة التعاون الاجتماعي في الاسلام .

٣ ـ اقترح وضع كتاب موجز في (التاريخ المقارن) للامجاد والمخازي عند جميع الامم الكبرى في التاريخ على أساس بعدها أو قربهـــا من المثل الحضارية العليـا ليقلع شبابنا عن التخاذل والاستخذاء الذي نشاهده عند كثير منهم ، ولكي تعرف الشعوب غير المسلمة الطيبة ، التي لا نشك أبدا بحبها للحق وميلها للانصاف ، أي مقام لنا في ركب الحضارة ، وفي أي مرتبة من مراتب الامم الكبـــرى نحن في الامجاد الحضارية الانسانية الكريمة ، وفي أي دركة من دركات الامم الـكبرى نحن في المخازي الاخلاقية الذميمة ، فنقلع عن كرهنا الذي يغذيه ضدنا الاستعمار والتعصب الديني والصهيونية .



الادب والوحدة العربية

محمود الدرساه

حضرات السادة المؤتمرين ....

احيي جمعكم هذا أطيب تحية . احييكم باسم العروبة والاسلام ، وخير تحية تقدمها الانسانية وتتوق لها البشرية ، أن يرفرف على ربوعها لواء السلام عاليا غير منكس غير مدحور ... فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

وانه ليسعدني أن أقف بينكم في هذا البلد الطيب المضياف الذي ضمخ أجواء أمتنا العربيـة العريقة على فترات متعددة من التاريخ بين متباعدة ومتقاربة بأروع عطر وأكرم شذى من البطولة والابداع والروعة والفخار ، والكرامة والمجد ، راية خفاقة ، وسيفا مصلتا ومنارا للعلم لا ينطفىء .

هذه دار السلام ملتقى القادة العظام ... دار الرشيد ... مختبر المأمون فيلق المعتصم محراب أبي حنيفة ... يسير فيها وعلى هدى وبصيرة وبايمان عميق عميق ، مستمد من رسالة امتنا الخالدة الماجدة وقوميتنا الراسخة الشامخة المنطلقة نحو السؤدد والعزة رسالة امتنا في الوحدة والحرية وتحقيق الأماني القومية .

ابن العروبة البار السيد الرئيس ، مجردا من كل لقب الا لقب الخير والنبل والرجولة والاقدام والوفاء بعيدا عن كل زخرف تحف به القلوب المؤمنة كلما أقبل على ربه في محراب صامت وركن وقور ، وتتعلق به العيون المتطلعة ، كلما بعثها صرخة مدوية لتوحيد الصف وجمع الكلمة والتضامن العربي ورفع مشعل العروبة عاليا خفاقا وانقاذ الوطن السليب من أيدي المغيرين ومخالب المستعمرين وتزين جبينه أكاليل الغار والفخار انطلقت من حنجرته دعوة العروبة والقومية الرائدة تتعانق مع راية الاسلام ... ذلكم هو عبدالسلام محمد عارف ...

ومن تلك التربة الطاهرة المقدسة المضمخة بالنجيع ، نجيع الشهداء الذين تستصرخ أرواحهم قادة العرب ورجالاتها للثأر والكرامة ، من رحاب الاقصى المبارك وجنبات المهد والقيامة ... من هناك من قلب الاردن ، أردن

العرب ، وجنوده البواسل أبناؤكم واخوانكم جنود بواسل من أبناء العروبة يقفون على خط العروبة الاول وهم يحملون رسالة امة ويحرسون كرامة قومية ، وينتظرون يوم الثأر ليكونوا من طلائع الفداء وفيالق امتنا العظيمة ومن كتائب الزحف المقدس وليؤدوا الرسالة مع جيوش العروبة في انقاذ من استلب من وطننا ، فردوسنا الغالي ، فلسطين العرب ... من هناك من ميدان التجمع الكبير ومركز الانطلاق المتلهف ، من ضفتي الاردن ، النهر الخالد ، المستغيث نهر العرب ومن تربة فلسطين الجريحة أنقل اليكم التحية تحية الوفاء تحية الأمل تحية الفداء واحيي العراق الشقيق ، وشعب العراق العظيم وأبطال العراق المؤمنين الصامدين وأي تحية أسمى من أن يذيب رجال الفكر والقلم عصارات عقولهم وسمو مثلهم في بغـداد لتكون عطرا للقلب المؤمنة وغذاء للارواح العطشى وأفكارا تنير الدروب وتهدي الى الرشاد وتوجه للمجد والخلود ... مثلا تسري الى كل أجزاء الوطن العربي الـكبير فتحيي الآمال وتحقق الاماني ...

اخواني

ان وحدتنا ... وحدة امتنا العربية الكبيرة .. وحدة شعوبنا المتلهفة للوحدة المتحفزة ... واذا كان حملة القلم ورجال الفكر هم رسل التوجيه السديد والرأي الرشيد فمن واجبي في موقفي هذا بينكم أن أتناول موضوعا طالما تعرضت له الاقلام ، وبحثت تفاصيله العقول المستنيرة والافهام المدركة ذلكم هو (الادب والوحدة العربية) خاصة وان الفكر العربي الحر كان دائما طليعة النضال العربي وسيظل ضوءا غامرا يهدي كل ضمير وطني ويدفع كل يد تعمل بصدق وكل قلب ينبض بالوفاء في هذا الوطن الكبير .

ان الاخطار المحدقة بعالمنا العربي الذي فرض وجوده ، وقال كلمته ، والتحديات التي تواجهها أمتنا العربية التي أدركت حقيقة عظمتها وكـريم رسالتها وقررت اين ستقف في هذا الوجود ، وكيف تحافظ على كرامتها ، كل هذه تفرض على رجال الفكر ان يجعلوا من اقلامهم ومن عقولهم المستنيرة الواعية ومن انتاجهم الفكري عصارات وغذاء ينمي الشعور بالقومية العربية وبالايمان بها ، وان يستلهموا من رسالة السماء ومن اقداس الكلمة المنزلة روحا تطوف بالطهر والحق واليقين . فيساعد الفكر بذلك على تكوين رأي عربي عام يحس احساسا مشتركا باهداف الامة العربية ويشارك ايجابيا في تحقيق هذه الاهداف وعلى تنمية شعور المواطنين بالمشكلات والصعاب التي تواجه وطنهم واحساسهم بمسؤولياتهم في مواجهتها ، وتحصين المواطنين ضد كل تسلل أجنبي بالرأي الدخيل المستورد لافساد الروح العربية وتوهـين الشعور بالقومية العربية ومنابذة المثل العربية ... كما ان من واجبهم تبصير المواطن الاخطار الخارجية التي التي تهدد كيان أمتنا وتستهدف طهر رسالتنا وتشويه مثلنا ، اخطار الاستعمار والتبعية والصهيونية المجرمة وخلـق روح

النضال والارادة الايجابية لرد هذه الاخطار وحفزهم على العمــل الايجابي لاستخلاص حرية الاجزاء السليبة من الوطن العربي وفي طليعتها فلسطيننا الحبيبة ... ومن الضروري كذلك العمل على تأكيد المقومات والاصول التي تستند اليها القومية العربية وتقوم بها ، وتأكيد حقائق التكامل العربــي وتربية الضمير والسلوك الوطني بحيث تهدف كل هذه الاقداس الى بناء جيل عربي واع مستنير مؤمن بالله ، مخلص للوطن العربي مدرك لرسالته القومية والانسانية واثق بنفسه وبأمته متبصر لقدسية هذا الوجود ، عامل للحيـاة وللخلود ... ومن أحق من الانسان العربي ، وهو صانع التاريخ وقد شاءت ارادة الله ان تكون انطلاقته المجنحة ورسالته الكبرى من صميم تراثه ومن أعماق اقداسه ومن التربة التي كانت وستظل الحضارات والديانات وللعربي فيها النصيب الاكبر في دفع عجلة التقدم الانساني والحضاري منذ فجـر التاريخ الى هذا اليوم الذي يشرف فيه هذا العربي نفسه على نهضة حضارية كبيرة زاهرة تقوم على التحرر والتقدم وتحقيق العدالة الاجتماعية والايمان بالانسان العربي وبحقه في الحرية والمساواة والتنمية والعدل ، وقد عرف مكان وطنه من العالم ومركزه من التيارات ، والسياسات المعاصرة ...

ان القومية والعروبة ، وقد اشرقا برسالة الاسلام ، قيادة فكرية منبثقة من صميم دعائم الانسانية روحا ومصدرا هما المحور الضخم الذي تدور عليه أحداث التاريخ كما انهما متكامل لنضال امتنا والنور الذي يجمع كفاحها على صعيد واحد ويحشد امكانياتها الضخمة في قنوات تنطلق من حصائل جهـود العاملين من رجالاتها كما انها الخط الوحيد لسير شعبنا العربي في الدروب والمسالك حيث التقى العرب بأنفسهم على انبثاقة نور الحقيقة واشراقة الفجر الباسم الذى أضاء قلوبهم ... ان عجلة التاريخ لا تدور الى الوراء وحتمية التاريخ لا يمكن ان تتجاهلها العصور أو أن توهنها أو تدحرها قوى الشـر وهي كثيرة وطامعة وستبقى قوميتنا المؤمنة النامية شرارة الحياة المتقدحـة وجذوتها المتقدة كما ستظل الوحدة العربية الشاملة السبيل الوحيد لحـل قضايانا القومية وفاتحة سجل خلود أمتنا وعنوان وجودها وقد احتضنتهـا رسالة الهدي والنور ، وجبلت ذرات تربتها بدماء الشهداء ...

ان اللغة العربية أيها السادة هي وجه الامة العربية المنير ، وانعكـاس خصائصها الدالة على الصدق والحق ، والمرآة المجسدة التي تعكس الصورة الطبيعية لقوميتنا ، انها روح الشعب العربي نحو المجد بقدر ما هي صوت الحرية المجلجل ... انها لغة الانسانية وجوهرها قدسية الكلمة ، وانها لغة الخلود ، انها اللغة التي توشحت خلال العصور بالاجلال والوقار والهيبــة ، فكانت حلقة خليقة بمد التواصل الانساني بالاستمرار جديرة بنقل الحضارة العالمية ، وبها مرونة لا تجاريها مرونة في أية لغة أخرى ، فما اروعها من رسالة وما أعرقها من قومية وما أعظمها من وحدة وما أقدسها من لغة في وطن تجمعه أقدس الروابط وتتفتح قلوب ابنائه وتنير بأسمى المثل وتظلله ارفع سـماء

وتضمه أطهر تربة ويخلده تاريخ حافل بالبطولات ويسير لتحقيق اشـرف الاماني والامال ونبل الغاية يتدفق كبريا واعتزازا فيحلق بالكلمة ويستلهم من الكلمة ويصور الحقيقة والحياة وهو يؤمن ان الكلمة والكلمة وحدهـا قادرة على التعبير وقد كانت وحدها منذ ان عرفت الانسانية وستظل وحدها نبراس الوجود وطريق الخلود ... وبالكلمة وقد انطلقت مع الايمان مشت في ركاب أمتنا العظيمة عندما كانت جيوشها تملأ الارض وتندفع وهي تدك عرش قيصر وتطيح بايوان كسرى وتبني للمجد وتصنع للوجود . عليها لواء العدل ويظللها رحمة السماء ...

اخواني :

لا اظنني بحاجة الى الاسهاب في سرد ذلك الصراع الذي كان يدور في أرجاء الجزيرة العربية بين قبائلها المتناحرة على بئر تستسقي منه أو كـلأ ترعاه الماشية أو انعام تحمل القبيلة الى بلد بعيد ولا الحروب الطاحنة التي دارت عندما لم يكن للكلمة بعد ذلك القدر العظيم ولا تلك القدسية التـي يدركها رجال الفكر والقلم في يومنا هذا أو في العصور التي تلت ذلك التناحر عندما كان يقول الشاعر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي　　بنو اللقيطة من ذهـل بن شيبان

أو حين يردد اخر :

انا بنو نهشـل لا ندعـي لاب　　عنه ولا هـو بالابنـاء يشرينـا

الى ان ولدت الكلمة الخالدة التي جمعت شملنا ووحدت كلمتنا وبـدأ أثر الادب العميق في وحدة أمتنا وبدأت مفاهيم الوحدة تتبلور منذ تنزل على قلب قائدنا العظيم الرسول العربي الامين محمد صلى الله عليه وسلم « وان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ... وكان طبيعيا ان يقوم المجتمع العربي على أساس من الفكر العميق في وحدة متماسكة واخاء شامل لا يجمعه مال ... ولا توحده مادة وانما تدفعه امال مشتركة يقررها من لا ينطق عن الهوى ، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ... ومن مستوى هذه الكلمة الرفيعة ، ومنطلق الادب السامي بدأت زحوف أمتنا تحمل مشاعل الهـدى وتزين صدر الوجود بأقباس الخير والمحبة ... وكان ان تتلمذ على الرسول العظيم عظام أفذاذ كانوا طلائع النور وكتائب الايمان واساتذة البشرية .. فكانت علاقة الفكر ورابطة العقيدة أساسا لاقامة مجتمع فذ انطلقت فيـه أقلام الادباء والشعراء تدعو أمتنا ان تلتقي على صعيد واحد من الفكر الى أن جاء عصر بني أمية وفيه كانت وحدتنا تقوم على كلمة الحق يقولها شـاعر صادق أو كاتب بار وبلغت العروبة ما لم يسبق ان بلغته من قبل ، وبلـغ التمازج بين الحضارة العربية والحضارات الاخرى الانسانية في هذا العهـد

شأوا جديدا ٠٠٠ وفي عصر بني العباس الزاهر بدءا من ابي جعفر المنصور وانتهاء بسقوط بغداد كان للادب أثر كبير في وحدتنا ونحن نرى جيوش الرشيد والمأمون تمضي فاتحة ٠ وجيش المعتصم يزحف ظافرا « وابو تمام » يصور بالكلمة فيهتف :

السيف أصدق ابناء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

مبينا انصار المعتصم لامرأة في المغرب استغاثت بجيش المعتصم ، جيش الامة جيش الوحدة ليقول لها لبيك ٠٠٠ وليمضي ابو تمام في ركابه يصور بالكلمة النيرة أروع مواقف البطولة والوحدوية الخالدة ٠٠٠ وفي العصر العباسي أصبح تمازج الثقافات ظاهرة بارزة في حياة العرب واخذ اسمى اشكاله لان الفتوحات العربية كانت فتوحات ثقافية روحية ، ومن هنا فالعرب يمثلون الجسر الحقيقي الذي عبرت عليه الثقافات المختلفة في تاريخ الانسانية ٠٠٠ وفي العصر الاندلسي الزاهر كانت خطبة ، طارق بن زياد « الخطبة التي مهما يقال في تحقيقها تاريخيا ذات أثر بالغ في فتح الارض الجميلة والربوع الطيبة في الاندلس التي اضائتها شموع الفتح وانارتها رسالة الهدى والنور يحملها العرب ليعلموا الدنيا الاقداس الانسانية وقواعد المحبة والاخاء واقامة صروح العدل » ٠٠٠

ثم جاء العصر التركي حيث أصيب الادب العربي بنكسة واحاطه ضعف وانحلال لان الحاكم لم يكن ليتذوق جمال اللسان العربي وروعة وبلاغة الجمل القرآنية حتى أطل علينا العصر الحديث بشعرائه وادبائه العمالقة فانبرى كتاب وشعراء يدعون للوحدة امتنا على اسس سليمة غايتها جمع الكلمة وتوحيد الشمل ومن مفاخر امتنا وعظمة رسالتها ان شعوب العرب جميعا تضع وحدتها أو أسس على الارض ٠ اما نحن الامة العربية فقد سطرت وحدتنا في السماء ورسخت على أقدس تراب وفي أطهر أرض ٠٠٠

ومع اطلالة القرن العشرين وقف أمير الشعر رحمه الله شوقي يشدو للعروبة انشودة الوحدة ويتغنى بها ويصور بعض اسسها تصوير شاعريا مدركا ٠

ونحن في الشرق والفصحى بنورهم   ونحن في الجرح والآلام اخوان

وفي ألم ممض يتحدث شوقي عما اصاب دمشق الابية من عدوان فرنسي غاشم في ثورة العرب السوريين الاحرار على استعمار باريس ٠٠٠

سلام من صبا بردى ارق   ودمع لا يكفكف يا دمشق
الست دمشق للاسلام ظئرا   ومرضعة الابوة لاتعق
صلاح الدين تاجك لم يجمل   ولم يوسم بأزين منه فرق

ثم يحدد جانبا من معالم الطريق وأسس الوحدة فيقول :

نصحت ونحن مختلفون دارا ... ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد ... بيان غير مختلف ونطق

ثم يدعو للحرية باعمق معنى ثوري لها فيقول :

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

انه يشارك دمشق في محنتها ... ويسكب دمعة حرى على تراث الاندلس ويدعو الشعب الليبي ان يقف شامخا عملاقا يحيي بطله عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء ... يستنهض الوادي صباح مساء
ياويحهم ركزوا منارا من دم ... يوحي الى جيل الغد البغضاء

ثم ينطلق شوقي شاعرا انسانيا عربيا يدعو للاخاء والمحبة تعم الارض كلها في صورة من العدل والشرف والانصاف :

ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد ... بين الشعوب مودة واخاء

وفي دعوة صريحة لخطوة نحو الوحدة يخاطب شوقي زعماء مصر والسودان متسائلا عما وقع بينهم وهم اخوة من خلاف :

الام الخلف بينكم الاما ... وهذى الضجة الكبرى علاما
وفيكم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما

وها نحن نسمع بلبل النيل المرحوم حافظ ابراهيم في أروع اناشيد الوحدة التي نتحسسها اليوم بكل دفقة دم ، وخفقة قلب :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلى وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما ... قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحول عن مغناهما الادب
أم اللغات غداة الفخر امهما ... وان سألت عن الاباء فالعرب
اذا ألمت بوادي النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا في ثرى الاهرام ذو ألم ... اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والاردن ودهما ... تصافحت منهما الامواه والعشب

ثم يسهم الشاعر العربي السوري ابو ريشة في هذا المضمار يتحدث لدينا عن مأساة امتنا في فلسطين حيث يقول :

امتي كم غصة دامية ... خنقت نجوى علاك في فمي
أي جرح في ابائي راعف ... فاته الاسى فلم يلتئم
الاسرائيل تعلو راية ... في حمى المهد وظل الحرم
او ما كنت اذا البغي اعتدى ... موجة من لهب أو من دم

ونصغي بروعة لهتاف حق وصيحة نذير نادى بها شاعر فلسطين المرحوم طوقان وهو يؤكد وحدة امتنا ٠

وإذا الرشاد من الضلالة والعمى ومن الشقاق تآلف واخاء
وإذا الخيام قصور املاك الورى وإذا القفار دمشق والزوراء
وعلى ربوع الصين كبر فيلق وبأرض قسطنطين رف لواء
ناديت قومي لا اخصص مسلما ابناء يعرب في الخطوب سواء

وتتفتح قلوبنا وهي تعانق الامل وتعيش للانطلاق عندما ينشد الشاعر المجلي بشاره الخوري ويناجي فلسطين يوقظ الضمائر ويتغنى بأمجادنا فيقول :

يا جهادا صفق المجد له لبس الغار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به وبناء للمعالي لايداني
ان جرحا سال من جبهتها لثمته بخشوع شفتانا
يا فلسطين التي كدنا لما كابدته من اسى ننسى اسانا
يثرب والقدس منذ احتلما كعبتانا وهوى العرب هوانا
شرف للموت ان نطعمه انفسا جبارة تأبى الهوانا

ولنذكر الشاعر المرحوم ابراهيم اليازجي وهو يحلق بشعره القومي التوجيهي :

سلام ايها العرب الكرام وجاد ربوع قطركم الغمام
لقد ذكر الزمان لكم عهودا مضت قدما فلم يضع الذمام
لعمرك نحن مصدر كل فضل وعن اثارنا اخذ الانام
ونحن اولو المآثر من قديم وان جحدت مآثرنا اللئام

ومن أدب النكبة لنصغ الى شاعرنا ابي سلمى وهو يعيش للعودة والامل يخفق في حنايا اضلعه :

فلسطين الحبيبة كيف احيا بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني الشواطىء باكيات وفي سمع الزمان صدى انتحابي
غدا سنعود والاجيال تصغي وفوق شفاهنا حمر الرغاب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الاسنة والحراب

ولنتأمل بما تجود به قريحة الشاعر محيي الدين الفارس وهو يغني فلسطين بقصيدة نابعة بالحياة يصور بها خيام العائدين بعواطفه الجياشة

عندما يبعثها انغاما جريحة باكية ليؤكد ان جرح فلسطين يتجاوب اسى في تربة السودان :

الريح اطفأت السراج ... وقهقهت خلف الخيام
وفراخه الزغب الصغار ... تراعشت مثل الحمام

وتكومت فوق الحصير ، وتكومت مثل الحطام
ناموا على جوع ، فما عرفوا هنا طيف ابتسام
نام الوجود ولم تنامي ....
وتوقفت في ناظريك دميعتان من الضمام
وهمست ثائرة الضرام
يافا الجميلة لم تزل دنياك ماثلة امامي

ولنصغ الى شاعر الحرية والتجديد والمحلق المبدع جميل صدقي الزهاوي الذي دافع عن العرب وعن الحقوق العربية بضمير ووفاء وهو يشير الى بعض أسس الوحدة :

بني وطني لا تسكتوا عن حقوقكم ... اليكم لكم منكم فم يتكلم
لكم ثروة في الارض اتعابها لكم ... وارباحها للغرب نهب مقسم
وما بال العروبة اصبحت ... على الذل اشتاتا تشب وتهرم
لالام قومي الصيد نفس تألمت ... لك الويل يا نفسي التي تتألم

واذا كنا قد الهينا في ذكر مواقف الشعراء من الوحدة العربية والدعوة لها وهناك من الشعراء المبدعين كثيرون من اخواني الذين ضمهم هذا المجلس أو الذين لم تساعدهم ظروفهم من مشاركتنا اعتذر عن ذكرهم لضيق المقام ، فلا بد من الوقوف هنا بكل تجلة وتقدير عند اراء ادباء العربية وكتابها ممن عمقوا فكرة الوحدة ودعوا لمفهومها السليم وكانت افكارهم نورا يضيء للاجيال الصاعدة دروب العمل ويدفعهم الى البذل والعطاء بوعي وادراك ، منهم انتم ايها السادة الافاضل والاساتذة الكرام ومنهم من يعيش بروحه هنا ولم يستطع مشاركتنا كذلك ... ولنبدأ بعميد الادب العربي استاذنا الجليل الدكتور طه حسين وهو يحدد معالم الوحدة أروع تحديد ويصر على مفهومها السليم حيث يقول :

« واذا كانت هناك وحدة يحاول العرب ان يعودوا اليها ويقيموا عليها وهم في الحياة الحديثة كما قامت عليها حياتهم القديمة فالقرآن هو أساس هذه الوحدة الجديدة كما كان اساسا للوحدة القديمة ... الى أن يقول

والعرب أجدر الناس أن يفهموه وينقذوه فهو أنزل فيهم وأنزل في لغتهم واتجه اليهم أول ما نزل » ٠٠٠٠

ص ٩٦١ – ٩٦٢
قرآن الاسلام

ويقول سيد قطب وهو غني عن التعريف

« ليست الحياة لهوا وعبثا وليست الحياة سلامة كسلامة الاذلاء وليست الحياة راحة واسترخاء وتعطيلا للطاقات الكامنة في الروح والذهن والعصب والعقل انما الحياة هي كفاح في سبيل حق وجهاد في سبيل خير وانتصار لاعلاء كلمة الله او استشهاد في سبيل الله ورضوانه ، هذه هي الحياة » ٠

ولفتياتنا الاديبات في هذا المضمار صوت صارخ مدوي مشاركة منها لرسالة عظيمة وهذه الحقيقة تحدثت عن نفسها ونحن نقرأ ونحتفظ بتلك الثروة الادبية الهائلة من مؤلفات مجموعة كبيرة من اخواتنا وهن يضعن عصارات افكارهن لخدمة العروبة ورسالتها الكبرى فلنستمع الى ما قالته الاديبة الكاتبة الانسة مي زيان مخاطبة الشرق : ٠٠٠ أيها الشرق :

يا شرقي الكبير الرؤوف ٠ يا شرق الطرب والحمية والنخوة والشدة العاصفة كريح السموم انك لتتجمع تحت نظري كلوحة مصورة فأرى منك الفقر والجهل والاضطراب والاحتدام والانفعال ٠٠ الى أن تقول : ورغم ذلك فاملي بك عظيم كالحياة والحرية ٠٠٠ أي قوة هذه التي تشد وثاقي اليك ؟ لماذا أهوى من لغتك الشدو الشجي النواح والنبرة السريعة الحادة والهتاف الابي الحار ؟ انك ايها الشرق اصطفيت لتكون أرض الابطال ومنشأ الجبابرة واليوم قد آن أن ترتفع موجتك الجديدة وتمتد ، وهناك فجر منتظر ولم يلح بعد ٠٠ انت برج الفجر أيها الشرق ٠٠٠

وهناك كثيرون من رجال الفكر والادب الذين جعلوا التاريخ السنة تنطق لتذكرهم بسمو افكارهم وغزير أدبهم وتفهمهم للقواعد الاساسية للوحدة العربية الشاملة أمثال اديب العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي والاستاذ الجليل العقاد والدكتور نظمي لوقا وهم يدعون الى الوحدة ويناقشون مفاهيمها والروابط التي تربط بين أجزاء أمتنا الواحدة لتكون أمة طلائعية تقود الجماهير نحو الظفر والمجد والفخار ٠

ومن هذا الذي ذكرناه مستعرضين ، نصل الى ان مقومات وحدة امتنا تترابط في وثاق واحد وفي بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا على أسس ثابتة راسخة من الفكر العميق وهي امور ليست بالمصطنعة وانما جذرية اصلها ثابت وفرعها في السماء مما يؤكد حتمية الوحدة بين أبناء هذه الامة

الكريمة وكم يسعدني ان انهي كلمتي هذه لجمعكم الطيب هذا ان نشـــق طريقنا نحو فكر واع وعقيـــدة خالصـــة ندفـــع الاجيــــال الصاعـــدة ليستوحوا من قضاياهم القومية ومن جراحات العائدين واستغاثات ما استلب من أواطاننا سبيل العمل بالتوجيه الفكري السليم فننظم شعرا ونكتب نثرا لنصور بالصدق والحق والضمير وبالقلم المبدع والفكر المدرك حقيقة قوميتنا البناء العريقة وصفاء عروبتنا المشرقة المنطلقة وهما تتعانقان مع رسالة الاسلام الخالد في ظل حياة حرة كريمة ، ويقف العرب بعد أن ينفضوا عنهم كـــل ما انتابهم من عوامل القلق والبلبلة ليؤدوا الرسالة وليحملوا الامانـــة ، وليكونوا مرآة جيل الغد الذي تنتظره مسؤوليات جسام ... نكتب ونصور بالكلمة ، ومنطلقا في وحدتنا الكبرى ، ومعركتنا المقبلة ، الارض التي بارك الله حولها لتكون اغنية كل شاعر وترتيلة كل ثائر ، حتى ننقذ جسم امتنا من الاخطبوط الاستعماري الصهيوني البغيض ، فتبدأ يومئذ اقلامنا تكتب لتتحدث عن الرخاء والكرامة ورغد العيش مثلما كتبت وتحدثت عن البؤس والفاقة والحرمان وعن النكبة والتشرد والجراحات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ترجو هيئة تحرير المجلة من الكتاب الافاضل الذين يوافونها بانتاجهم تثبيت عناوينهم كاملة ليتسنى للادارة اشعارهم بما يتخذ بشأنها ولتتمكن من ايصال المكافآت النقدية لهم .

كما ترجو من السادة الذين اسهموا بالنشر فيها قبلا ولم يثبتوا عناوينهم اشعار المجلة بها .

حب يظل على المدى

حسن الأمين

حب يظل على المدى متجـــددا ... وهوى يعود به الوفـاء كما بـــدا
الوجد فيك كما عهدت ولم يـــزل ... شوق الاحبــة ما عرفــت توقـــدا
كم كان طيفك للاحبــة مسعفـــا ... ان لـج شوقهم وذكرك مســـعدا
من رافديـك كمـــا تبسم دجلـة ... عبر الضحى وكما الفرات تنهـــدا
بالحـب بالعهد الوثيق وبالوفـــا ... صغنا القلوب مسودة والاكبـــدا
تلك الضفاف وكم مرحت بظلهـــا ... شغفا وكم لحن الفؤاد وكم شـــدا
النخـل كالوسنان اسبل جفنــه ... والنهــر كالسكران هاج معربدا
والظـل كالولهان مد ذراعـــــه ... شوقا وعاوده الحيـــا فتــرددا
هذي الخمائل ما نسيت عهودهـــا ... هذي الشواطيء ما جحدت لها يدا

* * *

بغداد يا حلم النفوس اذا هفــت ... شوقا ويا لحن المحب اذا شـــدا
هـذي العروبة في مواكب زحفهـا ... هبت اليك تجمعــا وتحشـــدا
صوت من الادب الرفيع يشدهـــم ... ونـداء صدق في حمـــاك ترددا
صوت (الرضي) اذا ترنم بالهوى ... واذا استجاش الى الوغى واذا حدا
صوت تردده الشعاب وتنتخـــي ... قمـم الجبـال تحفزا وتوعـــدا
للثـأر ، للمجد المهيض ، لساعـة ... في ضفة الاردن تنتظر العـــدا

* * *

يا هاتفا في الـوادِ عـز مجيبـه ومناديا في السفح طال به النـدا

من مطلـع (النقب) العزيز مذللا بيـد العـدا ومن الحمى مستعبدا

من اربـع هانت فـلا متصبـر بعد الهوان بهـا ولا متجلـدا

يا هاتفـا ما اليأس يخفت صوتـه ومناديا للثأر ما نادى سـدى

لن يشرب النقب الرحيب ويرتوى يوما بغير دم اليهـود مبـددا

قـل لابن غريون اللئيم وصوتـه مازال يختبط الظلام معربدا

ان تهزل الأيام امس فويلكـم ان جدت الايام ويلكـم غـدا

تلك الربوع المعرقـات عروبـة تأبى لهـا النخوات ان تتهـودا

* * *

اكرم بدجلة للعروبة مجمعـا وبأرض بغداد الحبيبة منتـدى

جددت سـالفة المنابر شاعـرا فـذ القريض وناثرا متفـردا

من قبتيك ومن منـارات العـلى شعت على الكون الهداية فاهتدى

حييت ارضـك مهطعا لجلالهـا وشممت تربك خاشعا متعبـدا

اني لاستوحي الطلول جلالهـا شرف الكتاب ومجده والسـؤددا

والالمعـون استفاض حديثهـم بحرا تدفق بالمعـارف مزبـدا

متحلقين على الحقيقـة مـا رأوا في دهرهم الا الحقيقة مقصـدا

لاتتركي القصد القديم فربمـا كان القديم تقدمـا وتجـددا

* * *

هذا العراق وما رأيت كمجـده ابقى على مر الزمـان واخلـدا

سل في البيان العبقـرى أمثلـه من رتل الآيات فيـه وجـودا

البصرة الفيحـاء ابصر ثغرهـا في ظلمة التاريخ يلمع فرقـدا

وجرير يهتف بالغـرام وينثنـي صوت الفرزدق بالمفاخر منشـدا

كانت على الايام اسطـع كوكـب علمـا وازهاه تقى وتعبـدا

اني لاسمع في الخيال هتافهـــا وارى مواكبها تؤم المربـــدا
والكوفة الخضراء ألمح وجههـــا عبر الزمان نضـارة وتـوردا
رعت البيـان فضيلة ومحبـــة وحوته حين حوته في الدنيا هدى

* * *

ابنـي ابينا في الفرات ودجلـــة الاريحيـين الكمـــاة الذودا
الطالعين على العـدو مهـــابة وعلى الصـديق محبـة وتـوددا
من سفح (عامل) من شوامخ هضبه من ارز لبنـان نمد لـكم يـدا
يا نخل ما ابهاك عندي منظـــرا يا ماء دجلة مـا الـذك مـوردا
سأظل ارسل في هواك قصائـــدى سأظل بالحـب الوفي مغـردا
سأظل بالنخل النضير متيمـــا سيظل قلبي في الهـوى متعـبدا



بغداد

محمد التهامي

هذا الجمال !! عرفته والفته ورأيت اكثره بمصر وذقته
لو لم أزر هذا الحمى ، وسألتني عما احتواه من الجمال ، وصفته
أو جيء لي يوما ببعض ترابه وانا البعيد شممته ، فعرفته
لو لم يقولوا انت فيه لهزني رغم البعاد اريجه فلثمته
«بغداد» ما طول الطريق! وفي دمي شيء ـ بمغناك الحبيب ـ وجدته
فلأنت « قاهرتي » وحبك قاهر في كل خفقة نابض أحسسته

***

بلدي ، ولو رفع العدو جداره بيني وبينك للسماء ، عبرته
وفتاك يا بغداد بين جوانحي لو كنت ادعوه الشقيق ظلمته
بل انه بعضي واني بعضه قد كان في هذا الوجود وكنته

***

ما كان ما قد كان غير تمزق في اضلعي احسسته وبكيته
ان بعثروا جسدي فغاية جهدهم فالقلب ، رغم انوفهم ، وحدته
وطحنت أشواك الحدود بواحد ما خنته يوما ولا قسمته
من فوق امواج الخليج وصخره حتى انطلاقات المحيط بسطته
يسعى لوحدته ، ويخمد صوته فيضج في كل المسامع صمته
اصغي اليه بكل حس نابض واذا اصخت الى القبور سمعته
هذي حقيقتنا تجلجل حولنا كالرعد ، يجتاح المكابر صوته
من كان فينا ، لايحس نداءنا بان منه حياته او موته

والسـارقون لنا يجن جنونهـم ويقض مضجع امنهم ما قلتـه
هم موقنون بأن غـاية امرهـم مـوت يحيين مع التوحد وقتـه
ولذاك ، كل مضلـل بسمومهم يبدو لوحدتنا قلاه ومقتـه

***

الناهبـون تسيل في انيابهـم حرية الشعب الكريم وقوتـه
الدائبون على الصراع يحيطنـا ويهز كل حياتنـا جبروتـه
امّا حياتهـم ، واما عيشـنا يا ويل من ركب الحياة يفوتـه
عاشوا على دمنـا السنين وفاتهم ان المعذب لن يطـول سـكوته
والحق مهمـا زلزلت اركانـه لابد - يوما - ان يحين ثبوتـه
وصياح ابواق الضلال مصيره مهمـا استمر به الصراخ خفوتـه
هـذي طبيعة كل حق ، حكمة الديـان ، ما يجري به ملكوتـه

***

لاتفزعـن من العواصف انهـا زيف عرفت خداعه فكشفتـه
هم يكذبون ، فلا تصدق قولهم ما كنت جئت ، لو انني صدقتـه
هم يسرقون ، فلا يغرك مالهـم كم قدمـوه لنـا ، وقد حرمتـه
لا ترهبنهم وتخشى جيشـهم هـذا الدعي ، صدمته فصرعتـه

***

ان القوى هو اتحـاد كياننـا فأنا وانت ، صنعته ، وصنعتـه
من نور احلامي ، وطول تطلعـي وحصاد ايامي الطوال جمعتـه
من كل ساعة شـدة قضيتهـا من كل ومضة تخرج الهمتـه
من قبضـة السجان ، من جبروته من قسـوة الطغيان قد اخرجتـه
من خـير اوطاني يسيل لغيرهـا ولها الجفاف ، عصرته وشربتـه
من لهفة الظمآن في وهـج اللظـى من صرخة الجوعان ، يسرق قوته
من لاجيء نهش الذئاب عظامـه لـا غـدا نهب الضياع مبيتـه

خطت وصيته الدماء ليتقي … هذي النهاية من تأخر موته
من وقع اقدام الغزاة اهاجني … وأثار طعم الموت ، حين سمعته
انيابهم فيها بقايا اخوتي … تحكي عن الوطن الذى ضيعته
عنها ، فلسطين الشهيدة ، قبلتي الاولى ، ومعراجي الذى قدسته
هم دنسوه ولم اطهر رجسهم … فكأنني - يا ويلتي - دنسته
قتلوا اخي ، قتلوه وهو يشدني … لاغيثه ، وانا الشقيق خذلته
سلمته وهربت من اوطانه … فكأنني - وانا اخوه - ذبحته
للحق والتأريخ ، كنت مقيدا … لو كان امري في يدى لفديته
قد كنت اعرف انني لو ذدتهم … لحميت نفسى منهم وحميته
أأنام في دار تحطم بابها … واللص في عتباتها أمنته ؟
كانت عصابتهم تدير لتعبنا … حكما بأوهام الحيا يميته

***

وطرقت ابواب الخلاص وجزتها … ونبا الى النصر الذى حققته
واخذت كل الخائنين بذنبهم … وجمعت امرى في يدي وحسمته
وتبددت سحب الضلال ، وقادني … نور الحقيقة عندما اوتيته
وارتاح قلبي واستعدت شتيته … ومضى يفتش ، من أخوه واخته
وهرعت اصدقك الحديث جميعه … فوجدت عندك فوق ما قدمته
فلكم صبرت كما صبرت على الاذى … وحملت وحدك كل ما حملته
حتى على الالم المرير توحدت … اكوابنا فكما شربت شربته
وتنفست آهاتنا في قبلة … سلم الجبين الحر ، كم قبلته
وضمتني ، وضممت فيك تشوقي … ومناى والامل الذى ربيته
وحرسته حتى ترعرع عوده … وخففت للثمر الشهي جنيته
قل للئام العاملين لفرقة … لا ، لن يعود التي ما خلفته
فلقد عرفت وذقت حلو توحدى … يكفيكم الزمن الذى اهدرته
اقسمت ان القى الحياة موحدا … عهد لرب العالمين قطعته

في مهرجان الشعر

نور الدين صمود

سبقتنا اشواقنا ومنانا … فالتقينا في الحلم قبل لقانا
وبنينا في الوهم صرح خيال … ومضينا نشيد البنيانا
واختصرنا المدى بوثبة حلم … وطوينا الزمان حتى طوانا
وسمعنا لشهرزاد حديثا … عن بساط يطوى الفضا والزمانا
فامتطيناه منذ أمس ورحنا … نسحب السحب اثرنا اردانا
ورحلنا عن أرضنا وحمانا … فوجدنا رغم البعاد حمانا
نحن في أرضنا وان شطت الدار … لقينا الاصحاب والخلانا
ورأينا الفرات يسخو كريما … وسمعنا لدجلة ألحانا
اذ تهادى بين الرصافة والكرخ … وغنى لحن الصبا سكرانا
العراق السخي عرس عطاء … يمنح الحب والاخا طوفانا
ايه بغداد يا انبثاقة فجر … أمر المجد أن يكون فكانا
كان تموز بدء عهد جديد … صفع الظلم فانثنى خزيانا
اسمك العذب في الشفاه ربيع … يملأ السهل والربى ريحانا
سبح الطرف في بحار ذهول … تترك الفكر حالما نشوانا
يا ربى العز والحضارة تيهي … واحملي مشعل النهى صولجانا
– حمورابي – ابو الشرائع أرسى … فيك قانونه الذى قد هدانا

وعلى برج بابل رسم الخلد خطاه فحير الازمانا
واتى كوفة المعالى فأبقى مسحة الحزن في عيون الحزانى
حيثما استشهد الامام وخرت دولة الحق واصطلت نيرانا
وعلي وكان رب التعالي علم الشعر والهدى والبيانا
فاحملي يا سماء اسمى صلاة من قلوب في حبه تتفانى
حملتني السلام ـ مجردة ـ الفيحاء لما تدفقت في حمانا
ـ للفرات ـ الحبيب يمشي وئيدا يتهادى بين الربى جذلانا
من روابي ـ قرطاج ـ يحمل قلبي ألف شوق يعطر الايوانا
ومن القيروان والضاد فيها عرف العز والعلى والامانا
من بلادي من منبع بلادي وهو من شيد المعالي وصانا
أحمل الحق في يميني وقلبي وأبث الاخلاص والايمانا
الجناح الشرقي للمغرب الجبار قد ثار فاغتدى بركانا
أمطر الغاصب اللعين لهيبا فارتدى حلة اللظى شيطانا
علم الثورة الشعوب فثارت حاملات بند الجهاد عيانا
فاستقلت افريقيا وبنوها اذ نسجنا للغاصب الاكفانا
ان تكن ارضنا الحبيبة أضحت لذويها فذاك بعض منانا
نحن نصبو لوحدة المغرب المنصور كي نعتلي ونعظم شانا
ونادي بوحدة العرب لكن بعد ما نملأ الدروب اتزانا
ان اردنا للعرب وحدة صف فلنوحد قلوبنا وهوانا
ولنسر في الطريق جنبا لجنب ولنقوم على الطريق خطانا
شيمة الشمس ان تضيء وتعلو في سماها وتملأ الاكوانا
فلنكن أمة تواكبنا الشمس وننسى الاحقاد والاضغانا
قمم المجد نحن صغنا ذراها ونسجنا لها الابا طيلسانا
ايه يا مجد ايقظ العرب وأطرد سنة النوم وافتح الاجفانا
شعبنا الحر وهو اكرم شعب كان في قبضة العدى قطعانا

طرد الذئب والرعاة استفاقوا … فلنوحد اوطاننا وقوانا

وفلسطين اى جرح نخين … والدماء التي عليه دمانا

ما ترانا نقول شعرا بديعا ؟ … وفلسطين تطلب النيرانا

والليالي التي تمر عجافا … والسنون التي تضيع حزانى

والكلام الذي يقال جزافا … رق شعرا او استطيب بيانا

ليس يجدي وليس يسطيع شيئا … بل يبث الفتور والخذلانا

لا نريد الكلام فهو فراغ … ان غضبنا فلندخل الميدانا

ولنقل للظلام : زل وتزمزم … ولنثرها على العدو عوانا

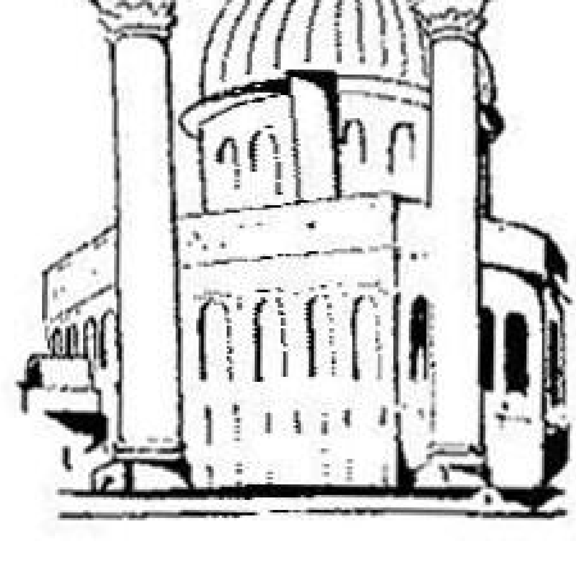
ولنسر في الطريق جنبا لجنب … فكفانا من الكلام كفانا

صهر طه ابا الشهيدين ، رفرف … فوق هذا المكان كيما ترانا

ولتوحد صف العروبة واجعل … عزمك الصلد في مجاري دمانا

كي نرى العرب وحدة لا تضاهى … تستعيد الحمى السليب المهانا

يا امام الهدى دعوتك فاسمع … ولتبارك بروحك المهرجانا



إيه بغداد

أحمد رامي

في هوى بابل وحب النواسي
جئت أسري على هدى احساسي
املأ العين من مباهج بغداد واسعى الى حمى العباس
وأرى دجلة الذي فاض بالخير عليها وماج بالايناس
ورفاق الى فؤادي أحباء على العين ودهم والراس
جمعتني بهم دياري في مراح الصبا أعز الناس
فيهمو حافظ الجميل وفيهم صادح فوق غصنه المياس
ذاك يلقي البيان سحرا وهذا يوهب المشجيات بالقسطاس

* * *

لم أزركم من قبل هذي ولكن
سبقتني اليكم . أنفاسي
رددتها صداحة الشرق انغاما عذابا ندية الاجراس
هي قلبي يذوب في اللحن وجدا ودموعي جرت على قرطاس
أنا أودعتها حنيني الى بغداد في عهدها الجميل الماسي
حيث هارون في سني علاه سيد الشرق في الندى والباس
ودنانير في المقاصير تشدو بالنشيد الشهي من عباس

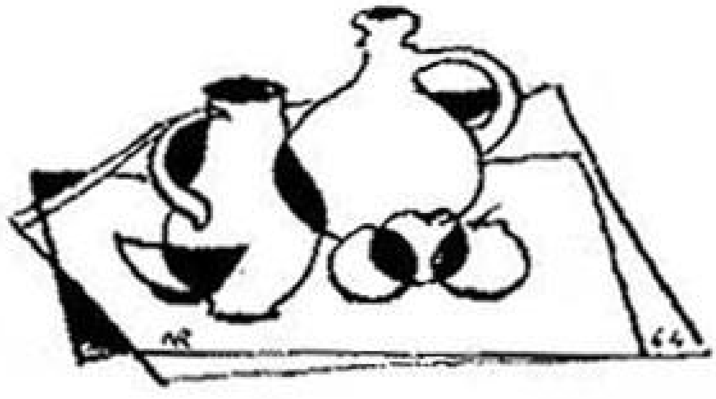
والجواري يرسلن وسوسة الحلي في جميل اللباس
يتهادين في الغلائل أطيافا ترأى لسابح في نعاس
ويرددن ساحرات الاغاريد على وقع مزهر ونحاس
هن في الروض بلبل يبعث الشدو وفي الغدر شادن في كناس

* * *

ايه بغداد والليالي كتاب ضم افراحنا وضم المآسي
عبث الدهر في بساتينك الغناء والدهر حين يعبث قاسي
ودهاك المغول في الطلعة النكراء يبغون قطف ذاك الغراس
فتصديت للغزاة وجابهت اذاهم مثل الجبال الرواسي
ثم دافعت عن حمى الحق والشرق وأصبحت شعلة النبراس
يغرف الغارفون منك سنا العلم فتعطيهم بلا مقياس
وتذيرين للوجود منارا ثابت الركن مستقر الاواسي

* * *

يا بني العم آن ان نجمع الشمل ونبني على متين الاساس
ولنا بين عارف وجمال مستتب على المودة راس
فاصنعوا المعجزات من عزمنا الماضي ومن صبرنا وطول المراس
وخذوا الحذر واستقلوا سفين النصر نبلغ بها امين المراس
ثم نعلي للعرب أعلام مجد ونحيي معالم الاعراس
وأنا بينكم أردد شعري وعلى ذكركم اشعشع كاسي



ليلى[1]

صالح جودة

وحق الذي عقد الأصره   ووحد بغداد والقاهره
وذوب في النيل حب الفرات   وقرب من عارف ناصره
دعاني اليكم بني الرافدين   حنين لكأسهما العاطره
ويا طالما كان حلمي العراق   وامنيتي هذه الحاضره
فلما قضاها لي المهرجان   ركبت لها الفرحة الطائره
اسائل أين ليالي الرشيد   واين ملاعبه الزاهره
واين الندامى وأين العبيد   يطوفون بالكأس والنادره
وأين زبيدة فوق البساط   تجرر اذيالها الفاخرة
وأين دنانير في سحرها   كأني بها (سومة) القاهره
وأين الجواري بلدن الفنون   ويرقصنها كالمها النافره
وهن المدافيء في الزمهرير   وهن المراوح في الهاجره

* * *

سهرت اسامر هذا الخيال   واحلم بالصورة الباهره
الى أن غزا الفجر ليل العراق   واطلع انواره الباكره
ومن خلفه اقبلت شهرزاد   كأجمل ما تقبل الزائره
وراحت تحدثنا بالجديد   وخلت أساطيرها الغابره
وقالت لقد راح عهد الرشيد   وفضت طلائعنا سامره

فانا زرعنا المنى والكرا ... مة والعزم في الهمم الخائره
وانا نفضنا زمان العبيد ... ودارت على ليله الدائره

* * *

أطيلي الرواية يا شهرزاد ... وزفي البشائر يا قماده
وقصي علينا حديث الجلال ... وانشودة الثورة الحاضره
ولا تسكتي أن أطل الصباح ... واطفأ مشكاتك الساهره
أطيلي ، ولا ترهبي شهريار ... ولا بأس اسيافه الباتره
فانا طوينا كتاب الطغاة ... ودسنا رؤوسهم الفاجره
فان تسألي من ولاة الامور ... فان الشعوب هي الامره

* * *

وحق الذي عقد الاصرة ... وجمع اشواقنا الثائره
دعاني اليكم بني الرافدين ... غرامي بأرضكم الشاعره
بلاد الرصافي في سخطه ... على الغدر والفئة الغادره
على البائعين بسوق البلاط ... كراماتهم صفقة خاسره
على الباذلين لمستعمريهم ... مقادير قومهم العاثره
وما علموا أنهم ذاهبون ... وان الشعوب هي الظافره

* * *

بلاد الزهاوي في زهوه ... وتيه خيالاته الحائره
وشيطانة العلم توحي اليه ... حديث جهنمه الهادره
ويغري به ضعفه الآدمي ... فيوغل في النظرة الساخره
ومن وصف النار مهما استطال ... فاعماقه بالهدى زاخره
ففي وصفه رهبة للسماء ... تهش لها الرحمة الغافره

* * *

بلاد النواسي في أنسه   وفي نشوة الليلة الساكره
وفي ظل فلسفة للحياة   تحنل عن النظرة العابره
تناهت لساتر عبد القرون   عزاقية اللب والظافره
ففتق برنسها الشاعري   وكانت بفتنته ازره
وأطلع منها وجودية   تجلجل بالرغبة السافره
هنا الشرق ، مبعث الفلسفات   ومنطلق القيم الزاخره
ولكنه الشرق ، مهما يضل   فتاه مع الحكمة السادره
يحس بأعماقه هاتفا   بأن لهذا الورى فاطره
فيسرف في حبه للحياة   ولكنه يذكر الاخره
وحق الذي عقد الاصره   على سيرة للعلى سائره
دعاني اليكم بني الرافدين   هواي على دجلة العامره
فالفيت قلبي يخف اليكم   وتسبق اشواقه الطائره
يسائلكم عن مضارب ليلى   وطلعتها السمحة الباهرة
وليلى العراق أعز الليالي   فأم العلا بعدها قاصره
لها شرف النجف المتألق   بالانجم الحلوة الزاهره
لها النسب الضخم من كربلاء   وساكن تربتها الطاهره
لها ألق في سواد العيون   تكحلن من بابل الساحره
لها رقة الجسر الموصلي   يكاد يذوب على الخاصره
لها جاذبية تمر العراق   يسيل على الشفة العاصره
فلا تعذلوني أما خفضت   الجناح لليلاكم الاسره

* * *

عركت الليالي من قبلها   فكن علي رحى دائره
وما كان من أمر ليلى أمية   لما يزل يلفح الذاكره
ولما يزل في حنايا السواد   أسى من جراحاتها الغائره

بذلت لها من فؤادي الحنان   وهيأت جنته الناضره
فأدمته في فرحة المهرجان   وفي ذروة الليلة الشاعره
لها الله من طفلة غررها   فأمست بما امنت كافره
يقولون ليلى بأرض العراق   من السقم شاحبة ضامره
تكابد من علة في الخفاء   وليست بها علة ظاهره
انا الصيدلي وعندي الشفاء   وفي جعبتي الحكمة الماهره
دواؤك ليلى دعاء الى الله   يسري الى السدرة العامره
يجنبك الالم العنصري   ويطفىء نيرانه الساعره
ويكفيك شر قلى المذهبي   ويحميك من نابه الكاسره
ويطعمك الامل الوحدوي   ويسقيك غيمته الماطره
ويشفيك يوم انطلاق الجنود   الى أرضنا الجلدة الصابره
وشد الزنود وخفق البنود   على مهد عذرائنا الطاهره
ليجمعنا المهرجان الكبير   على موعد في ربى الناصره

بغداد

محمود حسن إسماعيل

(١)

لو ألهمتني طيف صوت من صدى التاريخ حول بابها
أو .. شيعتني بسنى ، من سجدة النور على قبابها
أو .. ساكبتني بيد الوحي ، رحيق الخلد من عبابها
أو .. فاغمتني بعبير المجد في ترابها ..
ورشفة من وهلة الإيمان في أهدابها ..
ومن جلال الشرق ، من ضحاه في رحابها ..،
أبحتها بسكب من مهجتي ، من الغناء ، لم يسره !!
وسقتها ملاحما للشعر ، من تاريخها معطره
تقص ألف ليلة جديدة لألفها ، .. ومعذرة
لو دندن الشحرور وأقلع الطريق
وفاتني العبور لسرها العميق
فنغمة العصور في نايها العريق
تدوخ الدهور وتسكر الرحيق
وتذهل العيدان ، لو بابل ترجي السحر من ربابها
وتعصر الإلهام ، من كل شجٍ ، أو عاشق غنى بها

(٢)

لو أنني ملاح بحر ، ألحدث تحت الدجى رياحه
وأصبحت قلوعه جنائزا شلت بها جراحه
وسمرت آفاقه ، وارتد موءود الصدى نواحه

وذقت رشفتين من ، دجلتها المطهر
وذبت قطرتين في ، مسابه المعطر
وحلم موجتين في ، ربيعه المسحر

.. لاندلعت سفينتي ، تمخر في الغياهب المدثره
وأقبلت حولي الرياح ، طوع أحلام المدى ، مستغفره
تطوي معي تيه القرون ، لو أرادت نظرتي ، أن تعبره

فنهرها ملاح في لجة الحياه
في كفه مصباح عب الدجى سناه
ودفة الرياح تجري على مداه
والعاصف المجتاح يغدو له صلاه

كم مرة من رباها فانبرى بفجرها جناحه
وهب كالمقدار لم يترك رفات ظلمة صباحه

(٣)

نزلتها .. والليل لم يدر بها متجها لقبلته ،
فراح يجثو خاشعا أني سرى مكبرا بخطوته
والنور حبات ضحى مبثوثة الضياء حول سجدته

كأنها تمائم ، لوجهها المنضر ..
كأنها حمائم ، أسرابها لم تطر
بيض الجناح ، مصفيات لبقايا وتر

ألقاه ! اسحق ، ولم تنكن بقايا عوده المرنم
ولم تزل أنغامه رغم المدى ، ولهانة لم تنم
شجية ، أبية ، عتية السكون والترنم

آهاتها نشور يهدر في القلوب
وصمتها شعور يثأر في الدروب
يجدد المسير يبدد الغروب
ويرفع الستور للشمس كي تؤوب

وترجع النور لمن كانوا على الدنيا حداة يقظته
ومن سقوه للدجى ، والغرب أعمى شارب من ظلمته

(٤)

وقفت في فضائها أسمع طير الخلد في منابره
والبحتري حامل تلفت الدنيا الى قياثره
والسين .. سهم للخلود يرشق الايوان في سرائره
يروي تذلل البلى في وجهه وخاطره
ونشوة النور على اطراقة بناظره
منذ دهته هالة شقت ذرى أكاسره ،..
.. من قبلة السماء للبيداء ، من بيت بأرض العرب
شقت ، تضيء حيرة الوجود ، من وجه نبي

هب لها سابور من فزعة الاكفان
من دسته المقهور في قبضة النسيان
ودار كالمسحور في حيرة الايوان
يصيح والمقدور يجيب ، والنيران،

تهيل من رمادها الخمود ، والزوال في محاجره !!
وترتمي ساجدة ، لوهلة الاضواء في مقاصره

(٥)

من ها هنا وغيمة الرشيد تطوي الأفق في أناملـه
وصولجان الفكر والمأمون يذكي الضوء في مشاعله
وسيف هولاكو ، من الخيبة ، مرتد الى مقاتلـه
من ها هنا ، والنور لم يغفل سناه أبدا
وراية الاسلام ، لم يترك ضحاها أحدا
وكيف ؟ والسماء خطت فوقها .. محمدا ..!!
محرر الانسان ، داهي الرق والهوان في جبينـه
بثورة شبت على تكالب الاغلال في يمينـه
فذوبت قيوده بصيحة القرآن
وأضرمت وقوده في مهجة الطغيان
وحررت وجوده من قبضة الأوثان
وحرمت سجوده الا الى الرحمن
.. من ها هنا .. حداؤها مد الخطا ، وسار في قوافله
وفجر الضياء ، يسقي ظلمة الوجود ، من مناهله

(٦)

ولم أزل أصغي ، ويصغي في دمي ، تبتل النخيل
كأنه مسبحة تعد في تاريخها الطويل
خضراء ما زالت يد (المنصور) في احلامها تجول
تديرها ، وتقطر السلام من حباتها
وتسكب الضياء والاباء في راياتها
وتعصر الشمس لخطو الفجر في ساحاتها
وحولها لعودة الايام لاحت شمخة المآذن
تصغي معي ، كأنها تسبيحة الوحدة في ملاحني !!

كأنها جباه هبت من السجود
تكبر الصلاه لفجرها الوليد
وترزم الشفاه بوحدة النشيد
وترجع الحداه للدرب من جديد
وتسبغ الراية في المعراج نور ظلها الظليل
ويدفن التاريخ عار أمسه في مهجة الدخيل

(٧)

بغداد .. يا ترنيمة العصور ، يا تميمة الزمان
يا حلما مشعشعا ، للدهر كم دارت به الدنان
يا نغما للخلد لم تعزف على ربابه يدان
يا قصة تجثو الاساطير على أعتابها
يا كرمة عب سقاة النور من أعنابها
يا قبلة للشمس ، تستقط من أهدابها ..
يا زاد كل وقفة يكبر التاريخ في ترابها
يا كبر كل نظرة شقت بك الاجيال في انسيابها
يا نبضة الاوتار في ثورة النغم
يا صحوة الاحرار يوم الدجى ألم
رويت شوق النار من مهجة الظلم
فرحت بالقيثار والنيل والهرم
أشدوك يا بغداد ، لحنا شع من توهج الاذان
لموكب الوحدة والراية تحدو زحفه للمهرجان

(٨)

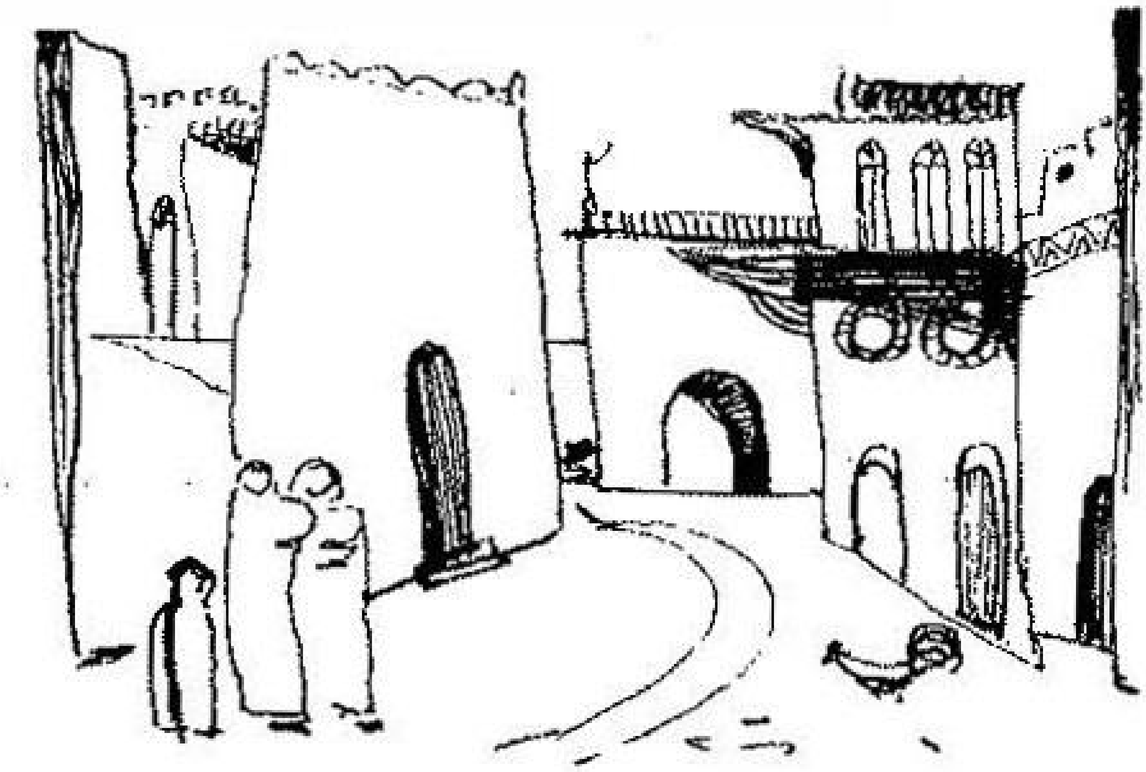
بغداد لو أملك بأس الغيب في توغل الآماد
لو لي على الهبوب في مجاهل القلوب أي زاد
لو منجلي في كف ريح باللهيب أفقها حصاد ..

.. أطفت كالضياء في مسارب الصدور
وكالدعاء المستجير من تردد الشعور
من الخليج للمحيط للدروب .. للثغور

أهوي على الفرقة أين هومت في وطني الكبير
أخطفها من كهفها ، من مزحف المستعمر الضرير
أسحقها في وهمها في سمها ، بوحدة المصير

.. لكنني هدير محلق الجناح
يهزه صرير من أرغن الصباح
فان دعا النفير ودقت الرياح
سيزحف الغدير والناي والجراح

ونلتقي يا عرب الوحدة ، فوق ربوة الميعاد
وبيرق النصر بعيد اللحن في بغداد



اعراس بغداد

نعمان ماهر الكنعاني

أقبل الضاد بآمال اللقاء ... فالبسي بغداد ثوب الخيلاء
وارفعي الفجر خياما فلقد ... جاءك الركب بمرفوع اللواء
واسمعي العلياء في موكبها ... تحمل الشوق على راح الحداء
سعت الريح به مزهوة ... تنطر اليد بعين الغلواء
لم يعد للبيد عيس ومدى ... يسألان الشعر عن ظل وماء
غلب الجو على اطلاحها ... بنسور ادركت سر الفضاء
لا الوجى يقرب من اخفاقها ... لا ولا تعرف ما كد الحفاء
واذا النوء دهاها صرصرا ... خفقته بجناح من دهاء
واذا طال السرى طالت لها ... صولة تطوي السرى طي الرداء
أعفت الشاعر من اوصافها ... ماكثيب الرمل ما وحش الظباء
لو درى عنها عكاظ خبرا ... قال ، مهلا يا دعاوى الشعراء
واذكروا لي غير ما جودتم ... وصفوا لي كيف ارجاء السماء
أو سلوا بغداد عن موسمها ... فلقد ألوى بأيام احتفائي
ما أراني غير تلماح سهى ... عارض الشمس ودفاق الضياء

* * *

ايه بغداد وقد هز اللقا ... ألف سر ضاق دهرا بالخباء
ها هم فيك كما شئت وما ... حلم المجد بأيام وضاء

ها هـم في حلبة الشوق وفي   كل صدر نشوة من كبرياء
حملوا أم اللغى مكسوة   من سنى الايمان من عرف الاباء
تتهادى بين رأى طالع   طلعة النصر وعزم الانتخاء
تتساقاها رحيقا كلما   أومأت يوما بكأس الخلصاء
فسلى الايام عن تسكابها   والليالى باخلات بالسقاء
هل نأت حوضا وجفت منبعا ؟!   لا ومن نادى بها حادى حراء
هي نجوى الله فينا وهي في   صلوات الكون ملهوف الدعاء
تمحل الدنيا ومن سلسالها   تكتسي الدنيا بأبراد العطاء
أي سر ان تقصيت سوى   سرها المحجوب في نور البقاء
ضمت الخلد فان منيّته   ناشد الفرقان آيا للرجاء
واتل منه معجزا الا لها   تر ما أهون مجد الحكماء
يا تعالت سور" كم شامها   شامخ الفكر فخلى للعياء
وهي بنت الوحي اما فصلت   وهي ام الوحي عند الاجتلاء
ها هم كم قبسوا من لمحها   جذوة النصر وآلاء العلاء

* * *

جل" شأن الضاد كم وقى الحمى   حيث لا من دارء أو من وقاء
كلما جاش عداء نحونا   صرخ الضاد بجياش العداء
وأثار النخوة الكبرى على   طالع الزخم وصخاب البلاء
وتلاها سورا باعثة   راقد العزم فلبى للقاء
فاذا العثير زهو وشذا   واذا العيش اغتباط الشهداء
واذا الآمال في اطيافها   حومة تسأل عن درب الفداء
انها الفصحى وهذا عهدها   جل" عن مين وختل ورياء
نسب ما رث" يوما او سلا   رحما في حال جهد او عناء
آهة الفسطاط ان فاه بها   أسمعت كوفان صوت البرحاء

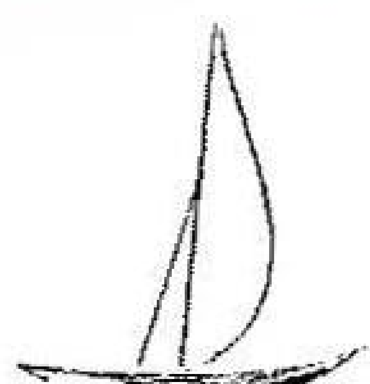
وربى صنعاء ان جفّت سعت ... نحوها وهران بالوبل الزكاء
نسب الفصحى وما غاض العدا ... غيره في يوم عسر أو رخاء
حرة تحنو وهيهات لها ... أن تغضّ الطرف عن جرح وداء
ما على الشانىء ان بات على ... سهد الحقد بليل الادعياء
وأطال المكر مخدوعا بما ... لفق الوهم فغالى في الضراء
حسبه جس الذى اجهده ... نشَما لا غربا بادى الخواء
جربوها قبل حتى راعهم ... أنها فوق منال الافتراء
فاستخاروا بدعا زائفة ... تلبس التجديد مهروء الرداء
تارة وزنا وحرفا تارة ... جهد عان ضاع في كف غباء
سمعت أم اللغى عنه كما ... يسمع الصادح مخنوق المواء
فسمت عنهم وعما هرفوا ... كم حصان أنكرت دعوى الاماء

* * *

حي هلا يا شعراء العرب في ... موئل العرب وبغداد الوفاء
قد حنا النخل لكم هاماته ... معربا للصيد عن صدق الثناء
للملبين لها اعراسها ... كرما يجلو سجايا الكرماء
طرب المجد بكم حتى اعتلى ... صهوة الفخر وعرش الانتشاء
وتناساهن خمسا لم تكن ... غير بغي وظلام ودماء
واجتلى الوحدة تقصي شمسها ... غسق الفرقة عن ليل الظماء
والدجى ، حتى الدجى ، يجلو لكم ... نجمه الحالم بشرى بالصفاء
فانس لي ما كان قربا أو نوى ... أنا منك اليوم في عرس الاخاء
واسقني اللحن كما شاء الهوى ... عربيا في لقاء الشعراء
انها ويك فؤادي منّة ... لليالى عدن من بعد الجفاء
واستعر سمعا الى سمعك في ... عيدها واغفر لها امس التنائي
ما عليها اعتبت اذ عوتبت ... واستجابت اذ اجيبت للنداء

* * *

يا حماة الضاد يا من رفعوا … في ديار الضاد اعلام السناء
وأثاروها لدى الخطب لظى … ولدى الصفو أفانين غناء
جئتم بغداد والفجر على … نخلها المياد نشوان الرواء
فابعثوا ذكرى لياليها التي … يتأرجن بأشذاء الهناء
واستعيدوهن لا وحي أسى … بل سنى مازال موصول البهاء
واذا طالعكم في افقها … غبش طالعها بالاجتراء
فهو من بعض الذى الزمها … أنف الذود وبأس الخفراء
هي درء العرب في مشرقهم … وفلول السيف من فعل المضاء



رسالة الشعر

أحمد الوائلي

لغدٍ سخي الفتح ما نتجسم ... ومدى كريم العيش ما نتوقع
يا خير احلام السنين تجسدت ... بك رائدا يبني وفكر يبدع
انا ان شدا بك مزهري فلانك ... اللحن المحبب والنشيد الاروع
ولأن أهدافنا توحد أودنا ... غمر العروق ونسائج لا تقطع
بالامس والحقد اللئيم يسومنا ... فيجف في يده الاغض الاينع
فابعث بروح منك في تلعاتنا ... لترف مجدبة ويورق بلقع
لسنا بمعهود على أبعادنا ... يبس فدنيانا الربيع الممرع
أي الكرائم ليس في أعناقها ... مما نسجناه العقود اللمع
أم أي وضاء وليس بجذره ... قبس لنا يجلو الظلام مشعشع
سدنا فما ساد الشعوب حضارة ... أسمى ولا خلق أعف وأروع
قدنا الفتوح فما تشكى وطأنا ... فكر ولا دين ولا من يتبع
حتى الرقيق تواضعت أحسابنا ... كرما فأوليناه ما لا يطمع
عفوا اذا جمح الخيال فلم أعد ... للامس أمرى الضرع أم استرضع
لكنها سور جلسوت ليرسم ... الفجر المشرف والاصيل المفجع
وليستبين الشعر أي رسالة ... يدعى لها وبأي أمر يصدع
يدعى الى وطن يشظي خصمه ... أوصاله بيد الهبات ويقطع

والمبتلى ببنيه في نزواتها ... تعطيه مزرعة لمن لا يزرع
ويرد منهوبا ويهدم حاجزا ... ويلم ما قد جزءوه ووزعوا

* * *

يا مهرجان الشعر حسب جراحنا ... ان الهوى مما تعتق يكرع
ولقد نغص لما نقول بأنها ... يلهو بها الآسي ويسخر مبضع
غنى بها نفر فألم حزننا ... في أن يغني باسمها ويرجع
ولشد ما يؤذي الكرامة أن ترى ... صوت المساوم بالكرامة يرفع
هذي رحاب القدس منذ ترنحت ... صرعى الى زعقاتنا تتسمع
تصحو على نوء فتتلع جيدها ... وتراه من خدع السحاب فتهطع
عشرون كفا حرة ما أوقفت ... مهوى يد مغلولة اذ تصفع
ويح التعدد ما أعز ثمارنا ... لو كانت الايدي يدا لا تشفع
الشوط تغرقه السروج وانه ... دون السروج لفارس يتطلع
كنا نهب على الزعيق ومذ طغى ... صرنا ننام على الزعيق ونهجع
فاثر متومة الجراح وقل لها ... ثوري فمسك من يديك ويقلع
لا تشتمن الخطب أو تبكي له ... فالخطب ليس بمثل ذلك يدفع
فلقد شتمنا الرزء حتى اتخمت ... اذ أنه والرزء باق مزمع
لكن تحداه فان اخضعته ... تحيا وان خفت الممات ستخضع
فالمجد يحتقر الجبان لانه ... شرب الصدى وعلى يديه المنبع

* * *

قالوا بأن الشعر لهو مرفه ... وسبيل مرتزق به يتذرع
واذا تسامينا به فهو الصدى ... للنفس يلبس ما تريد ويخلع
ان تطرب الارواح فهو غناؤها ... واذا شجاها الحزن فهو الادمع
فذروه حيث يعيش غريدا على ... فنن وملتاعا يئن فيوجع
لا تطلبوا منه فما هو بالذي ... يبني ويهدم أو يضر وينفع

أكبرت دور الشعر عما صوروا وعرفت رزء الفكر فيمن لم يعوا
فالشعر أجج ألف نار وانتحى فمما يرسخ بعضها أو يقلع
لو شاء صاغ النجم عقدا ناصعا يزهو بـه جيـد أرق وأنصع
أو شاء أهدى الليل في أسماره نغما على الهمس الحبيب موقع
أو شاء أعطى الفكر من ومضاته ما يستنير به الظلام ويلمع
أو شاء رد الرمل من اندائه خضلا بأنفاس الشذى يتضوع
أنا ما عهدت الشعر ان جدت بنا نوب نحلي ما عناه ويقبع
لكنني عهدي به ان اججت حلباتنا يلج الخضم ويدفع

* * *

بغداد يا زهو الربيع على الربى بالعطر تعبق والسنا تتلفع
يا ألف ليلة ما تزال طيوفها سحرا على شطآن دجلة يمتع
يا لحسن معبد والقيان عيونها وصل كما شاء الهوى وتمنع
فاستلهمي هذي الوفود فأنها شمل يلم واسرة تتجمع
وترسمي الركب المغذ ولا تني فالركب أهون ما به من يضلع
واذا لمحت على طريقك عتمة وستلمحين لان دربك أسفع
شدي وهزي الليل في جبروته وبعهدتي ان الكواكب تطلع

* * *

يا مهرجان الشعر مر بأفقنا وهج يفح من السموم ويفزع
بالحقد تسقى ما علمت جذوره وبثوب انسانية يتبرقع
يمشي الى هدف ولو ان الدنا بالموت تغرق والجماجم تزرع
أغرى الخطايا بالنعوت رفيعة ومشى على القيم الكريمة يقذع
فالله وهم والفضيلة كلها ترف وما رسمت وما تستتبع
ما الفرد الا معدة وغريزة ومواهما اكذوبة وتصنع
ومشى بمعصوب العيون يقوده يبكي اذا أوحت له ويرجع

سواه من دنس فماتت عنده فطر سليمات ولوث منزع
وأسف فاحتضن المسوخ بربها حتى تعملق في ذراه الضفدع
حتى اذا الطغيان طاح بأهله ولبابه بغي وأوشك يصرع
ألقى لنا صورا تعدد نعتها لكنها تنمي اليه وترجع
فانهد له بالفكر يخضد جذره فالفكر ليس بغير فكر يقرع
وأغث جياع عقيدة فهمو الى فكر يسدد من طعام اجوع
قدهم الى نبع السماء فأنه عذب وسائغ ورده لا يمنع
واسلك بهم دربا أضاء محمد ابعاده وجلاه فهمو المهيع
وانا الضمين بأنه سيعيدهم ألقا يمت الى السمو وينزع
وسيعرفون بان ما شرع السما يبني الكريم الرغد لا ما شرعوا
غرس الاخاء كتابنا ونبينا فامتد واشتبكت عليه الاذرع

بغداد في عيد الأدب

مصطفى جمال الدين

بغداد ما اشتبكت عليك الاعصر ... الا ذوت وورق عمرك أخضر
مرت بك الدنيا وصبحك مشمس ... ودجت عليك ووجه ليلك مقمر
وقست عليك الحادثات وراعها ... ان احتمالك من أذاها أكبر
حتى اذا جنت سياط عذابها ... راحت مواقعها الكريمة تسخر
فكأن كبرك - اذ يسومك (تيمر) ... عنتا - دلالك اذ يضمك (جعفر)
وكأن نومك - اذ اصيلك هامد - ... سنة على الصبح المرفه تخطر
وكأن يومك بعد الف محولة ... يوم افتتاحك وهو غض مثمر
لله انت .. فأي سر خالد ... ان تسمني وغذاء روحك يضمر !
ان تشبعي جوعا وصدرك ناهد ... أو تظلمي أفقا وفكرك نير

***

بغداد بالسحر المندى بالشذى ... الفواح من حلل النسائم يقطر
بالشاطيء المسحور يحضنه الدجى ... فيكاد من حرق الهوى يتنور
بالسامرين أثابهم من لهوهم ... وهج الضحى .. وكأنهم لم يسمروا
وبراقد و (الخلد) بعض جنانه ... والسحب ملك يديه أنى تمطر
واذا تهدج (بالرصافة) صوته ... جفلت بمصر على صداه (الاقصر)
والحور بين يديه ترتجل الهوى ... غزلا به حتى الستائر تسكر
يرقى لعينيه السهاد لحرة ... في الروم تهتف باسمه وتحذر

فيرد كأس الحب عن شفة بها   شوق الى كأس الحمية أسمر

***

ويساهر (المستنصرية) طرفه   في حيث تأتلق الحروف مسمر
تعبت عيون النجم وهو كأسه   حدب على صقل المواهب يسهر
ظمآن .. والكأس المفاضة دونه ..   لو كان يخدع بالسراب ويمكر
يشوي على اللهب المقدس روحه   ليقيت جيلا حوله يتضور
ويضيع في غمر الدجى ويراعه   احدى عطاياه الصباح المسفر
ما ضر عاطشة القلوب اذا ارتوت   بالعود من لفح اللظى يتقطر
وكفاه مهزولا تعيش بقلبه   أمم وتسمن من حشساه أعصر
تأتيه اجسادا فيصنع روحها   والطين ـ لولاه ـ الكثير الاوفر

***

بغداد بالذكرى الحبيبة بالصدى المرنان من   خلف الاعاصير يهدر
قصي .. فنحن وراء (ألفك) ليلة   أخرى يطول بها الحديث ويقصر
ودعي الخيال (فشهريارك) سمعه   للاذن من صخب الحوادث موقر
وتحدثي ـ فجلال مجدك لا يرى   ان تصمتي وقرى سواك تثرثر ـ :
عن (عصرك الذهبي) ما طال المدى   الا وناصع وجهه المتصدر
تعيى بحليتها العصور ، وتسوطه   ابدا على نشز الحواجز يسفر
ما أخضر من تلع الثقافة منكب   الا ومنك رواؤه يتمطر
وستفخر الاجيال بعدك انها   كانت على بقيا بساطك تسمر
ستظل قينة (دار سابور) بما   أسدت الى (شيخ المعرة) تشكر
ويظل كرم (ابي نؤاسك) بيننا   عذب الخمار وان أجد المعصر
والى غد وبمتن دجلة سامر   مما ينث (الاصمعي) معطر

***

بغداد واستقصي الحوادث واكشفي   غبشا يطوف بصبحها فيغير
وحذار أن تثقي برأي مؤرخ   للسيف ، لا لضميره ما يسطر

وتسائلي عن (معرض) يجلوك في ... ابهائـه صورا تسر وتسحر :
الفكر يجلو دجاك .. وقائد ... يروى به ظمأ الفتوح فتزهر
ومهندس يبني الصروح .. وشاعر ... بنشاه يسرج ليلها ويعطر
ولزارع في الحقل يدفن عمره ... فَتُمَدُّ منه غراسه وتعمر
ومعلم لم يدر شارب كأسه ... ماذا يقطع من حشاه ويعصر
بغداد أولاء الذين تحملوا ... أعباء مجدك في الخلود وأوقروا
فاذا تصفحناك سفر كرائم ... لم نلق الا صورة تتكرر
لخليفة ووزيره ، ولحاجب ... وأميره ، ولمن بهم يتأطر
فهم الذين رفوك مجدا شاهقا ... وبناته من حوله تتحسر
واذا زرعت الارض فجر حضارة ... وتمدن سبقوا لها فاستثمروا
(الخلد) والقبب الشواهق حوله ... ابداعهم .. ويد المهندس تصفر
والفكر تقبسه القرائح من هنا ... وهناك وهي على اللظى تتسعر
فاذا تجسد واستطال جهادها ... صعدوا على شرفاته وتجبروا

***

بغداد آن لك الاوان لتُرجعي ... ما ابتز منك الحاكمون وزوروا
فوراء مجسد برغسون ، فمانر ... تعني مصدق حديثه وتصر
فتقدي (ذهبا) يؤطر عصرك الزاهي بما يعشي العيون ويبهر
هل كان الا من (حديد) همه ... حصد النفوس ليستقر (المنبر)
وتباركت مهج تذوب بحره ... فتشوب كالبح لونه وتحور
بغداد آن لك الاوان لتحطبي ... خشبا بآلاء الشعوب تنضر
ما عاد مجدك يستكين لفاره ... يبتز جهد سواه حين يؤمر
من كل مشغول بليلة قصفه ... وصباح نزهته وما يتبطر
المال بين يديه يطرب أغيد ... ببليغ رنته ويرقص أحور
فاذا تطلع (للسواد) بريقه ... بح الرنين به وغاض العصفر

***

بغداد لم يعد الزمان كأمسه ... فكرا تباع ، وخاطرا يستأجر
وهزيل رأى أسنته على الطوى ... قيم بما يخوى عليه مفكر
فمضت (كوافير) بريشة (شاعر) ... كانت تزوق خدها فتصعر
وتهرأت لغة المفاخر فانطوى ... (لقب) وأوحش لابسيه مفخر
بالامس كان بك الاديب وثغره ... أبدا يسبح حاكما ويكبر
ويعد (رؤيته التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تكفر)
واليوم عاد وليس غير يراعه ... سيف تراع به الطغاة وتذعر
وعلى شموخ ضميره يسمو له ... ما بين أذرع حاضنيه المنبر
وبما تهدم من بقايا روحه ... يبني عزائم جيله ويعمر
واذا دجا ليل القنوط وأوشكت ... باليأس أجفان المنى تتخدر
ألقى بوقدة روحه فاذا الدجى ... مهج على اللهب المخاطر تجمر

***

والآن يا بغداد يأزف موعد ... لك في الخلود قلوبه تنتظر
من كل من اعطاك غض شبابه ... ومضى بذابل عمره يتعثر
يترقبونك في الطريق أمامهم ... جهم المسارب ، ضيق ، مستوعر
يبني الزمان وهم على أطرافه ... عذب - بما تعدينه - مخضوضر
فتعهدي ما يأملون وانعشي ... لقياهم فهم بمجدك أجدر
رفعوك من قطع القلوب وحقهم ... منك الوفاء لهم بما هو أكثر
وفعلت .. والحر الكريم رهينة ... ليد تبادله السماح فيشكر
بالامس وفيت (ابن كندة) حقه ... وعلى سمائك للقطيعة عثير
وغدا سيلقاك (الرضي) ويومه ... ألق بأعياد العروبة مسفر
وأنا الضمين بأن قلبك في غد ... اندى .. وأحفل بالوفاء .. وأطهر
وبأن يومك وهو عيد مروءة ... سيغيض عن غدر الهوى ويكفر

تحية الشعر

حافظ جميل

أضياف بغداد هذا وجه بغداد ... صحائف من بطولات وامجاد
ما حبر الدهر تأريخا كأسطرها ... في لوح خلد ولا في سفر آباد
في كل صدر كتاب من روائعها ... يتلى وفي كل ثغر حلو انشاد
هاتوا الصحائف من عز ومن حسب ... ان كن انداداها أو شبه انداد
ارث العباقرة الافذاذ ان وقفوا ... بين الجبابر كانوا شم اطواد
مآثر الخلفاء الغر ما تركوا ... لسادة الارض رأسا غير منئاد
السالكين طريق النصر ما وهنوا ... من طول مرحلة او بعد آمساد
الرافعين لواء الحق ما فترت ... سيوفهم بين اشهار واغماد
ما شأنهم ويمين الله تسندهم ... أن يشركوا السيف في دعم واسناد
تبارت البيض والاقلام فانطلقت ... لم يثنها طول آفاق وابعاد
اذا نبا السيف في زيغ يقومه ... سل اليراع عليه سيف جلاد
وحكمة السيف في زجر وفي رهب ... كحكمة الله في وعد وايعاد
تبقى العقائد تستوحي شجاعتها ... من غيل افئدة لا غيل آساد
والحرب ساحة آراء وفلسفة ... طلائع الحق فيها خير أجناد
وما الحضارة الا كد أدمغة ... وقدرة العقل في خلق وايجاد
وثروة الفكر طاقات نفجرها ... في غير مصنع بارود وفولاد
لم تحتضن غير أقلام وألسنة ... مشهرات لتهذيب وارشاد

ما أعجز السيف حسن الرأي يعوزه ... وما أظل السري من غير ما هـاد
رب البطولة خلف الطرس مقعده ... لا فوق بارجة أو فوق طـراد
لولا المخلد من شعر ومن أدب ... أخنى الزمان على ذكر (ابن شداد)
حسب اليراعة أن تسقى اذا ظمئت ... من جوف محبرة لا جوف أكباد
وما الحسام بلا دين ولا خلق ... الا النهاية في كفر والحاد
من زيف الحق الا غش أنظمة ... واستعبد الناس الا ظلم أفراد
ومن قضى أن يكون البعض آلهة ... وأن يظل سواهم محض عباد
هاتوا العبيد أقطع كفهم قبلا ... ولا أصافح كف الظالم العادي
أهي الكرامة في جاه وفي نسب ... وليس في عمل مضن واجهاد
ولّى الذي كان أن غنى بمحتده ... خلّى الورى بين عشاق وحساد
فما رفيقك في جهد وفي عمل ... الا شريكك في بؤس واسعاد
أيحسب الجشع المنهوم أن له ... دينا بذمة هذا الجائع الصادي
وأن يعيش أخو اللذات في رغد ... والكادحون بلا مأوى ولا زاد
بئس الشعار شعار العدل يرفعه ... باغ يعيش على مجهود أنكاد

***

أضياف بغداد أوجزتم زيارتكم ... عدوا بطول زيارات وترداد
طوفوا ببغداد لايلهب مشاعركم ... ما شاقكم من حديث الرائح الغادي
واستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها ... بما شهدتم وكونوا خير أشهاد
بغداد هذي أم الدنيا وما شهدت ... مواكب الفتح من عرس وأعياد
بغداد هذي ام الفردوس ناشرة ... أعلامها بين مفترّ وميّاد
بغداد هذي ومن أولى بتكرمة ... منها طوال المدى أو عيد ميلاد
وتلك دجلة أم عذراء حالمة ... تضاحك النجم عن فضيّ ابراد
جرت على صفحة الوادي مطارفها ... فسحسح الخير يسقي ساكن الوادي
كأنها وجناح النخل يحضنها ... فجر تلألأ في اكناف اوراد

ساحت على القفر فأخضرت جوانبه ... فالناس ما بين رواد ووراد
من فيض السحر (للمنصور) فانتفضت ... كفاه عن كوكب في الارض وقاد
ومن أحال كثيب الرمل زنبقة ... تناظر الشمس في حسن وآراد
تلك الاميرة لولاها لما هتفت ... في البيد قافلة أو ردد الحادي
تسنمت مفرق الشطين وأنتصبت ... برجا لسارين أو ركنا لقصاد
وغصّ بالنزل واديها فما برمت ... بمستظل ولا ضاقت بمرتاد
سليلة المجد لم يثلم كرامتها ... ما ضامها من سلاطين وقواد
طالوا عليها سنا عزّ فكان لهم ... عين القضاء وكفاه بمرصاد
ورب عشاق أمجاد مزورة ... حلّ الفناء بهم من غير ميعاد
تقلدوا شارة الاحرار واحتجزوا ... لسيفهم كل حر غير منقاد
وأي حرية تلك التي نشأت ... في قعر سجن وعاشت بين اصفاد
حرية المستبد الفظ أيسرها ... اعداد معتقل أو نصب أعواد
لا نام حارس بغداد ولا عدمت ... اغيار أسد عن الاوطان ذواد
تداولتها يد الاشرار فأعتصمت ... بفتية سبق في الموت انجاد
من حاملين ذمام العهد في يدهم ... ومن مضحين بالارواح أجواد
والمكرام حميات اذا احتدمت ... فليس تسكن في كبت واخماد

***

نشء العراق وحيا الله ناشئة ... توارثوا العز عن احرار اجداد
جال المفرق فيكم يبتغي قنصا ... فحاذروا أن تكونوا طعم صياد
لم يخل تاريخكم من بث تفرقة ... قام الخصوم بها أو زرع افساد
فمحصوا وجه اعداكم فقد نسخوا ... روح الابالس في سيماء زهاد
روح الشعوبية النكراء ما برحت ... حربا على الله والاسلام والضاد
وبادروا فاجمعوا أشتات صفكم ... فما خلقتم لاضغان واحقاد
انتم بنونا ونبع من حشاشتنا ... وما نبدل أولادا بأولاد

ما عاق اعداءكم والخلف ديدنكم ... أن يضربوا الكل آحادا بأحساد
وكيف يسفر عن نصر جهادكم ... ان فاتكم حسن تنظيم واعداد
صرح الحضارة ما شيدت دعائمه ... الا على فتية كالجن مراد
والشعب بالعمل الجبار قدرته ... لا في مدى رقعة أو كثر تعداد
ألم تعظكم فلسطين ونكبتها ... بسائرين الى الاعداء أضداد
ألم تركم ضحاياكم وما نثرت ... في ساحة المجد من هام واجياد
ملء القفار جراحات مجلجلة ... أصداؤها بين أغوار وانجاد
تلك الجراح وما من بركة نشفت ... ولم تجد من دماها خير أمداد
تلك الجراح ومن يطفي حفيظتها ... من بعد ما احتدمت من طول ايقاد
نشء العراق الا فانضوا عزائمكم ... فالعصر عصر وغى لا عصر اخلاد
هيهات ينصفكم في ضعفكم أحد ... من حاضر في فجاج الارض أو باد
وعبئوا من قواكم كل طاقتها ... فحسبنا طول ارعاد وازباد
وحققوا الوحدة الكبرى لامتكم ... فما الحدود بأسوار واسداد
حسب التعاطف بالافكار رابطة ... فكيف لو كان في روح وأجساد
أي القباب سمت من غير أعمدة ... وأيهن استوت من غير اوتاد
تعيا الاكف بأدنى ما تحملها ... لولا تظافر أكتاف وأعضاد
نشء العراق الا لا فاتكم أبدا ... حرص الغيور وبذل المخلص الفادي
ولا هدأتم ولا نامت عيونكم ... عن الطغاة ولا ضاقت بنسهاد
عين العروبة ما زالت تلاحظكم ... هيا أعيدوا لها أمجاد بغداد

في مهرجان الشعر

خالد الشواف

عوجوا على عدوة الوادي نبشره   فمنبر الشعر في بغداد منبره

قولوا (لعبقر) هذا المهرجان له   فالشعر من عنصر في المرج عنصره

أعياده اليوم عادت بعد ما طويت   حينا من الدهر أغفى فيه مزهره

تلمس الوتر الغافي فنبهه   وراح بالسلسل الصافي يفجره

بقية من بنيه ، فهو يوثرها   بمعجزات القوافي وهي تؤثره ،

قامت مهارجها بالامس فانتظمت   في الشام ، كالعقد يسنى فيه جوهره

وجاءت الطير تشدو في خمائله   وحطت الورق تصبيه وتبهره

ومال بالخمر من ترجيعها بردى   فكل قافية صهباء تسكره

حتى اذا نعقت في الايك اغربة   رأيت أطياره والورق تهجره

وأقفر الروض من طير يساجعه   وصوح الغصن من زهر يعطره

وعاد ما كان يصبي الليل من نغم   هذا النشيج الذي دمعا يقطره

وارهف الليل في بغداد مسمعه   والوتر يومي له والثأر ينظره

فاطلع الشمس،شمس الغيظ،صاعقة   هوت على (هبل) صبحا تدمره

حتى اذا عاد ليل رائق ألق   يسامر النجم فيه من ينوره

نادى بغداد ، هاك الشعر .. فاحتفلي   كما يموج به في البيد عبقره

فطاف بالنهر حلم من (رصافته)   ومن (عيون المها) و (الجسر) يسهره

ومن مجالس بالسمار حالية   في (الكرخ) والفجر يدعوها فتنهره

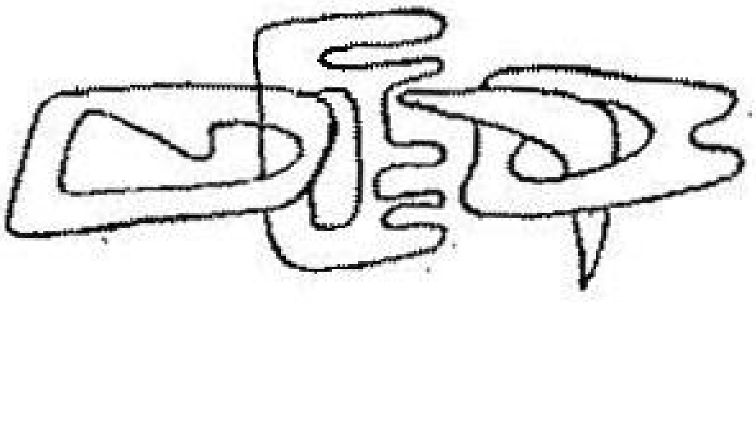
وطاف بالنهر حلم من هوى عبق ... ضاعت به قافيات الشعر تنشره
كأن صاحب (فوز) حين أرسلها ... أزجى بقلب قوافيه تؤطره
وطاف بالنهر مفتون يذوب جوى ... (بعتبة) وهي تجفوه وتهجره
وما تنكر للدنيا وبهجتها ... لو لم تكن (عتبة) دنياه تنكره
وطاف بالنهر غصن غير منقصف ... وان يكسن دق واستوفى مخصره
بينا يتيه دلالاً يتثنى مرحا ... اذا (صريع الغواني) قام يهصره
وطاف بالنهر كرم عند منقطع ... في دير (كلواذ) يجنيه ويعصره
فان أفاق الندامى من معتقه ... مال (ابن هاني) وتل الزق ينحره
وطاف .. (هارون) والدنيا تطوف به ... في موكب يبهر التاريخ منظره
يسعى الى (البيت) أو يغزو،تحف به ... راياته ومواضيه وعسكره
يغشى السماء بريق من سوابغه ... وبيضه ، وترج الارض ضمره
فان سعى ، فندى كفيه مستبق ... الى (العتيق) وخوف الله يعمره
وان غزا فالحتوف السود تسبقه ... الى العدى ، والفتوح البيض تحضره
أو عاد .. فالبشريات الغر سابقة ... بالنصر يخفق تياها مؤزره
وان أقام .. أقام الشعر محفله ... وبادر (الموصلي) العود يوتره
واقبلت طرف الاعراب لائذة ... (بالاصمعي) تسليه وتسحره
ولألأت حكمة الدنيا بمجلسه ... من انجم عبقريات تنوره
سل الغمامة اذ ضنت بمزنتها ... أأبصرت غيره في الارض تمطره ؟
وسل (زبيدة) عن هارون معتكفا ... يتلو الكتاب .. ألم يخضل مئزره ؟!
خليفة الله .. عرس الدهر مدته ... لم يعرس الدهر كسراه وقيصره
وتأخذ النهر من احلامه سنة ... ويرجع الليل بالاحلام يغمره
ويرجف الماء صوت من (عمورية) ... لبى (نجيد بني العباس) يثّره
فكان للخيل في الميدان عثيرها ... عند اللقاء ، و (للطائي) عثيره
وانساب والموج لحن هاج غيرته ... يغازل (البركة الحسناء) مزهره
وكاد يعتب لولا ان يبكي حزنا ... (للجعفري) عشاء ارتاع جؤذره

ويرهص النهر بالبشرى، وقد ازفت ... نبوة الشعر ، ارهاصا يحيره
أحسه عند حوضى قائما ، وله ... حوض سواى يرويه ويصدره ..!
ما للشقيق (الفرات) العذب مكتتما ... أمرا بشطيه يخفيه ويضمره ؟!
وتسبق (الكوفة) السمراء ضرتها ... وتهرع الجن للوادي تبشره
فقد أطل على الدنيا ليملأها ... ويشغل الناس بادى الوجه اسمره
وترقص (النخيل) عاصيها وطيعها ... ويضحك (الليل) داجيه ومقمره
وتهزج (البيد) حاديها وأينقها ... ويكتسى (الشعب) أفوافا تنضره
وترقب (الحدث الحمراء) معجزة ... اذا الردى هدرت بالموج ابحره
ويستحيل أسى بغداد مفخرة ... وقد رأت (حلب الشهباء) تكبره
وتستطيل على الدنيا به حلب ... وبالذي ألهم الاعجاز مفخره
سيفان .. هذا بنو حمدان تشهره ... على الاعادي ، وذاك الشعر يشهره
يا مودع الحكمة العليا شوارده ... نم ملء جفنيك .. نحن الليل نسهره
ويفغم الشط من أرض الحجاز هوى ... مهذب البث ، صافيه ، معطره
تضوع ريح الخزامى وهى تحمله ... عن (الرضى) وتندى وهى تنشره
ويحلم النهر .. حتى الفجر، مذكرا ... ويقبل الصبح ، مزهوا ، يذكره
اليوم .. يوم القوافي .. فاستعد له ... ويمسح النهر جفنيه .. ويذكره
اهلا ، وفود القوافي ، في مدورة ... يطوى القريض فتحييه وتنشره
لا يظمأ الشعر في أرض ويقصدها ... الا ويرويه في بغداد كوثره
فالشعر دجلتنا السلسال مورده ... والشعر دجلتنا المختال مصدره

* * *

يا اخوة الشعر .. هل تمت مناسكه ... وثم كعبته الاولى ومشعره ؟
وثمة الحرم اللائي يراد لها ... ان تستباح ، وبيت كان يخفره ؟!
اليوم ، والقدر الاعلى يهيب به ... لوحدة ، وجلال الصوت يغمره
تفيض بالدعوة المثلى مقاطعه ... وبالجهاد قوافيه وابحره
وامة الضاد شعر جل ناظمه ... عقدا ، وتبت يد عسراء تنثره

والشعر آهة شاد عند رابية ... اذا الاصيل أهاج الشجو عصفره
والشعر صرخة ليث دون مورده ... اذا تسلل وهنا من يكدره
والجو حالان من صحو ومن صخب ... أطياره فيهما انتم وأنسره
ولست أنسى لكم ، والافق محتدم ... والنوء يهطل بالبارود ممطره ،
كيف انقضضتم على الباغي، مناقركم ... تؤرت الحقد انشادا وتسجره
وكيف كانت قوافيكم تعد له ... قبرا على فرضة (الميناء) تحفره
وكيف بالعار وارته ملاحمكم ... في (برسعيد) ، ووارت ما يدبره
وكيف غنيتم (الاهراس) فانبجست ... اعراقه بدم حر يطهره
واليوم تدعو بكم في (القدس) دالية ... عنقودها غير ساقيها يعصره
وفي الجنوب يناديكم طليل دم ... جرى على الرمل لم يؤخذ مفجره
وأنتم الناس أوتارا ، وكم وتر ... أحمى على القيد بالانغام يصهره



بين الشعر والغناء

اكرم احمد

سلسل غناءك طاب الليل والسهر … والانس والكأس والانغام والوتر
وعاطنا من سلاف الطير صافية … اريجها في نواحي الليل ينتشر
يا بلبلا عذبات الشعر ايكته … وساقيا من حميا لحنه السكر
ادر كؤوسك فالارواح ظامئة … الى مروقة من فيك تنهمر

* *

حييت يا شادي الوادي وسامره … اذا تألق ناد او حلا سمر
بشدوك العذب والاقداح راقصة … من الشجيين نار الشوق تستعر
فلا عشياتنا تنسى وان بعدت … بنا الديار ولا الاصال والبكر
مازلت اذكر عند الواد مجلسنا … والنجم يجنح والشلال ينحدر
وانت تسكب في اسماعنا نغما … عليه تستيقظ الاحلام والذكر
ترنو اليك نجوم الارض مصغية … وينحني لك من عليائه القمر
ود الندامى وقد غنيتهم سحرا … لو ان كل ليالى عمرهم سحر
رنحت اعطافهم من نشوة طربا … حتى لتحسبهم جنوا وما شعروا
اما تراهم وقد نحوا كؤوسهم … باللحن من صوتك المعسول قد سكروا
كأنه هادئا او هادرا وتر … تحت الانامل من كفيك يهتصر
ازريت بالكرم اذا رقرقت اغنية … والعاصريه وبالخمر التي عصروا
وبالسقاة فعافونا وقد جمدوا … كأنما انت هاروت به سحروا

* *

ناجيت ليلك في طول وفي قصـر — من آهة الوجد نعم الطول والقصـر
كم اهـة كاللظى حرى تصعدهـا — على حواشى الدجى من لفحها اثـر
كأنهـا وشجى اللحن ينفثهـا — تحت الدجى كبد من فيك تعتصـر
وآهـة كالصبا المعطار ناعمـة — الليل كالروض من انفاسها عطـر

* *

ما اروع الحب دنيا سرها عجـب — نجوى العيون حديث منه مختصـر
واصدق الحـب ما اضنى وآلتـه — ما صور الوجـه او ما حدث النظـر
للشـعر للحب للاشواق لاهبـة — ما غـرد الطير او ما ردد النهـر
من بعض الهامهـا ما انت تبدعـه — فغن عالمه مـا انت تبتكـر
يا ناثر الشعر انغاما مسلسـلة — غنى من الشـعر اذ غنيته وتـر

* *

عنادل الشعر حيا الشعر موكبكم — وامة بالتراث الضخم تفتخـر
رفت خمائل بغـداد فكل ثـرى — عطـر يضوع وغصن مورق نضـر
لما نزلتم عـلى شـطآنها احتفلـت — عرائس النخل والاطيار والغـدر
شدا لكـم كل طير فـوق ايكتـه — وهـز من طرب اعطـافه الشـجر
عنـادل الشعر هذا اليوم يومـكم — لحفظ ما شـيد الاباء او عمروا
شكيـة الشعر طابت من اذى نفـر — جاروا عليـه بما قالوا وما نشـروا
قد شوهوا حسـنه وزنا وقافيـة — ثم ادعـوا ان ما قالـوه مبتكـر
ضلوا السبيل واذ طال المدى وقفـوا — لا يهتدون الى قصد وقد حصـروا
قالوا شعرنا فابدعنـا وما علمـوا — بأنهم مسخوا المنظوم بل نثـروا
بيت القريض تعـالى الصرح بنيتـه — الى الدعائم والاركـان تفتقـر
بين الاصيل وبين البـدع معركـة — ولن يكون بها للاعـزل الظفـر
الشـعر عاطفة بالحـب دافقـة — تغنى الحياة بما تعطى وتزدهـر
اذا اطمأن فكالانسـام نافحـة — او استثير فكالبركان ينفجـر

وما البلية الا ان يمارسه ... من عدتاه عليه العي والحصر
وملهموا الشعر هل كانوا سوى قبس ... من نور ربك لولا انهم بشر
عي الملها منهم للخير موعظة ... بالشعر او حكمة في طيها عبر
رسالة الشعر وحي من عقيدتهم ... لنصرة الحق بعد الله تدخر
هم الطلائع ان ريعت مواطنهم ... ثاروا وان ضيم احرار الحمى ثاروا
للفكر والرأى والتدبير مرحلة ... وراءها تلمع الصمصامة الذكر

* *

ومدع ظن نظم الشعر الهينة ... لا اللفظ متسق فيه ولا الفكر
مشى الى العين ظمآنا بمظلمة ... فالتاث فيها عليه الورد والصدر
من مبلغ ادعياء الشعر مالكة ... من شاعر لهم في طيها نذر
وعصبة سخرت للمذب السنها ... عن الالى من اصيل الشعر قد سخروا
لا تستثيروا بما يؤذى حفيظته ... فثورة الشعر لا تبقى ولا تذر
يظل ملء فم الاجيال خالدة ... شغل الرواة ويفنى اللغو والهذر
من قبل الف شدا في البيد شاعرها ... فرددت شعره الاجيال والعصر
تفسست في خزاماها قريحته ... كما تنفس في آكامه الزهر
غناه في خمر الوادى وربوته ... والمنحنى فرواه البدو والحضر
مستعذب الجرس فيه نفحة عجب ... طابت بانفاسها الاخبار والسير
الم على البيد واسأل من مضاربها ... هل عن قديم هوانا عندها خبر
في رملها ولياليها وسامرها ... تظل ماثلة من قيسها صور

تحية للعراق

كريمة زكي مبارك

يا مزمعا سفرا الى بغداد ... بلد السلام وموطن الامجاد
ان جئت قلبك بالمحبة مفعم ... ورأيت نهر الخير والاسعاد
فهنا العراق منابع العلم الذي ... قد خلد الماضين من أجدادي
أنا لا أردد ما أقول تباهيا ... فحوادث التاريخ من اشهادي
تحكي عن المجد التليد لامة ... بقيت مآثرها على الآباد
بغداد حاضرة الرشيد ومجده ... تهى على الدنيا بذكر ناد
بغداد • يا دار السلام ولحنه ... غنى لـه حتى يرد الحادي
ان العراق نضاله انشودة ... أشدو بها لحنا الى أولادي
يا قاسم الشعب العظيم بحربه ... نشر السلام لواءه للفادي
في غفلة الدهر انتهجت سياسة ... قامت على الاضغان والاحقاد
أيامك السود القراين بعد ما ... زالت تلألأ مجتلى بغداد
مثلت بالبلد الكريم وأهله ... وشويت أفلاذا من الاكباد
وترى العراق تقدست ذراته ... من طهر ما يحوي من الاجساد
فيه الدم المسفوك سال فيا ثرى ... رفقا بأزهار ذوت في الوادي
شهداء مصر يقدمون تحية ... حبا الى الشهداء من بغداد
بطل العروبة أنت • يا شعب العرا ... ق وجيشه • يا صفوة الاجناد

بغداد قاهرة العوادي والعـــدا ... وهي القذى في أعين الحساد
بقيت على مر الزمان جليلـــة ... وسمت عـــلى الاشباه والانداد
سبحانه القهـــار • كرم عبـــده ... عبدالســـلام فكان فخر الوادي
وأفاض منـــه رضـــا يزوده التقى ... ورضـــا الاله لـــه هني الزاد
وحبـــاه هـــديا فالعراق به اهتدى ... وسما بحكمتـــه فرد العـــادي
وصـــفا له السود الكريم فزاده ... ســـندا يدين برأيه وينادي
بالحق يأخذه الضعيف • ويرتوي ... من نبعـــه • ظمأ الشريد الصادي
عبدالســـلام وناصـــر أهداهما ... للعـــرب ربي خـــيرة الرواد
بوركتما وبقيتما ســـند الحمى ... لبـــلادنا يا أعظـــم القـــواد



بغداد

احمد السقاف

عصف الهوى بحصافتي ووقاري ... فكشفت بعد تكتمي أسراري
بابي التي ملكت علي مشاعري ... بجمالها ودلالها السحار
الكاعب المكسال ترفل في السنى ... وتضوع عن أرج لها فوار
سارقتها النظر الخجول فسددت ... سهما ، فكنت كلاعب بالنار
فاذا الفؤاد صريعها ولطالما ... صرعت خلي القوم ذات سوار
والمرء ان لقي الغرام مبكرا ... لقي العذاب وعاش رهن اسار

●○●

ما أنس لا أنس المعظم زاخرا ... بالغيد والأمواه والازهار
يجلو الهموم عن القلوب بحسنه ... فيزيد في حسن وفي اعمار
وله مع الآصال أجمل منظر ... بظهور أسراب من الاقمار
يخرجن للشط الرحيب لنزهة ... وكأنهن حمائم وقماري
لكن في ألحاظهن بواترا ... فحذار من نظراتهن حذار

●○●

لا أكذب العذال اني مدنف ... هيمان ليلى عابس كنهاري
لم أنس طلعتها ولا قسماتها ... ومن المحال تغيب عن أفكاري
فسلوا الصليخ لعله متذكر ... ما كنت اودعه من الاسرار
وسلوا حدائقه التي عطرتها ... بالحب والآهات والاشعار

كم ليلة مرت علي كأنها ... حلم ويكفي انها بجواري
أحكي لها قصصا تلذ سماعها ... وتلذ أن تروى على قيثاري
وتهزها قصصي فتنسى وقتها ... فأطيل في قصصي وفي اخباري
وأطيل في وصفي الجمال لأنه ... وحيي ومنه ـ اذا سكرت ـ عقاري
حتى اذا ابتسم الصباح وازعجت ... بصفير شحرور وصوت هزار
نهضت وأرخصت الدموع وأقسمت ... بالحب ان أوارها كأواري
لكنها تخشى افتضاح هيامها ... كيلا يشوب الحب أي غبار
تلك الحياة وما علمت بأنها ... ستمر كاللمحات للابصار

●○●

يا بنت بغداد التي تيمتني ... بهوى خلعت له ـ فداك ـ عذاري
وافى كتابك فامتطيت سحابة ... وهبطت بين أحبة أخيار
فدعي العتاب فقد ظللت مقيمة ... في القلب رغم فدافد وقفار
وأروي أحاديث الكفاح وشنفي ... أذني بأحداث صنعت كبار
أين الاولى نكبوا العراق بحكمهم ... ورموا مدائنه بكل دمار
الناصبون من الجنون زعامة ... والهاتفون لجاهل ثرثار
والمطلقون حبالهم لزعانف ... جعلوا الحبال لهم أجل شعار
والراكضون الصائحون كأنهم ... أجناد هولاكو أتوا لضرار
والعابثون بوحدة وطنية ... كانت على الايام خير منار
والشاربون من الدماء وقد غدت ... تجري بما اقترفوه كالأنهار
من كل امعة وكل مضلل ... يسعى الى التخريب في اشرار
يأبى الوفاء وليس في قاموسه ... ألفاظ معروف وحرمة جار
ملأ العراق مأتما وأباحه ... للرعب والنكبات والاخطار
مد تداركه الاله بجزره ... من بعد ما تعبت يد الجزار
فاذا الاسود تهب من نكناتها ... وعلى طلائعها أبو الثوار
الباعث الأمل الكبير بعده ... لزوال مغتصب وعودة دار

شعب العراق اليسك ألف تحية مقـــرونة بالــــود والاكبـــار
ما كنت غـير مكافح ومناضـــل ومقـــارع للمظلـــم في اصـــرار
ومحطـــم لسياســة رجعيـــة خرقاء قد باءت بكل بـوار
لم يستطع تغيـــير نهجك حاقـد رضي المسير وراء الاستعمار
هذي فلسطين تطـــاول كربهــا تشكو عصـابة ذلة وصـــغار
عاشت بأمجـــاد الجدود ولطخت غدوا كرامتنا بأبشـــع عـــار
والعـــرب ان نكبـوا بقـادة نكبـة فاليوم يوم الزحف يوم الثـــار
هيهات نتركهـــا وتترك شــعبها تحت الخيـــام لرحمة الاقــدار
ومن الجريمة أن تذوق ســعادة حتى نطهـــرها من الفجـــار
فأعد آســاد الفـداء فانمـــا تدنو الحقوق لقـــاطع بتـــار
واهزم أراجيف الضــلال فانهـــا بالوعي لا تقـــوى على استمرار
واهنـأ بعهـــد تعاطف وتراحـــم وانعـــم بانتـــاج وباستقرار

●○●

شعب العراق وللحديث بقيـــة تهـدى من الاحـرار للاحـرار
هل جاءك النبـــأ العظيـــم بثورة عربيـــة الايراد والاصـــدار
وهل العـــدو أذاع من أنبـــائها ما ليس ينفعه ســـوى الاقـرار
ان الذئاب الحمر قد خطبوا العلى بدم ، كما ترجو البطولة ، جـــار
والعرس في ردفان قصف مدافـــع وقنـــابل تلقى بلا انـــذار
وحصـــاد أرواح وهدم منـــازل وعويل نسوان وندب جواري
وبـــكاء أطفـــال تشتت شملهم نزلوا على جوع ضيوف صحاري

●○●

شعب العراق ، وأنت غـــير مقصر في حالـــة الايســار والاعســار
كن للعروبة حيث كنت من المنى واســـلم بعون الواحد الجبار

أرض الميعاد

شريفة فتحي

انصت معي ، ما سر هذا الأنين ؟ ماذا تقول الريح لليل الحزين ؟
والبدر في عليائه مستغرقا يصغي اليها في خشوع العابدين
والأفق ظلله السحاب فبات مكتئبا عبوس الوجه مربد الجبين
والبحر خلف التل يشهق ثم يزفر في أسى ، ويفيض بالدمع السخين
ونواح ناي خافت ينساب في رفق كشدو الطير أضناه الحنين
وبكاء طفل جائع مستوحش وسعال شيخ هده المرض اللعين
ونباح كلب ضائع وعواء ذئب طامع يسعى الى صيد سمين
وبصيص ضوء لاح يلهث في الدجى يبدو هنا وهناك من حين لحين
يلقي الظلال كأنها الأشباح ترقص ، في الظلام على خيام اللاجئين
وترامت الصحراء في حضن السما تعلو وتهبط كالخضم المستكين
كثبانها تبدو كأمواج غفت وطوت بأعماق المدى شر السنين
ورأيتها كالطيف تخطر نحونا معتزة تختال في زهو رزين
حسناء ناضرة الصبا وكأنها ليست كأهل الأرض من ماء وطين
وسألتها عن أمرها ، عن أهلها قالت وفي نبراتها حزن دفين
كانت لنا دار هناك على الحدود تحفها أشجار زيتون وتين
كنا نعيش كغيرنا في أرضنا نجني ونزرع في سلام آمنين
لا نعرف الاحقاد أحرارا كراما بين جيران وأهل طيبين
ومضى الزمان مسالما والريح تدفعنا ونحن مسلمون لها السفين

حتى أصاب ظهورنا في ليلة نكراء سهم المعتدين الآثمين
نزل البلاء بنا فقاومنا وجاهدنا جهاد المؤمنين الصابرين
قمنا ندافع دون أسلحة بكل كياننا لنرد كيد الكائدين
لكنها كانت مؤامرة مدبرة ولم نفطن فطوقنا الكمين
واذا بالاستعمار يجثم فوقنا ومضى يمزق وحدة البلد الأمين
سلب الحقوق بلا ضمير رادع لم يثنه شرع ولم يحفل بدين
فسطا على أوطاننا واغتالنا غدرا وشتت شملنا في العالمين
ومضى ينكل بالشباب وبالشيوخ وبالنساء والصغار الوادعين
فقضى أبي وكذا الأشقاء العزاز استشهدوا ومضوا بركب الخالدين
وتشردت من بعدهم أمي الحبيبة ثم ماتت في سجون المجرمين
ولكم بكت وبكت فلسطين السليبة ملء أعينها على خير البنين

●○●

ورأيت في نظراتها حقدا يزمجر، رغم صوت سافر عذب الرنين
قالت أرى والله مهزلة وكم للغرب يا أختاه من أمر مشين
عجبي !! أيعقل أن يزج الليث في جحر وهذا الذئب يمرح في العرين
مهلا، وان ترضى الذئاب فهل ترى ترضى الأسود بذلك الوضع المهين
واستدركت في عزة والله لا يا ويلهم من وثبة الليث الطعين
وتوعد الاصرار في قسماتها واستطردت في غضبة الحر السجين
قسما بهذا الشعب بالشهداء بالارض السليبة سوف نفني الغاصبين
سنعود يا بلدي الحبيبة سوف نرجع سوف نرجع رغم أنف المعتدين
سنضم شمل صفوفنا شمل العروبة شمل وحدتنا على صدق اليقين
وندك معقلهم سنسحقهم سنصرعهم سنثأر للعزاز الراحلين
فهناك موعدنا هناك سنلتقي حتما لنرفع راية النصر المبين
لتعيش يا وطني لنا حرا كريما خافق الاعلام مرفوع الجبين

بغداد

أحمد اللغماني

عرفتك ـ بغداد ـ منذ اكتشفت بأني منك ، وانك مني
فعشت بأخيلتي واقعا وان لم يكحل بمرآك جفني
وما كنت اسطورة في خيالي ولا كنت وهما يخامر ظني
فاني بنيتك في خاطري وأفرغت فيك روائع فني
بنيتك من لبنات الهوى ودعمت من صهوتي كل ركن
وخططت في خطرتي كل حي وهندست في وحدتي كل حصن
ومددت بين المباني الدروب وظللتها بالوريف الأغن
حملتك في منطوى فكرتي وضمك من خافقي خير حضن
حملتك كلا بأجزائه فما غاب جزء ولا ند عني
أراك اذا ما تسربلت ليلي واما تلحف بالصمت كوني
وأغمض عيني فأبصر ما فيك ما في مغانيك من كل حسن
وأعرف كل طريق أرود وأعرف ما ضمه كل سكن
رأيتك ـ بغداد ـ رؤيا اليقين ورؤياي صادقة لم تخني
فتيمتني ، وفتنت الجوانح ، من قبل أن تفتني المقلتين
عرفتك ـ بغداد ـ منذ اكتشفت بأني منك ، وانك مني

أتيتك ـ بغداد ـ أركب شوقي — أخف جناح ، وأسرع متن
يدف بركبي غرام ملح — ويدفعني لك حب معن
تحيرت لما اعتزمت الرحيل — وساءلت نفسي فما أسعفتني
بماذا أجيء ؟ وأي الطرائف — ترضي ؟ وأي النفائس تغني
أأحمل من رمل شطآننا — صراح النضار ، ومحض اللجين
وأذرو على ضفتي دجلة — فاجمع ما بين خدن وخدن
وهل أنتقي لك أنضر زهر — تفتح في غصنه المتثني
من الورد ، والفل ، والياسمين — فانثر في كل سهل وحزن
وهل أغتدي (للعتابا) بلحن — هو السحر في نبرات المغني
بنغمة (مولوفنا) المغربي — بهمس الخمائل في الجنتين
لقد ظل دهرا يناجي فراديس أندلس بين نسيم وغصن
وحطت على الروض ذات صباح — مناقير نحس ، وغربان بين
ففر مهيض الجناح طريدا — وحط بتونس جنة عدن
وهل لك ـ بغداد ـ في نور فجر — تبلج بين قتام ودجن
وأشرق من جبهة حرة — فأعظم به هبة دون من
جبين أشم ، عطاء عريض — يجود الزمان به بعد ضن
جبين (الحبيب) ابتسامة حظ — وومضة نور ، ووثبة مزن
يفديه مني أعز عزيز — بقايا شبابي ، وانسان عيني
هو الفجر ـ بغداد ـ سرنا عليه — بعزم جديد نشيد ونبني
هديتنا لك ـ يا أخت تونس ـ — من كد تونس لهشة أين
وايمان تونس أن المطامح — تدرك بالجهد لا بالتمني
مصير ابن آدم رهن يديه — وما الحظ الا أباطيل مين
(هو القدر الحتم) قال القنوع — بلقمة ذل وجرعة غبن

عقيـــدة من خربوا دورهـــم ... بأيديهـــم فقضـــوا مرتـــين
عقيـــدة عجز ، وشـــرعة ذل ... وتقوى نفـــاق ، وايمان جبـــن
أســـاطير قد خـــدرت عزمنـــا ... رمتنـــا بضعف ، دهتنا بوهـــن
فأقـــدار ربي ـ وسبحان ربي ـ ... ليست قضـــاء يبيـــد ويفني
ولـــكنما هي أعمالنـــا ... عليهـــا نـــكافأ وزنا بـــوزن
وكل امرىء حظـــه في يديـــه ... ومن جنس ما يغرس المرء يجني

●○●

براني الذي برأ الـــكائنات ... ولا فـــرق بـــين البرايا وبيني
ولـــكن براني بروحـــي وقلبي ... وفتق فـــكري ونـــور ذهني
وفتـــح عيني لأختـــار دربي ... هداني ولـــكنه لم يقـــدني
وحمّلني تبعـــات اختيـــاري ... فخيّـــرني أحـــد المسربين
مشيئته أن أخط مصـــيري ... وأبني حظـــي بالساعـــدين
فلست اذن ريشـــة في الرياح ... تطوحهـــا السافيات وتـــدني
وما عبثـــا جئت هـــذا الجـــود ... وليس اتفـــاقا مجيئي وظعني
ولـكنني قـــد أتيت لأمـــر ... فلي فيـــه شـــأن وأعظم شـــأن
اذا ما مررت بهـــذي الحيـــاة ... ولم أعتصـــرها لأمـــلأ دني
اذا لـــم أنل بعنـــادي نصيبي ... اذا هي ـ في مطمحي ـ لـــم تطعن
فلست اذن فـــوق هـــذا الأديم ... ســـوى ميت لم يكـــرم بدفـــن
أتيتك ـ بغداد ـ في فجر عهـــد ... من الوصـــل يبهـــج قلبي وعيني
البي النـــداء الذي أرســـلته ... العروبـــة يرزم في كـــل اذن
نداء التـــداني لترميـــم مجد ... يعـــاني البلـى منذ قرن وقرن
تضـــافرت اليوم طاقـــات قومي ... لترميـــم كل جـــدار وركـــن
هي الوحـــدة المشتهاة ، وكنـــا ... نعلـــل أنفســـنا ونمني

بما كان في وهمنا مستحيلا ... فدعني وما يزعم الوهم دعني !
اذا صح رأي وصمم عزم ... فلا وعر يخشى ولا صعب يثني
وما المستحيل سوى لفظة ... من اللغو جوفاء لا شيء تعني
وان الحياة انتفاضة ساع ... وليست طمأنينة المطمئن
أتيتك ـ بغداد ـ أبسط كفي ... وأفسح قلبي وأفسح حضني
لكل أخ هو في الهم همي ، ... وفي الحرب درعي ، وفي الخوف أمني
يحس بجنبيه فرحة عمري ... ويأسى أساي ، ويحزن حزني
أتيت ـ أخي ـ بعتابي ولومي ... فلا تأس من صرختي ، لا تلمني
أتيت لأعرض عاري عليك ... وتعرض عارك يجرح عيني
أتيت بوصمة عار تذل جبيني وتلعنني أي لعن
حنيت لها هامتي في انخذال ... وما زلت أخفض رأسي وأحني
تحملتها من ثمان وعشر ... فما لان حملي ولا خف عني
أتيت احرك في الجرح نصلا ... لاذكي حقدي ، والهب ضغني
فلسطين ! يا خنجرا في الضمير ... يفت قلبي بافظع طعن
يعب دمي من زمان بعيد ... فما صحت ويحي ولا قال قطني !
طويت عليه الحشا في اصطبار ... وصبري على العار ليس بهين
أغالبه واغالب فيه ... خيالات حتفي وأشباح حيني
فلسطين ! يا عارنا ! يا نداء ... من الذعر قد زلزل المشرقين
يقرع أسماعنا قلبي ... بأنة عجز وزفرة جبن
فلسطين : أرضي وأرضك ! من ذا ... ترى ورث الأرض ؟ قل لي ! أجبني !
قراها ، مدائنها من بناها ؟ ... لمن كان باني الأعاجيب يبني ؟
فلسطين ضيعتها بضياعي ... فهل يرجع الرشد ما ضاع مني ؟
فلسطين ! يا أيها المنشدون ... بترديد بيت وترجيع لحن
فلسطين ثار ودين أسا ... آن أن تثأروا أن توفوا بدين

تحية الى بغداد

الدكتورة طلعت الرفاعي

يا جامع الشمل شملي من يجمعه ... ومن انيني خلف البيد يسمعه
أبحرت واليم في صحو وفي ألق ... وفي فمي نغم ينساب أروعه
يسير في خيلاء زورقي مرحا ... وذائب الماس في رفق يرصعه
يلقى له الشفق المحموم أوشمة ... خمرية بسنا الياقوت تلفعه
أمضي وفي خافقي حلم يهدهدني ... تدنى له الشمس زنديها وترضعه
وزمجر البحر بعد الصحو واضطربت ... أمواجه فوق مجذافي تصدعه
زنوت ؟ لا مركبي أضحى له عضد ... ولا الأعاصير يشجيها تضرعه
وأنكرتني وجوه طالما هتفت ... للحق في صرختي الدنيا ترجعه
وطوقتني حراب الغدر راعشة ... يا صانع الموت اني لست أصنعه
أني واني على عهدي اذا اخترقت ... صدري السهام فجفني ليس تدمعه
وان أساء أخي يبقى لدي أخي ... وموطني أن يضعني لا اضيعه

●○●

مصيبتي ان لي نفسا سموت بها ... وناظرا لا يجافيه ترفعه
أدين بالصدق أيا كان قائله ... وأعبد الحق أنى كان موضعه
وكم أتيت طبيبا أشتكي كبدي ... فراح يسخر في يمناي مبضعه
وللوفاء طريق ليس يجهله ... الا الذي بات في الأوزان مضجعه
يبقى الصفاء وتمضي السحب خائبة ... لا لن يضير اندفاع النهر ضفدعه
لن يبرح الطين يوما في تسلقه ... من كان من حيز الحرباء برقعه

ماذا أقول عــــن الأيام في نوب ... جرعت من صابها ما لست أجرعه

غنيت للمجد للالهـــام اغزلـــه ... في معبدي للجمال البكر أبدعه

فكان حظي من الأيام احلــــكها ... وأتعس الصبح في الاشراق أسرعه

واللحن لن تعبر الأسماع نغمتـــه ... ان لم يكن من معين القلب منبعه

لا تظلموا الشعر في ثوب وفي حلل ... ما جدة الثوب تجدي أو مرقعـه

لـكنها الروح قبل الجسم موعدها ... مع الخلود وما تبقيـــه يتبعـــه

بغداد يا كعبة الاحرار كم هدمت ... قلاعـــك الظلم لما ســال مطمعه

تغضبين حينا لعل الغيـــم منحسر ... من السهى أو لعل البرق يقشـعه

ثم انفجـــار وزلزال بلا نـــذر ... يروع الـكون منـــه ما يروعـه

بغداد كم ضــــربة للبغي قاتلـــة ... ســـددتها يوم لا يجدي تشـفعه

ما مس صرحـــك غدار على زغـــل ... الا وكان على كفيـــك مصــــرعه

بغداد والجرح في صدري يبرحني ... من يلمس الداء في صدري وينزعه

بغداد يا صرخة الثوار يطلقهـــا ... من دير ياسين يوم الحشر مدفعـه

يوم العروبة تغـــلي في الدماء لظى ... وللرصاص طعـــام ليس يشبعه

حتى يعود ضـــياء الحق مؤتلقـــا ... ويرجع الوطن المسلوب أجمعـــه

بغــداد يا نغم الأبطـــال محتدما ... راح الجهـــاد على النجوى يوقعه

هنا دياري .. هنا أهلي .. هنا وطني ... من هاهنا الفجر يهدي الركب مطلعه

هنا النجيع الذي روى التراب سنا ... لما تدفق نور الحق يدلعـــه

أحنو على الارض صدري لايفارقها ... حتى تعانقهـــا من بعـــد أضلعه

بغداد والحب طبـــع فيك أعرفه ... والطبع في الحب يعلو لا تطبعـــه

طوفت في هذه الآفاق أذرعهـــا ... وما لغـــيرك هذا القلب مرجعـــه

بغداد

عبدالله بن خميس

بغداد يا معقل الفصحى أحييك — طبت وطابت مدى الدنيا مغانيك
تحية لك من أم القرى خطرت — من طيبة من ربى نجد تناجيك
من رامة من زرود من ربى حضن — من اليمامة من حزوى من الشوك
من الجزيرة أفواه معطرة .. .. — بعابق من شميم الشيح مالوك
شوق سما لك فانثالت خواطرهم — عن مربد البصرة الفيحا تناديك
عن الرشيد وعن أيام دولته — في مطرف من جلال المجد محبوك
أيام كنت ولا علم ولا أدب .. — الا وتطلبه الدنيا .. يناديك
واستأثرت بك أحداث مروعة — لو لا الاصالة كاد الدهر يرديك
فان نزعت الى مجد فلا عجب — المجد مجدك والماضون أهلوك
وان اتتك وفود الضاد مجلبة — فانما لمعان فيك جاؤوك .. ..
فمرحبا بك يا بغداد منطلقا — لامة لم تزل دهرا ترجيك
ومرحبا بحماة الضاد قد هرعت — من كل قطر زرافات .. تلبيك

تحية بغداد

مقبولة الحلي

قفي وانظري بغداد طيف الركائب ... يجدد من آمالنا كل ذاهب

قفي واسمعي لحن الاحبة منشدا ... أغاني المنى والمرتجى والرغائب

قفي وتغني باللقاء وغردي ... فقد ضم هذا الجمع كل الحبائب

وبوحي بما نلقى من الوجد والجوى ... وقولي فان اليوم يوم المواهب

ولاتسمعي العذال، لا عذل في هوى ... منعناه عن زهر الوجوه الكواعب

ولا لوم في حب رضعنا صراحه ... وحلواه من أم طهور الترائب

وصغناه في الاوطان لحنا مباركا ... يوحدنا رغم النوى والمذاهب

وان لسانا لأذع القول صامدا ... كسيف الوغى ان ضاع حق لطالب

ولا تكثري دار السلام فكل ما ... تقولين نزر في اللقا والتقارب

وما كل من قال الكثير بصادق ... وليس الذي اختار السكوت بكاذب

وما نحن الا في سماء بلادنا ... نجوم وان تستر بكل الغياهب

فمنا اصطفى الله النبي محمدا ... عظيم البرايا من عظام الاعارب

أطل على الدنيا سناء ورحمة ... وحقا وتوحيدا وهديا لتائب

ومنا سرى للفتح اشجع من سرى ... ومنا كرام الراح غر المناقب

بنينا وما اعلى سوانا بناءه ... وشدناه في أعلى السها والسحائب

وباهت بنا الدنيا وغنى بعزنا ... بنوها وما لنا لعظمى المصائب

سقينا الاعادي أكؤس الذل والردى وكنا شربنا النصر خير العواقب
فان سادنا يوما جهول مخادع جبان لدى البلوى كثير المثالب
وان ساء ذاك الامس حكما وحكمة وصارت حقوق الناس نهبا لسالب
فقد ارجع الساعون ما ضاع باطلا وعادت لنا الايام فضلى الصواحب
وان فرقتنا قبل كف مفرق فقد وحدتنا اليوم أيدي النوائب
وان غرنا ذاك الدعي بقوله وان عبثت بالقسوم شتى الجواذب
فلابد ان تعلو على الارض راية موحدة عزت على كل خاطب
تضيء لنا درب الحياة بنورها وفي هديها نجتاز هول المصاعب

●○●

أرى الوحدة الكبرى تنير ربوعنا وتشرق في الآفاق من كل جانب
ويملأ أسماع الزمان هديرها جرى يتحدى كل غر محارب
وان الليالي السود مرت لغير ما رجوع ولاقى أهله كل غائب
سيذهب كل العابثين بأرضنا جفاء ويبقى من أتى بالأطايب
فلا يرتجى للأمر ان جد جده سوى أهله أو خير بعض الأقارب
ولا يدفع البلوى اذا ساد ليلها وطال سوى من خاض بحر التجارب
ولا تنحني الدنيا لغير محنك ولا تسحق الأيام غير العقارب
ولا تفخر الأقوام الا بناصر أمانيها أو عارف بالمطالب
محا بهما التأريخ سود صحائف أتاها بغير الحق جور الاجانب
فكانا على جرح العروبة بلسما على حين ضقنا بالأساة الكواذب
صحابي واخواني وكل عشيرتي وأهلي وأحبابي وأغلى صواحبي
لكم من شغاف القلب أزكى تحية مزجت بها خضر الأماني السواغب
اذا بنتم فالبعد عنكم بلية وان عدتم فالعود أحلى المآرب
وان أيقظت في البعد يوما حنينكم غدائر نخل لاعبت كل لاعب
فقولوا : رعى الله العراق وأهله وجاد عليهم الغوادي السواكب

الشعر ورسالته

مهدي مقلد

من الشعر ابـداع وحسن تمثل   بتصويره العـالي وحلو التخيـل
ومنـه الذي للقلب فيـه هداية   ومنـه الذي فيه ضـلال المضلل
وليس لشعب رام تحرير نفسـه   عن الشـاعر المطبوع من متحول
وان البيـان العبقري هو الـذي   يكون عـن الآمال خـير ممثل
يزف اليهـا من عرائس شعره   قصـائد غر في بيـان مسلسل
ولا تدري هل سجع الحمام مرتل   على أيكة أم ذاك تغريد بلبـل
ودع مشكلات النـاقدين فانهـم   الى اليوم ما حلوا لنـا أي مشكل
يقولـون ما لا يفعلون وما على الذي كتبوا في نقـدهم من معـول
وكل انتقاد لم يصـغ عن حقيقة   فذلك نقـد ليس بالمتقبل

●○●

هو الشعر مصباح يضيء عموده   بنورين ، منه ، مجمل ومفصل
وسطين من لفظ ومعنى اذا همى   غمامهما ، يأتيك بالمتهلـل
ويهدي الورى للحق حتى كأنـه   هدايـة آيات الكتاب المنـزل
ويدخل اذن المرء من دون اذنـه   وينشـده الراوون في كل محفل
وأكرم بشعر نسجه مثل روضـة   مهدلة بالاقحـوان المهـدل
وأكبر بشعر غاص شاعره على   اللئـالي بتخييل وحسن تمثل
وان كنت لا تستطيع بالشعر رفعة   لقومك فاتركـه ولا تتخيـل

وان كنت لاتسطيع دفع ضلالة المضل فلا تنبس ولا تتململ
وما الأدب العالي سوى أن تزاوج الكلام وتأتي فيه غير مخلخل
وتلبسه ثوبا يرف حواشيا من اللؤلؤ الرطب النضيد المفصل
كوجنة خد الفجر عند انبثاقه يلف الدجى أذياله ثم ينجلي

●○●

وما الشعر الا خلق تاريخ امة واحياء مجد يعربي مؤثل
وقومية من فوق أروقة العلى ومحرابه تحتل أرفع منزل
والا اندفاعات والا تحشد والا صمود في النضال المصلصل
وحرية حمراء منها اغتدى الثرى صبيغا وان شئت الزيادة فاسئل
تموت الضحايا دونها وتراهم يوفون في الجلى وفاء السموأل
بهم الى ابكاره العون مثلما يهيم من الالهام شعر المهلهل
وفي لفظه تسبيحة لمكبر وفي صوغه تكبيرة لمهلل
ويعلو بمعناه ويسمو محلقا بأبياته الغراء تحليق أجدل
كما طار في دنيا البيان محلقا الى اليوم في أمثاله شعر جرول
كأن جني الورد بين سطوره يضوع وفي معناه طيب القرنفل
كأنك في فن البيان تطارد المعاني على طرف أغر محجل
وتعنو قوافيها وتأتيك حفلا شواردها في جحفل اثر جحفل
بشطرين ،شطر فيه من ألق الضحى وجمال ، وشطر بالفخامة يجتلي
يروح ويمضي أهله غير انه يخلدهم في الارض تخليد يذبل
كما خلدت عبدالسلام رجولة بها صار في الأبطال أول أول
ثلاث انتفاضات له وكأنه اذا ثار كالقعقاع في الحرب أوعلي
همام به الآداب ترجو انتفاضة كما انتفضت في دولة المتوكل
وفي ناصر يا أمة العرب فافخري وتيهي على الدنيا به اليوم واحفلي
فوالله لولاه ولولا حسامه لأصبحت كالعصفور في كف أجدل
وليس لنا غير الرئيسين من حمى وليس لنا الا هما من معول

بغداد

هلال ناجي

مدي لهم فلذ القلوب بداري ... يا كعبة الشعراء والثوار
مدي لهم هدبا وكوني ظلة ... وتفيئي بروائع الاشعار
مدي لهم ما شئت من سجف الهوى ... وصحائف من رفدك المدرار
مدي لهم حضن الوفاء فانما ... رسل البيان كواكب الاسحار
اشواقنا شوق الطيور لجدول ... ولقاؤنا الاحرار بالاحرار

* * *

مدي لهم من برك الزخار ... سفر الاخاء العابق النوار
واستقرئي التاريخ كيف تألقت ... قمم البيان بدجلة الهدار
الجاحظ المسلاق خلد اسمه ... في الف رائعة من الاسفار
يسعى الى المعنى الطريف يصوغه ... فتكون فيه محجة الافكار
والاصمعي يلوح في حلباتها ... نحوا وشاردة كضوء منار
ومفضل الضبي مشعل قابس ... في كل نادرة من الاخبار
والاحمد الكندي من دانت له ... قمم القريض على مدى الادهار
حمل اللواء فكل شعر بعده ... يأتم في اسرائه بمنار
جمع الرجولة والبيان وسنها ... دربا يضيء كمارج من نار
قل للتي ركب الغرور فؤادها ... هل تذرع الامجاد بالاشبار
ارسلتها مسمومة فكأنها ... من ارث كافور ونطق جواري

هـذا الامـام فان زعمت فهاتـه ولئـن عجـزت ، فأذعني لحـوار

* * *

مـدي لهـم من برك الزخـار غـر الاخـاء العـابق النـوار

فالحتري يكـاد مـن قـر لـه يسعى لرائعـة مـن الاشعـار

ومن « الشريف » تحيـة للعـارفي ادب الـرضـي وغـزة الاوتـار

نسخت عـلى دار الخـلافة حقبة من مجـد أفكار وطيـب نجـار

وأبي نؤاس هـزه تذكـاركم لزكي خمـرتـه ونسـج دراري

فأتى يسـامر صـالحا أو أحمدا بنفيس أشعـار بغيـر عـذار

* * *

بغـداد يا عين الزمـان وشـدوه وأريـج نـوار لـه مختـار

شـيخ المعرة جاء رغم مصابـه كيما يفيء لنهـرك المـوار

ما زال ثغر الدهر يحفظ قولـة فاهت بهـا شفتاه في الامصـار

يا خير ماء في الوجود نهلتـه والنخل حولك اشرف الاشجـار

شـيخ المعرة قم تأمـل موكبـا تاهـت بـه بغـداد بـالـزوار

بالشعر بالقربى الكـرام يحاملي شعـل البيـان بنخبـة الانصـار

عادت ليـالي الخالدين (قمر بدي) بغـداد بعـد تقـاطع وسـرار

* * *

بغـداد يا عين الزمان وشـدوه وأريـج نـوار لـه مختـار

منا الذي وضـع العروض وسنه والبنـد والتوشيـح في الاشعـار

وكـذاك منـا الخالقون روائعـا تعتـد بالتفعيـل لا الاشطـار

شـأو الزمان تجـدد وتطـور وكـذاك شأول ربـة الاقمـار

* * *

بغداد يا عـين الزمـان وشـدوه واريـج نـوار لـه مختـار

تاريخ مجدك عاطر متألق ... جبل من الاسفار والافكار
للسيف مجد زائل لكنما ... امجاد شعرك قمة الادهار
دك التتار قلاعنا وحصوننا ... لكن فكرك ظل في ازهار
الفتح فتح الفكر يشمخ انه ... لا فتح بتار ولا اشفار
هذا الطريق فأوسعي في مده ... ولتعبق الافكار دون اسار

* * *

يا غازلا شوق العروبة مطرفا ... للقادمين لدجلة الهدار
هذا القريض يظل يشمخ أنه ... ما كان يوما سلعة التجار
اكبرته عن حاكم متجبر ... باع الضمير لمالك الدولار
وسللته في كل يوم كريهة ... حربا على الطغيان والافقار
وهتفت من سجني لكل غضنفر ... ارسى بناء الوحدة الجبار
(بردى) يلاقي (النيل) يا حلم الألى ... كشفوا الخصوم معلية استعمار
حتى اذا طلع الصباح برائع ... من فجر تموز حطمت أساري

* * *

في غمرة الاعراس اطبق غادر ... ولوى العنان لعزلة ونفار
ملك الغرور فوءاده فاذا به ... يهوى الوقوف بعاصف التيار
فهو المفجر ثورة في ساعة ! ... وهو المباغت دون أي حذار !
وهو الموءله لا كريم غيره ! ... ومبارز الطاحون في اصرار !
يا كاتب التاريخ هل لقديمه ... عود ، وهل يقوى على الاقدار
غصت سجون الرافدين بأنجم ... عربية الاضمار والاسرار
وعتا الظلام فكل شوق تهمة ... وسطا اللئام على كرام الدار
يا دارة الاجداد تربك طاهر ... ترب الحسين وحيدر الكرار
من كل أصيد لا يطيق ظلامة ... لو صيغت الدنيا له بنضار

وتطلعت بغداد للنفر الألى   كانوا الرجال بسورة الفجار
للفتية الاحرار لما أرقلوا   وضح النهار لاوحد جزار
ذق ما سقيت نداءهم فاذا به   كالفأر منطرحا على الادبار
دوى الرصاص بمسمعيه مزغردا   : الظالمون مصيرهم لدمار
لابد من شعبهم يجد قبيحة   لابد للطاغين من بتار
ويشاء ربك ان يعيش لغيرها   ونظل نجهل حكمة الاقدار

* * *

خمس عجاف جاء ربك بعدها   بالفتح بعد تمزق وبوار
حكم الرصاص فما سواه محكم   وتلاقت الاخيار بالاشرار
الدارعات تهد حصن عصابة   كادت تجلل أرضنا بالعار
والطائرات تدك في الق الضحى   وكر الطغاة بناطق هدار
والهاجمون بكل عزم باتر   ذل الحديد لسيفه البتار
وتواثب الطاغون كل يرتجي   من جلده هربا ليوم فرار
واتى النعي بان (وجدي) اطبقت   جفناه في جلد وفي استبشار
لم تبق منه بقية ابكي لها   واذيب فيها لاعجي واواري
فكأن للصاروخ في تمزيقه   جسد الشجاع بلاهب من نار
هدفا بأخذ احبة اطهار   لجوار رب راحم غفار

* * *

يا كاتب التأريخ هل بحقيقة   زيف وهل عتب بلا اعذار
ان كان ذكر الآخرين يسوءكم   فعلام تطمس سيرة الاخيار
وعلام يهمل باذل احشاءه   من أجل وحدتنا ويذكر عاري
ايه فتى الفتيان قد نسى الألى   مدوا الاكف تآخي الثوار
البيت بعدك مظلم متجهم   من بعد نور ماتع الازهار

والكرمة المعطاء عنك تساءلت ماذا أقول لكرمنا المعطار
والفل كل انيقة مزهوة تشتاق يلثمها اخو الاحرار
عادت يبابا لا يد تعني بها كلا ولا بصر من الابصار
ذاك الهزار فنيته وحبيته هجر الغناء ومات في آذار
وتمزقت ام لهول مصابها فكأنها من جرحها النغار
دهر من الألم العميق تحدرت أناته من راعف الاوتار
وكأنها من قبل ما عرفت بنا زهو الحياة وضحكها لصغار
لم يبق منك وكنت ملء حياتنا غير الخيال معلقا بجدار
وتمر ذكراكم فيطوى سفركم في موكب الغادين في الاخطار

* * *

يا رفعة النيل الحبيب انهلة من مائه للظامىء الذكار
جئناكم والجرح يعصب جرحنا وعلى الجباه توقد الابرار
جئناكم والعزم في ومضاته لكن دهته حيلة الغدار
جئناكم حتى نكسر بمشرق رمضان من آياته في الدار
ففرشتم رمش العيون مطارفا وزرعتم الطرقات بالازهار
وحنوتم والطيب نبع طباعكم وبذلتم للعصبة الاخيار
هل ما تزال منابر عربية شمخت بنا ظمأى الى ثوار
يهتز حشد صوفها من منطق مزج البيان به بومض النار
والحكم بالأعدام يعجز عن فتى بالله معتصما وبالاحرار

* * *

ماذا اقول وكل حرف يستقي من فيض مكرمة لكم معطار
هل ما تزال (مراكب الشمس) التي حفلت بنا ظمأى الى تذكار
وشوامخ الاهرام هل حفظت لنا سرا تقطر في دجى أيار

و (البدرشين) وقد تلقت عصبة   عربيـــة الايـراد والاصـدار
فحنت علينـــا كالفطيم وفيأت   أضيافهـــا حضننا من الايثار

* * *

مـاذا أقول وكـل حـرف يستقي   من فيض مكرمـة لكـم معطـار
او ما يزال النيل يحفظ همسنـا   في كـل منعطـف لـه زخـار
عند القنـاطر والصبا رفـافـة   والمـوج يغـزل من سنـا آذار
ثوبـا انيق الوهج ما سي الرؤى   جم الفتون موءطـرا بخمـار
من كل باسقـة تفوح عذوقهـا   كالنهـد يعبق رغم الـف ستـار
والبـرعم المـزهو تـاق عبيـره   لعنـاق خرعبة بغير ازار
شرد العبير على الضفاف وعـانقت   امواجـه حبـا عـلى تيار
في كل منعطـف حديـث هـامس   وبكـل زاويـة رنيـن سـوار
اقسمت لو (شوبرت) أبصر بعضها   لأتم لحنـا دونمـا اعسـار

* * *

بغداد يـا عين الزمـان وشـدوه   واريـج نوار لـه مختار
اكبرت ارثك وهو ارث عـروبة   وعبدت حسنك وهو حسن نـزار
وحفظت تربـك في وعـاء انتشي   من عطـره في غربتي وعثـاري
أسقيه دمعي حين يجنح خاطري   لخيـالك الوضـاء في مستـاري
وأريه كيف الحب يشمخ ساميـا   مـن غير مـا طمع ولا أوطـار
من جندك الغـادين كنت ولم ازل   حتى أغيب هـامة بديـاري

* * *

مدي لهـم من بـرك الزخـار   سفـر الاخاء العـابق النـوار
أشواقنـا شوق الطيـور لجـدول   ولقاؤنـا الاحـرار بالاحرار

تحية شيوخ الشعر والادب

حسين بستانه

هذي عكاظ وهذا منبر الادب   فاطرح نشيدك يا صناجة العرب
وحي وفادها واجعل تحيتهم   كآية الحمد تتلى أول الخطب
ودع هريرة في أجلى مفاتنها   تستقبل الركب في زهو وفي طرب
مر السحابة أو تمشي على عجل   أو تستقل لهم زحفا على الركب
تضوّع المسك في مسرى ركائبهم   وتفرش الارض في انماطها القشب
وتجمع الحي من عليا عقائله   من كل فاتنة في منطق ذرب
كخولة وام اوفى من ولانفها   وأم الغيط الذي قد مال بالقتب
وأم عمرو تدير الكأس صابنة   تشع كالحص في تاج من الحبب
يقين في سمرات الحي ما بخلت   به عشيرة من لهو ومن لعب
ليستلبن النهى فيما يجدن به   حب القوي لشيوخ الشعر والادب

* * *

وقل ذلك عن اقداركم نزلا   وان شأى هامة الجوزاء في الرتب
ففي القلوب لكم اسمى منازلها   « وفي الحمية معنى ليس في العنب »

* * *

فكلكم في سماء المجد ذو فلك   قد حل أدنى مدارا هامة الشهب
وكلكم في قريض الشعر نابغة   وان تحشم عن بيت من الطنب
قلدتم الدهر اعقادا منظمة   وان نثرتم بمثل اللؤلؤ الرطب
وكلكم عبقري جاش زاخره   من عبقر الجن لامتحا من القلب
اذا تحمس خلت الخيل معرشة   والارض مائرة بالعسكر اللجب

يذكي المشاعر حتى لات ذو خور ... الا تقحم في مشبوبة اللهب
وان هجا فجرير بين ماضغه ... يغض طرف نمير غض محتجب
وان أراد مديحا فابن ماريه ... يرد حسان عما رام من طلب
وان تغزل باتت بثين عاتبة ... على جميل وأبدت جانب الغضب
أو شاء وصفا تخلى عن عجائبه ... ابو عبادة مما جاء من عجب
شهدت منكم عيانا فوق ما سمعت ... أذني وفوق الذي نقراه في الكتب

* * *

الا انبئوني متى قد كان عهدكم ... بالرقمتين وفي وادي الحمى الاشب
وهل بسقط اللوى باك كعادته ... يستوقف الصحب نواحا على الكثب
وعنتر لم يزل يشكو الجواد له ... وقع القنا واشتباك النبل والقضب
وهل يبيت أخو ذبيان من فرق ... على هراس حليف الهم والنصب
وكيف حال لبيد لم يزل برما ... بسائليه وهل لا زال في كرب
والشنفري وسليك كيف عدوهما ... أيجريان مع الموسومة العرب
وهل بوادي الغضى شاك وشاكية ... عين الوشاة بطل النبع والغرب
وداحس لم تزل تقري المنون دما ... مع البسوس وما اودت من نوب
أم ان يعرب كفت عن جرائرها ... وانفض ما كان من حوب ومن حرب
واجمعت أمرها حشدا على رغب ... في العز أو لا فارصاد الى رهب
فخصمها صير الأجواء صارخة ... من كل منغلق في جوف ذي ذنب
وضايق الحوت في أغوار لجتها ... حتى ملا البحر من قطب الى قطب
وساور الارض يستعلي دثائرها ... فامتص حتى دماء الصخر في الترب

* * *

ولا سبيل الى ما رام من وطر ... لو لا التفرق أو ما رام من نشب
لولا التفرق ما شالت نعامتنا ... وقر عين العدى ما مس من لغب
ولا تبدل منا غير سامرنا ... كيد الغريب ولا أخنى على الحسب
ان التفرق يثني عزم امتنا ... عن الحفاظ ويوهي لحمة النسب

اكتفي بلسان الضاد يجمعنا … ونحن امسلاء جسم بالدما خضب
لا يرهب الخصم منا غير واحدة … هي المدامع من باك ومنتحب
سلاحنا ماضيات من محبرة … هي الكلام الذي نلقيه في الخطب

* * *

وفي فلسطين أكباد ممزقة … ما بين نابين من سقم ومن سغب
يسوقها للمنايا سوق متشد … من باعها لبني صهيون بالذهب
فمثل في موالد الانجيل قاتله … وارجعوا موطن الاسرا لخير نبي

* * *

ان اليهود لارجاس دماؤهم … مجبوله بخسيس اللوم والريب
لقد تحدر في اصلابهم مثل … من الرذيلة أخزى سالف الحقب
ابناء يعقوب قد خانوه حين اتوا … على قميص أخيهم في دم كذب
سبحان ربي متى كان اليهود يدا … والله شتتهم في كل منسرب
ببابل وبمصر عندهم أسر … من وزر من كان منهم بالصغار سبي
والفرس والروم قد مدوا العذاب لهم … وزادها الروم نيرانا على الحطب
واسلكوهم سبيل البحر فانصرفوا … ما بين منفسر فيه ومضطرب
لا يهبط الارض منهم غير تائهة … أو تائه ببقاع الارض مغترب
حتى اذا ضاقت الدنيا بما رحبت … عليهم انقلبوا في شر منقلب
جاؤا فلسطين بل جاؤا الى جدث … ما فيه من أمل منه الى هرب
تخطه الوحدة الكبرى لتقبرهم … في البحر في القدس في الصحراء في النقب
سيسلكون سبيلا لا يسدهم بها سوى الافعوان الصل بالعطب

* * *

يا وافدين وهذي داركم شرفت … بكم الا فانزلوا فيها على الرحب
مهد الحضارة في اسمى منازلها … وموطن العز والنعمى لكل أبي
عاشت بتربتها الاحلام زاكية … وأنبتت دوحة الاسلام والعرب

من وحي المهرجان *

انور خليل

عيد الربيع وعيد الشعر عيدان   كلاهما غمرا بالبشر وجداني
أعراس أمتنا فاضت بلهنية   ونعميات على أبناء عدنان
في مهرجان كأن الخلد زينه   بكل حسانة تزهو وحسان
أبناء عبقر تشدو في خمائله   بكل رائعة الاصداء مرنان

*

من كل روض هزار جاء ينشدنا   على تفاوت انشاد وألحان ـ
شعرا ، سما جله حيا وعاطفة ،   وبعضه محض تقطيع واوزان
فالشعر ـ لا النظم ـ أنغام مجنحة   ترف كالحلم من آن الى آن ...
آياته فتنة الدنيا ونشوتها   فالشعر والسحر في الدنيا شقيقان

*

يا صاغة الشعر والفصحى تمدكم   من البيان بأنماط وألوان
أخلق بكم وبهذا البحر أن تقعوا   على النفيسين من در وعقيان
وهذه (الضاد) أغنتنا بثروتها   وخصها عن مثيلات وأقران
أم اللغات بماضيها وحاضرها   فيها منى الروح من حسن واحسان
وحسبها رتبة في الفخر خالدة   ان وحدت بين اقطار وبلدان

(*) ارسل الشاعر هذه القصيدة للمجلة تحية لمهرجان الشعر .

وأنها جمعت شعبا على مقة وارفدته بآداب وعرفان
كانت (لأحمد) منها أمس معجزة واليوم للعرب منها خير معوان

*

بالله يا شعراء العرب لا تدعوا شيئا من الوهن يعرو شعبنا الباني
أنتم حداة لهذا الركب فانطلقوا به الى الوحدة الكبرى بايمان
وأينما كنتم في مصر أو حلب أو الجزائر أو كنتم ببغدان
أمامكم وطن تمتد رقعته شرقا وغربا كبير المجد والشان
وشعبكم أذهل الدنيا بثورته وقد تفجر منه ألف بركان
غنود ملحمة التحرير واندفعوا به الى كل مضمار وميدان
شعب العروبة يجتاح الصعاب ولا يبقى على ظل عدوان وطغيان
فكيف يترك اسرائيل جاثمة على ثراه بأرجاس وأدران
لابد من محو هذا العار عن وطن له الكرامة أضحت خير عنوان

*

مرحى لبغداد اذ تمت محافلها تواسم الضاد في شعر وبيان
في مهرجان نعمنا من أزاهره بكل زنبقة نشوى وسوسان
أعاد للعرب (أسواقا) منضرة بكل فاكهة من كل بستان
تعج بالفصحاء اللسن حلبتها يؤمها القوم من قاص ومن دان
والشاعر الفذ يحدو ركب أمته الى العلا غير هياب ولا وان
ما قيمة الشعر ان لم ينتظم سورا تدعو الى المجد ماكر الجديدان
نهفو الى الشعر تسجينا قياثره شوقا ونصغي لنايات وعيدان
تبارك الشعر ان جاشت مقاطعه بكل معنى رفيع القدر مزدان ...

اضواء على السياسة العالمية

في الداخل

الذكرى السادسة لثورة المرحوم الشواف

مرت في هذا الشهر ذكرى ثورة الموصل التي أعلنها الشواف منذ ستة أعوام لتصحيح الانحراف القاسمي ، وقد أصدر المرحوم العقيد الركن عبد الوهاب الشواف بيانه الذي أعلن فيه أن ثورة الرابع عشر من تموز لم تقم من أجل أن يحل طاغية مجنون محل طاغية مستبد وتزول طبقة استغلالية بشعة لتحل محلها فئة غوغائية تعيث بالبلاد والنظام والقانون فسادا ويستبدل مسؤولون وطنيون بآخرين يعتنقون مذهبا سياسيا لا يمت لهذه البلاد العربية الاسلامية العراقية بمصلحة » .

ويقول البيان مخاطبا أبناء الشعب « ولم تكن بلادكم الوفيرة الخيرات الا مسرحا للفوضى والبطالة فيتحطم اقتصادها الوطني وتتعطل مشاريعها العمرانية وتنتزع الثقة من النفوس ويختفي النقـــد من الاسواق وتعيث بالبلاد مقابل ذلك فئة ضالة باغية لا دين لها ولا ضمير تخلق لها صنما به لوثة في عقله وتعبده ولا تخشى الله وتنادي به ربا للعالمين » .

ومن المعلوم أن الظروف لم تسعف المرحوم الشواف فلم تنجح ثورته في مداها القريب فقد استشهد الشواف في اليوم الثاني للثورة وانفرط عقدها ونكل بالاحرار من ضباط الجيش ومثل بالابرياء من المواطنين .

وقد علقت صحيفة الجمهورية على ثورة الشواف بقولها : « ان صبر العراق قد نفد ، وهو يرى اهداف ومبادئ ثورة تموز تطمس في طيش الطاغية وحاشيته ، وتذوب في وحشية الشعوبية ومنظمة مقاومتها للشعب فتركزت الآمال على البطل الثائر عبد السلام محمد عارف ، عند مفارقته السجن .

وفي ضحى الرابع عشر من رمضان ، قاد ثورة جديدة دكت وكر الطاغية وشردت الشعوبية . وأقامت حكما قوميا دفع الوحدويين الى القيام بثورة على حكم الردة والانفصـال والخيانة (في دمشق) فكـان التجاوب متصـــلا » .

« وحين رأى البطل الثائر عبد السلام محمد عارف تكرار المهزلة الشعوبية بصورة بعثية ، أزاح هؤلاء المنحرفين بضربة ثورة قاضية ، فما لبثوا الا بضع ساعات حتى توارو خوفا وهلعا » .

والحقيقة التي لا شك فيها أن ثورة الموصل قد جسدت الوعي القومي في النفوس وأعطت درسا استفاد منه أبطال رمضان ، ودفعت الطاغية الى ارتكاب الحماقات ، فقتل الضباط الاحرار أمثال ناظم ورفعت وغيرهم وقام بأعمال جنونية أثبتت للناس أنه مجنون أهوج لا يمكن أن يقود أمة ويصبح زعيما .

ومن هنا تبرز ثورة الشواف هي الخط الامامي لثورة رمضان وهي المعبر عن أهداف ثورة تشرين .

زيارة وزيارة

في أواخر الشهر الماضي بدأت زيارة الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية للاقطار العربية وبعض الدول المجاورة . وقد بدأت الزيارة بالقاهرة ، وقد عقب عليها الناس انها زيارة ناجحة من حيث التصريحات التي أدلى بها الرئيس التونسي في خطبه وأحاديثه غير أن الصحف العربية تناولت تصريحاته في الاردن وفي لبنان بكثير من الاستغراب والدهشة وتعرضت لها بالنقد والتعليق ومن الامور التي أجمع عليها أكثر النقاد السياسيين ، أن الرئيس التونسي لم يختر الوقت المناسب لتصريحاته هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان موضوع فلسطين بالذات ــ والذي تعرض الرئيس التونسي له بالتعليق ــ لا يحتمل الاجتهاد ،ووجهات النظر المتعددة في الوقت الحاضر لا تخدم القضايا العربية . والرأي العام العربي يريد رأيا عربيا موحدا تجمع عليه الامة ويذوب فيه رأي الاقلية ضمن رأي الاكثرية .

وليس من الامور المعقولة أن تهدى أسلحة فتاكة الى أعداء العرب ويسكت العرب أو يجتهدوا في الاجراء الذي يجب أن يتخذ ضد الدولة التي تقوم بمثل هذا العمل العدواني فلا أقل من أن يسحب السفراء وتتخذ اجراءات اقتصادية .

أمير دولة الكويت يزور الجمهورية العراقية

زار الجمهورية العراقية سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير دولة الكويت في اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر وقد رافقه في هذه الزيارة وفد رسمي يضم ثلاثة وزراء هم الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح وزير المالية والصناعة والتجارة والشيخ صباح الاحمد الجابر

الصباح وزير الخارجية والسيد يوسف هاشم الرفاعي وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ٠

ان الاستقبال الذي جرى لامير دولة الكويت من قبل السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف وأعضاء الحكومة وأبناء الشعب يدل دلالة قاطعة على روابط الاخوة بين أبناء الشعب العربي الواحد في كلا القطرين ٠ وقد صدر بيان رسمي اثر انتهاء الزيارة التي استغرقت ثلاثة أيام ٠ وقد نوه البيان بتبادل وجهات النظر حول مختلف القضايا العالمية وبحث الموقف العربي وما يهم البلدين بصفة خاصة وقد أوضحت المباحثات التقاء كاملا في وجهتي نظر الرئيسين في جميع الامور ٠

وقد أشار البيان الى ايلاء الرئيسين قضية فلسطين اهمية خاصة في بحث الموقف العربي الراهن فأكدا التزامهما بمقررات مؤتمري القمة العربيين ومؤتمر رؤساء الحكومات ومؤتمر وزراء الخارجية العرب والتضامن مع كافة الدول العربية في تحرير هذا الجزء العزيز من الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة واعربا عن تأييدهما المادي والمعنوي لكفاح الشعب العربي في الجنوب المحتل وعمان وعن مواصلة الجهود المبذولة على صعيد الجامعة العربية لدعم التعاون العربي مع الامارات العربية الشقيقة في الخليج العربي ٠

اجتماع وزراء الخارجية العرب

اجتمع وزراء الخارجية العرب في القاهرة خلال الشهر واتخذوا قرارات حاسمة تجاه حكومة المانيا الغربية في موقفها الاخير حول علاقاتها باسرائيل وهذه القرارات هي :

١ ــ سحب جميع السفراء العرب من بون فورا ٠

٢ ــ قطع علاقات الدول العربية الدبلوماسية مع المانيا الغربية في حالة قيامها بانشاء علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ٠

٣ ــ اعلان التضامن مع الجمهورية العربية المتحدة في مواقفها من المانيا الغربية ولجوء الدول العربية الى قطع علاقاتها الاقتصادية مع المانيا الغربية في حالة اصرارها على اتخاذ موقف عدائي من اية دولة عربية وتجتمع عند الاقتضاء اللجنة السياسية منضما اليها وزراء الاقتصاد لتقرير هذه المقاطعة وتحديد مداها وتعيين طرق تنفيذها ٠

٤ ــ يؤكد وزراء خارجية الدول العربية من ان تنظيم علاقات الدول العربية بالدول الاجنبية سيتم على اساس مواقفها من قضية فلسطين ٠

والملاحظ ان حكومة المانيا الغربية بعملها العدواني ضد العرب وبتسليحها اسرائيل في اتفاق سري انما تعمل ضد مصالح الشعب الالماني الصديق لانها تخلق عداء للامة العربية وبذلك تفرط بمصالح شعب المانيا ،

ان العرب في تاريخهم الماضي والحاضر يرتبطون مع الشعب الالماني بروابط لم تعكرها مصالح استعمارية او مطامع سياسية بخلاف الدول الاستعمارية الاخرى التى مارست الاعمال الاستعمارية فى المنطقة العربية ، ومن المؤسف حقا ان تقع حكومة المانيا تحت النفوذ الاستعماري الذى خلق اسرائيل فى قلب الامة (فلسطين) وشرد سكانها وجعلهم لاجئين يسكنون الخيام ، فلم تكتف الدول الاستعمارية باسنادها لاسرائيل وتسليحها وجعلها قاعدة للعدوان بل راحت تجبر حكومة المانيا الاتحادية لتجعل منها عدوا آخر للعرب ٠

ان الشعب الالماني مدعو ليدافع عن مصالحه ومدعو ليحاسب الحكومة التى تدفعه الى العدوان على امة طالما وقفت الى جانبه وارتبطت معه باواصر الصداقة سنين طويلة ٠

ان الامر سوف لاينتهي عند هذا الحد فان العرب مصممون على الرد على عمل الحكومة الالمانية العدائي ضدهم وقد ادخلوا حكومة المانيا الاتحادية في عداد الدول الاستعمارية العدوانية فهل يرضى شعب المانيا بمثل هذا المصير الذى تسوقه اليه حكومته !٠٠

انتخاب الرئيس جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة

لقد اجمع الشعب العربي في الجمهورية العربية المتحدة على اعادةانتخاب الرئيس جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية للست سنوات القادمة ، وبارادة الشعب العربي يكون الرئيس عبدالناصر اول رئيس عربي ينال مثل هذا القدر من التأييد والشعبية ٠ والشعب العربي في مصر حين يجدد البيعة للرئيس انما يجدد بيعته للاهداف التي حققها الرئيس عبدالناصر وللمبادىء التي نادى بها وللوسائل الشريفة الكريمة التي سلكها في البلوغ الى تلك الاهداف ٠

ولقد قابل الشعب العربي في الاقطار العربية هذه النتيجة ببالغ الابتهاج والفرحة اذ ان الشعب العربي في كل بلد يجد في الرئيس عبدالناصر مثلا اعلى للزعيم المتفاني في سبيل الامة وتحقيق الهدف ٠

وقد اعرب السيد الرئيس عبدالسلام محمد عارف في برقيته التي هنأ فيها الرئيس عبدالناصر عن شعوره وشعور الشعب العربي في الجمهورية العراقية بهذه المناسبة فقال:

ان هذه البيعة فى هذه الظروف الدقيقة والمرحلة الحاسمة التيتجتازها الامة العربية من جراء خطط الاستعمار وما يهدف اليه من التغلغل في وطننا الحبيب والحد من حرية الامة واقتطاع اجزاء الوطن وبث الفرقة لدليل واضح على صدق الوعي العربي لاختيار الرائد الصامد امام قوى الاستعمار واحباط مكائده ودفع شروره واختيار القائد الذى استطاع بحكمته وحنكته ان يعلي

شان الامة العربية ويفرض رأيها ويثبت وجودها ويفتح لها طريق العزة في وحدتها المنتظرة .

السياسة العالمية

اعتداءات امريكية متكررة على فيتنام الشمالية

كثرت الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية واستعملت القنابل الغازية في هذه الغارات مما اثار دهشة الاوساط السياسية في الطريقة الامريكية الحديثة لاحلال السلام في جنوب شرق آسيا وقد حاولت الاوساط الامريكية الرسمية ان تخفف من الامر فادعت ان مثل هذه القنابل ليست سامة وانما لاسالة الدموع وكالتي استخدمت في قبرص وبعض الاماكن الاخرى . ان الغارات الامريكية تسببت في كثير من الضحايا البريئة باسم الدفاع عن الحرية وباسم وقف الزحف الشيوعي .

ان الموقف قد يتطور وقد تتدخل دول اخرى يعنيها امر المنطقة وامر سلامتها فمتى ينتهي تدخل الدول الاجنبية بمثل هذه الاساليب وهذه الحجج الواهية ؟

ما زالت ترد الى ادارة المجلة استفسارات عن بدل المشاركة في المجلة وطريقة الاشتراك .

ونود ان نبين ان المشاركة في المجلة تتم بتسديد بدلها الى مديرية الحسابات في ديوان وزارة الثقافة والارشاد أو بارسال المبلغ اليها حوالة بريدية .

اما بدل المشاركة فهو :

فلس	دينار	
٠٠٠	١	**دينار واحد داخل العراق**
٧٥٠		**سبعمائة وخمسون فلسا للطلبة**
٥٠٠	١	**دينار ونصف خارج العراق**